

كهنتة الإلحاد الجديد

طلعت، هيثم

كهنة الإتحاد الجديد/ د. هيثم طلعت علي سرور. - القاهرة: نيوبوك للنشر والتوزيع / ط ١ /

القاهرة: ٢٠١٧ م.

٣٢٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

تدمك: ١-٤١-٦٥١٩-٩٧٧-٩٧٨

رقم الإيداع: ٢٠١٦/٢٥١٦٦

١- الإتحاد والملحدون

٢٤٩

أ- العنوان

دار النشر: نيوبوك للنشر والتوزيع

عنوان الكتاب: كهنة الإتحاد الجديد

الكاتب: هيثم طلعت علي سرور

رقم الطبعة: الأولى

تاريخ الطبع: ٢٠١٧



نيو بوك للنشر والتوزيع

٦ عمارات الدفاع الوطنى - حدائق القبة - القاهرة

ت: ٠١٠٩٢٦٧٣٢٧٤

newbooknb@gmail.com

كهنة الإلحاد الجديد

كهنة المعاطف البيضاء - خرافات وأساطير كهنة الإلحاد
الجديد - شبهات الإلحاد الجديد - أدلة الإيمان - المتشابه في
القرآن والكون - الإلحاد عندما تكون له دولة - أسماء الله
الحسنى تتجلى في عصر العلم - الداروينية - الملاحدة العرب

دكتور

هيثم طلعت



NEW BOOK

نيو بوك للنشر و التوزيع

1438هـ - 2017م



الفهرس

الموضوع

صفحة

11 مقدمة
15 الفصل الأول: كهنة المعاطف البيضاء
18 □ دعونا نبدأ القصة من أولها
23 □ الكاهن الملحد
25 □ مشكلة العقل الغربي الذي يرمى الكهنوت الإلحادي
26 □ كهنة الإلحاد الجديد والاقتنصار على العلم التجريبي الإمبريقي فقط
29 الفصل الثاني: خرافات وأساطير كهنة الإلحاد الجديد
31 □ مقدمة
 □ الذاكرة ليست آثاراً مادية في الدماغ كما يتصور العامة، ويريد أن يلفق
32 الملحد
34 □ أصل الوعي وخذق المادية!
35 □ خرافة مادية العقل
36 □ تبادل أيونات الصوديوم والبوتاسيوم
38 □ الموسيقى تزيد نسبة الذكاء خرافة علمية
39 □ خرافة الحتمية التربوية
40 □ خرافة الهيومانية بديلاً عن الدين
53 الفصل الثالث: شبهات الإلحاد
55 □ وجود الشبهة في أصلها يعني نهاية الإلحاد
58 □ أشهر عشرين شبهة يطرحها الإلحاد الجديد مع الرد الموجز!
69 □ فرضية تذبذب الفراغ الكمومي
72 □ ما هو مصدر الصفيحتين؟ شبهة طاقة الفراغ

- 75 أديان كثيرة جداً ومعبودات بالآلاف والعُمُر قصير
- 84 لماذا الشر موجود؟
- 87 لماذا الكون بهذه الضخامة
- 89 الهوس الجنسي عند العرب؛ أسطورة يُرَوِّج لها الملاحدة ويُصدِّقها الإعلام
- 96 الرق - السبي - العبودية
- 105 لكن هل كان فلاسفة الإسلام ملحدين؟
- 117 **الفصل الرابع: المتشابه في القرآن والكون**
- 119 معضلة الشر
- 121 فصل المقال في الناسخ والمنسوخ
- 124 لماذا نزل القرآن بلغة العرب؟
- 126 هل انبثق العقل من مادة كما يزعم الملحد؟
- 128 الرد على شبهة - أضحوكة - مُصمَّم ذكي من كونٍ آخر، شبهة اليوفو
- 130 إسقاط أسطورة إله أسينوزا
- 133 المحرك الأول عند أرسطو
- 134 هل النسبية المعرفية لها وجود؟
- 137 **الفصل الخامس: أدلة الإيمان**
- 139 محاولة التشكيك في برهان السببية - العلية
- 144 الغائية والعلم
- 147 أدلة اليقين الديني هل يمكن حصرها في معيارٍ واحدٍ؟
- 155 الكشوف العلمية المتتابة
- 159 «إن الله جميل يحب الجمال»
- 161 كيف تُبرر أيها الملحد مادياً توقف الرسالات فجأة في بني إسرائيل؟
- 164 انهيار الدالة الموجية
- 166 رحلة البروتين معجزة إلهية
- 173 «الله له كل صفات الكمال»

- 177 الفصل السادس: أسماء الله الحسنى تتجلى في عصر العلم
- 180 نظرة بيولوجية قاصرة على اسم الله المقيت
- 183 رؤية فيزيائية قاصرة لعلو الله وجبروته في ومضةٍ من خلقه
- 186 غُبار الطلع ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾
- 189 الله القيوم والكون المقهور لعظمته من منظور فيزيائي
- 193 التخصصية الوظيفية
- 194 الله هو الأول والآخر.. نظرة في فيزياء الكوانتم
- 197 الجين الأنثاني
- 202 الذرة آية من آيات الخلق
- 205 في البدء كان التمثيل الضوئي
- 208 ما قبل الانفجار الكبير.. السؤال المحرّم في العلم
- 211 نظام التشفير داخل نواة الخلية، هو الخلق المباشر
- 215 الفصل السابع: أصول الاعتقاد
- 217 قواعد الرد على الإلحاد وثبوت النبوات
- 227 أصل الإلحاد
- 229 الإلحاد هو مصدر الوثنية عبر كل العصور
- 232 أصل الحروب
- 236 أصل الأخلاق
- 237 إثبات وجود الله!
- 240 ماذا قبل وجود الكون
- 242 مراتب الأدلة المنطقية
- 243 أصل الخير
- 244 تحليل المعلومة
- 247 الفصل الثامن: الإلحاد عندما يكون دولة
- 249 هل يمكن أن تنشأ الأخلاق داخل مجتمع إلحادي

- 251 □ مقارنة بين الإنسان البدائي وأكثر الحيوانات تقدماً
- محاولة الإنسان إقامة جنة على الأرض بعيداً عن الدين، انتهت إلى إقامة
- 253 أضخم جحيم في تاريخ البشرية
- 254 □ رابطة الملحدین العسكرية
- 255 □ كوريا الشمالية الدولة الوحيدة الملحدة رسمياً في العالم
- 258 □ هذه هي صورة دولة الإلحاد الوحيدة في العالم
- 260 □ عبادة الفرد في النموذج الإلحادي
- 263 □ دولة السويد؛ أيقونة الملحدین العرب، وكاتدرائية الحرية في العالم
- 267 □ هل كان هتلر ملحداً؟
- 273 □ العلمانية تصحح نفسها بنفسها
- 274 □ الديموقراطية بها خطأ فلسفي قاتل
- 275 □ حديقة حيوان البشر!
- 279 □ **الفصل التاسع: بدائع الفوائد**
- 281 □ لا يوجد ملحدون في الخنادق
- 282 □ نشأة الإلحاد
- 285 □ الماركسية على المحك
- 286 □ الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان
- 289 □ الجولف والإلحاد
- 290 □ هل الملحد شخص يمكن التعامل معه في الحياة اليومية بأمان؟
- 292 □ من نعم الله
- 293 □ البريونات.. الداروينية تمشي على رأسها
- 294 □ كريج فنتر
- 295 □ الفيروس يتحدى الملحدین
- 296 □ الإنسان ذلك المتمايز
- 319 □ الخاتمة

مقدمة

باسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:
الكُفر ملة واحدة، لا فرق عندنا بين كهنة الوثنية وكهنة الإلحاد الجديد، لا فرق بين كهنة المغول الذين يُلقنون أتباعهم باستمرار أنهم من سلالة الذئاب، وبين كهنة الإلحاد الجديد الذين يُلقنون أتباعهم أنهم من سلالة القردة، فالفارق شكلي فقط.

إن الإلحاد الجديد يقوم على كومة ضخمة من الفلسفات والإيمان بالماورائيات، ثم ترى كهنة الإلحاد الجديد يتكلمون وكأنهم قد حازوا أخيراً عصمة أصولهم الفلسفية الكلية!

يا أيها الكهنة الجدد! كلُّ من يريد أن يدفع بالعلم الطبيعي إلى ما وراء الطبيعة، ثم يبني أصولاً اعتقادية متكاملة على فلسفة احتمالية رياضية ناقصة، ويجعل منها سلطاناً معرفياً في قضايا الغيب المطلق فهو أحد الكهنة الجدد، حتى ولو أقسم كل يوم أنه ليس بكاهن!

الإلحاد الجديد هو ملة متكاملة الأركان لها قواعدُها المعرفية وأصولها الإيمانية، وعقائدها الماورائية التي لا يتساهل فيها المنظرون لها.

هل تحتاج دعوى إبطال هذا الدين الجديد وهذه الكهانة التي تتسع رقعتها كل يوم إلى دراية بالعلوم أو تأصيلات عقدية أو خبرات معرفية؟

هل القانون الفيزيائي الذي يدرسه العلم الطبيعي ويرى معجزاته ومعايرته الدقيقة حسب المكان الذي وُجد فيه، ومدى كفاءته ودقة ضبطه، هل هذا القانون جاء من عند نفسه أم من خارجه؟ هل هو الذي جعل نفسه قانوناً؟ هل هو المُقنن أم المُقنن؟

ثم لو كان الكون يسير باكتفاء ذاتي كما يزعمون، لما احتاج لقانون في كل شيء فيه، وفي كل ما دقَّ وصغر، وما عظم وكبر، أليس هذا دليلاً مباشراً على مُقنن وضابط وخالق وصانع ورازق كل شيء بقدره وحاجته؟

هذه الأسئلة لو ترددنا فيها لترددنا في العقل ذاته الذي عرّفنا على القانون!

لا ينتصر هذا الدين الجديد إلا باستغلال البديهة العقلية، وتجاوز الضرورات العقلية ثم اللعب على أحوال السفسطة فيُسلّم له كلُّ مغرورٍ ومُغفلٍ وفاجر! وسأعطيكم مثلاً رائجاً على استغلال الكهنة الجدد لأتباعهم:

هل يجوز استعمال المنطق الاحتمالي للحديث عن بداية الحياة على الأرض [؟]

عندما تبدأ في هذا الحوار فقد قفزت على الضرورات العقلية دون أن تدري، فالمنطق الترجيحي الاحتمالي لا يكون إلا في الممكن العقلي contingent existence بل في الممكن العقلي الذي يقع أنطولوجياً- أي على المستوى المادي-، فلا يصح أن ندخل حدثاً من الأحداث مثل حدث الحياة وهي ضرورة عقلية يستحيل أن يقوم بها البشر جميعاً بكل ما امتلكوا من عقلٍ واعٍ ومكائن عملاقة وسواعد جبارة في أن يخلقوا ذبابةً واحدة ولو اجتمعوا لها، فكيف نقول بالحساب الاحتمالي في نشأة حياة في بيئة غير واعية وغير قادرة وقاصرة وهي بيئة الأرض الأولى؟

عندما يضحك علينا الكاهن الملحد وندخل معه في هذه الحسابات، فقد قفزنا على أحوال السفسطة التي يبتهج لها جداً!

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُۥٓ اِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ لَيَخْلُقُوْا ذُبَابًا وَّلَوْ اَجْتَمَعُوْا لَهُۥٓ وَاِنْ يَسْلُبُوْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوْبِ ﴿٧٣﴾﴾

[الحج:73]!

فلا تجعلوا كهنة الإلحاد الجدد يلعبون بضروراتكم العقلية، فأنتم لو انتصرتهم في لعبة الاحتمالات فهم قد انتصروا في إدخال المستحيل العقلي إلى ممكن عقلي داخل أذهانهم وأذهان أتباعهم، وسينامون مرتاحين فلا تعطوهم الفرصة، فهؤلاء حظيرة خنزيرٍ أظهر من أظهرهم!

ومن أجل ضبط الضرورات العقلية، قمنا بتصنيف هذا الكتاب الذي نسأل العلي القدير أن يُنير به طريق الهداية لكل باحثٍ عن الحق.

وقد كان هذا الكتاب عبارةً عن مجموعة من المقالات المتناثرة وضعتها في مواقع شتى، فسبكت بين المقالات وصنفتها وفصلت بينها، فخرج هذا الكتاب الذي أضعه بين أيديكم.

والله المستعان

للتواصل مع د. هيثم طلعت

Haithamsrour41@gmail.com

<https://www.facebook.com/haitham>.

srour12

الفصل الأول

كَهَنَةُ الْمُعَاطِفِ الْبِيضَاءِ

كهنَةُ الْمُعَاطِفِ الْبِيضَاءِ - علماء الكوانطا

الفصل الأول

كهنة المعاطف البيضاء

مقدمة

ظل [ألبرت أينشتاين] يحلم بنظرية كل شيء Reasonable Theory، تلك النظرية التي لا يتجاوز طولها البوصة الواحدة، والتي تصف كل شيء في كوننا، والتي تجمع النسبية بالكم، وقضى أينشتاين الأربعين عامًا الأخيرة من عمره محاولاً تحقيق هذا الحلم، ومات دون تحقيق شيء.

وبعد عقودٍ من وفاته جاء كهنة المعاطف البيضاء- علماء الكوانطا- وقالوا: نريد أن نعرف عقل الله حين خلق هذا الكون. فتوصلوا إلى نظرية الأوتار الفائقة وظنوا فيها الحلم الذي يجمع بين النسبية والكم، فظلت معادلاتهم تزداد حتى صارت اليوم بلايين بلايين المعادلات الممكنة رياضياً وكلها بنفس الدرجة من القوة، وكان نتيجة هذا الزخم العبثي في المعادلات أن افترضوا المستحيل العقلي- اللانهائية- وطلبوا منّا أن نُصدقهم ونحن مغمضو العيون، وافترضوا المستحيل الإمبريقي التجريبي- الأكوان المتعددة- وطلبوا منّا أن نُصدقهم، وافترضوا المستحيل الأنطولوجي المادي- الأبعاد الأحد عشر- وطلبوا منّا أن نُصدقهم، وتحولت الفيزياء على أيدي هؤلاء الكهنة إلى فيزياء ما بعد الحداثة، وصارت مكتظة ومحشوة بالتجريدات الرياضية التي لا علاقة لها بالواقع الأنطولوجي- المادي- الذي نحياه، وصارت الفيزياء الآن في أزمة على يد الكهنة الجدد كما يعرف المختصون.

وبعيداً عن كون هؤلاء يفرضون علينا رؤية للكون مبنية على تجريداتهم الرياضية، وبعيداً عن كون هؤلاء ابتعدوا كثيراً عن نظرية البوصة الواحدة التي كان يحلم بها أينشتاين، وبعيداً عن كون هؤلاء فشلوا رسمياً في تحقيق أي تقدم يُذكر في النظرية الموحدة، بعيداً عن كل هذا، فما نطلبه منهم بهدوء أن يقبوعوا في معاملهم ولا يُعطوا رؤية كلية للقضايا الوجودية

الكبرى من واقع نظرتهم القاصرة وفشلهم البحثي، ولا أدري بأي وجه يُشككون في معطياتنا أو في البدهيات العقلية بنتائج فشلهم التجريدي في المعادلات الرياضية، صراحةً هذه أسمىها بجاجة الطالب الخائب.

دعونا نبدأ القصة من أولها..

من الحقائق التي لا بد أن تستقر في الذهن أنه ليس كل ما تُجيزه الرياضيات تجريدياً، يُجيزه الواقع أنطولوجياً أو مادياً!

عندما يقول كهنة المعاطف البيضاء: إننا نستطيع أن نخرق الزمن عبر الثقب الدودي wormhole في نسيج الزمكان!

فهذا يعني أن الزمكان الذي هو تداخل الزمان والمكان شيء له وجود مادي، نستطيع أن نلمسه وأن نخرقه!

هل يوجد في عالمنا المادي شيء يُدعى تداخل الزمان مع المكان؟

هل للزمكان وجود أنطولوجي مادي، أم هو مجرد وجود إبستمولوجي معرفي تجريدي في معادلات النسبية العامة؟

هل يوجد في الواقع المادي أو التجريبي أو الحسي أو العقلي شيء يُسمى نسيج الزمكان؟

هل البعد الزماني الرابع time-الزمن- هو وجود مادي حقيقي أم مجرد وجود افتراضي لتبسيط هندسة الجاذبية في معادلات النسبية العامة عند أينشتاين؟

لا وجود مادي للزمان ولا يتداخل أنطولوجياً مادياً مع المكان، ولا يوجد شيء في الواقع المادي الأنطولوجي يسمى زمكان!

الزمان هو إحساس افتراضي بالوقت ينقسم عقلياً إلى ماضي وحاضر ومستقبل!

إذن عندما يخرج عليك أحد كهنة الكوانطا، ويطلب منك أن تعبر معه الثقب الدودي، فاعلم أنه مهرج يتلاعب ببدهياتك العقلية ببعض الافتراضات الجدلية، أو التبسيطات الرياضية، فاليقين لا يندفع بالظن، والظن القوي لا يندفع بالظن الضعيف، والظن الضعيف

لا يندفع بالشك، والشك لا يندفع بالافتراض الرياضي المعادلاتي، فعندما يطلب منك أحد هؤلاء الملاحدة الجدد أن تتخلي عن اليقين في مقابل افتراض رياضي فبطن الأرض للعقل خيرٌ من ظهرها!

ولا شيء أسهل من ضرب بعض الرموز الرياضية للتعبير عن أي شيء ثم اختراع معادلة لقياسه.

وأكرر مرةً أخرى: ليس كل ما تُجيزه الرياضيات تجريبياً يُجيزه الواقع أنطولوجياً أو مادياً؛ بل إن الرياضيات أحياناً تُخالف الواقع مخالفةً صريحةً فمثلاً في عالمنا الواقعي المادي لا وجود للقطب المغناطيسي، لكن من أجل تكميم الشحنة أثبت بول ديراك Paul Dirac أنه يجب أن يكون هناك قطب مغناطيسي، فوجود القطب المغناطيسي المنفرد mono pole ضروري جداً لتكميم الشحنة، حتى تصح المعادلة الرياضية، فالقطب المغناطيسي المنفرد موجود في العالم الرياضي إلزاماً؛ لكن لا وجود له في العالم الأنطولوجي المادي بل هو من قبيل الخرافة مادياً!

هل نقول الآن: إن القطب المغناطيسي موجود مادياً. وننكر البدهيات الحسية والمادية والتجريبية؛ بناءً على المعادلة الافتراضية الرياضية؟

المعادلات ليست أكثر من توصيف رياضي تبسيطي!

إذن لا تدفع بديهتك العقلية بفرضية رياضية، لأنك بذلك تُشكك في الرياضيات نفسها لأنها نتاج العقل، والفرضية الرياضية فرضية عقلية والحقائق حولك بدهيات عقلية، فحاول أن تؤسس مراتب الأدلة عندك، وتعرف اليقين والظن القوي والظن الضعيف والشك والفرضية.

بل إن المشكلة الحقيقية التي نحن بصدها اليوم والتي كان هؤلاء الكهنة سبباً رئيساً فيها أن كل رؤيتنا للكون من حولنا تشكلت عبر معادلات رياضية، فلا تُسلم لكل ما تسمع أو تقرأ، بل اجعل بدهياتك العقلية ومراتب الأدلة عندك حكماً وهي الحكم العدل إن شاء الله.

لكن ما مشكلتنا الحقيقية مع كهنة المعاطف البيضاء؟

هل مجرد رفض الوجود المادي للتجريد الرياضي هو القضية؟

صراحةً؛ القضية أكثر عمقًا، وتشعبت كثيرًا الآن وهي قابلة لمزيد من الشعب، فكهنة المعاطف البيضاء لم يعودوا يكتفون برصد الظاهرة كما العلماء المحترمون عبر العصور، بل أصبحوا يفترضون تفسيراتهم الفلسفية الخاصة على القضية المرصودة، فافترضوا الوجود المادي للتجريد الرياضي، وافترضوا التفسيرات الفلسفية فيما رصده وفيما عجزوا عن رصده، وطالبوا بتسليمنا برؤيتهم في القضيتين معًا، وسنشرح هذه المسألة بشيء من التفصيل لخطورتها على البدهيات والضرورات العقلية ومراتب الأدلة التي اتفق عليها العقلاء!

مشكلتنا مع كهنة المعاطف البيضاء ليست بشأن الظاهرة وآلية حدوثها، فالظاهرة مثل tunneling effect ستكرر إلى يوم القيامة، مشكلتنا الحقيقية مع كهنة المعاطف البيضاء هي بشأن تفسير الظاهرة، والذي يدخل كثيرًا رغمًا عنّا وعنهم في دائرة الفلسفة والميتافيزيقيا.

ففي فيزياء الكوانطا الكمية القضية كلها متعلقة بالراصد وطريقة رصده، يقول فيلسوف الفيزياء جون ويلر john wheeler " عملية القياس تُحدث تغييرًا لا سبيل إلى التنبؤ به وهكذا تمت ترقية المراقب - الراصد - ليصبح مشاركًا... وهذا أمر شديد الدهشة«،. فالرصد في المجال الكوانطي ليس هو القياس في حقيقته، فعندما ترصد فوتون الضوء فأنت ترصده بفوتون ضوء وبالتالي يتأثر الرصد جدًا ويجعل من الراصد مشارك في العملية الفيزيائية التي تتم في هذا المجال النانوي».

والمشكلة الحقيقية ليست في الظاهرة، ولا حتى في رصدها، وإنما في التفسير الفلسفي للظاهرة! فمثلًا في تفسير ظاهرة ما في ميكانيك الكم تجد تفسير أينشتاين - الذي يرفض القضية بالكلية ويعتبر كل تفسيرات علماء الكوانطا مجرد تحريف وهرطقة وكهانة -، وتجد تفسير دي برولي وتفسير مدرسة كوبنهاجن - التي ترفض كل شيء ما عدا القياس وتعتبره مرجعًا وحيدًا معرفيًا، وفي هذا مدرسة كوبنهاجن لا تعارض بداهيات العقل فحسب بل تعارض بقية النظريات مثل النسبية ومعادلات ماكسويل-.

فالمشكلة الأساسية مع الكهنة الجدد هي في تفسير عملية القياس في ميكانيك الكم، والتي يرغب كهنة المعاطف البيضاء أن تكون حكرًا لهم!

ومشكلة القياس في ميكانيك الكم هم مشكلة جوهرية، والصراع فيها فلسفي وليس علمي!

ولذا كان [أينشتاين] مُحَقِّقًا حين قرر أن العالم حين يتفلسف يصبح فيلسوفًا خائبًا، ويجلب الكثير من الضوضاء!

فمشكلة تفسير القياس في المجال الكوانطي هي مشكلة فلسفية لاهوتية، وليست مشكلة رصدية، فكهنة الكوانطا يجعلون من معارفهم التي توصلوا إليها بالرصد نظريات علمية - وهذا نُسَلِّم لهم به- ويجعلون من غموض ما لم يتوصلوا إليه آراء فلسفية وهم يطلبون منا التسليم لهم في الحالتين، ولا أدري بأي حق يريد كهنة الكوانطا أن يُملوا علينا مقرراتهم ورؤيتهم الفلسفية؟ كيف التسليم مثلًا بأبعاد موازية وأكوان متعددة وكسر لدهيات عقلية، مع أن هؤلاء الثلاثة لا يوجد عليهم دليل إمبريقي أو رصدي أو قياسي واحد حتى الآن، وكلها كومات من المعادلات الرياضية التي تتيح الشيء ونقيضه ثم يفترضون إسقاط ذلك على ما لم يتم رصده أو قياسه!

مثال على ذلك: يقول أحد هؤلاء الكهنة بوجود أكوان متعددة Multi Universe، لكن هذه الأكوان المتعددة لم تثبت رصديًا، بل يستحيل إثباتها رصديًا أو إمبريقيًا لأنها تكسر حاجز أفق الجسيم particle horizon وهذا أمر ممنوع فيزيائيًا، بل إنه من العجيب أن الرياضيات التجريدية أيضًا تمنع وجود أكثر من كون واحد؛ لأن وجود أكثر من كون سيتبع نفس main Hamiltonian وهذا ممنوع رياضيًا طبقًا للorthogonality theorem، فلا يُسمح إلا بكون واحد ومع ذلك الأكوان المتعددة تدخل قاموس الإلحاد الجديد بقوة، رغم أنف العلم!

مثال آخر: يبحث الكهنة الجدد عن حياة خارج الأرض وينفقون مبالغ طائلة في هذا (الصدد)، وبالمناسبة هذه كلها محاولات فلسفية لإنزال الإنسان عن مركزيته في هذا الوجود فيفترضون أكوانًا بالمليارات وحياة في كواكب أخرى وأبعادًا موازية وعوالم متراكبة حتى يُشعروا الإنسان أنه بلا قيمة - ومشروع البحث عن حياة خارج الأرض هو مشروع لا يوجد عليه دليل إستمولوجي معرفي واحد، ولا دليل أنطولوجي مادي واحد، ويخالف مبرهنة فيرما التي تقول: بما أنك لم تتحصل على دليل مادي ولو أولي على حياة خارج الأرض، فمن العبث الإنفاق على مشروع هكذا.

وحتى نستوعب كم الخلط في فكر الكهنة الجدد، وطريقتهم في تفسير القياس، وتناقضهم الذاتي، فأنا سأطرح فرضية سخيفة:

سأفترض أن الكون كله يحمله حوت ضخمة في فمه سيجار أمريكي، ويتعلق في ذيله المعتوه لورانس كراوس - أحد كهنة الإلحاد الجديد-، وفي زعنفته مسبحة شيخ صوفي!

هل يُمكن علمياً نقض هذه الأطروحة؟ طبقاً لمعطياتنا العلمية المتاحة هذا مستحيل، لكن هل تعلم أن احتمالية هذا الأمر طبقاً لمعطيات الكهنة الجدد هي احتمالية تزيد على الصفر، وبالتالي هي احتمالية قائمة لكنها قريبة من الصفر!!

وقس على ذلك أي خُرافة تطراً على ذهنك!

الآن حاول أن تُحدث هؤلاء عن أحد القضايا الغيبية الإيمانية وانظر ردة فعلهم!!

إنهم يفترضون أبعاداً موازية، لكنهم لا يقبلون الحديث عن وجود جان أو شياطين!

يفترضون أكواناً متعددة، لكنهم لا يقبلون وجود عالم آخر!

مشكلة تفسيرات كهنة الكوانطا أنهم يجعلون من قصورهم المعرفي تفسيرات افتراضية قائمة، ثم يؤسسون على هذه التفسيرات الافتراضية رؤى ونظريات وأفلاماً علمية وبرامج وثائقية وروايات خيال علمي تجوب جنات العالم، ولا يوجد في فروع العلم المادي شيء وصل إلى هذا الحد من الكهانة سوى علماء الأنساب - علماء الداروينية -، ولذا كانت تفسيرات كهنة الكوانطا شيئاً موجوداً حتى من قبل المؤسسات العلمية المُعتبرة ويصف [باولي] تفسيرات كهنة الكوانطا في هذا الإطار بأنها knabenphysik أي فيزياء الصبية بالألمانية⁽¹⁾.

وكان أوتو شاتيرن - العالم الفيزيائي الشهير - يُقسم أنه سيترك الفيزياء إذا كانت تفسيرات كهنة الكوانطا صحيحة.!

وتعني لورنتز - عالم الكوانطا- أن يموت قبل أن يرى تفسيرات كهنة الكوانطا تلك.

وقال العالم بول إبشتاين: «إن القوانين الكمية بالشكل الحالي هي إلى حدٍ ما نظرية لاهوتية فيما يختص بالطبيعة، ومن ثم فإن الكثير من العلماء لهم الحق في سخطهم على هذه القوانين»⁽²⁾.

(1) الاحتمالات المثيرة للنظرية الكمية تأليف: ليونيد بونوماريف ترجمة: إيمان أبو شادي الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى 2007 ص128.

(2) م. س.

وكان باولي يرى أن المسرحيات الهزلية أفضل من تفسيرات كهنة الكوانطا. 3--(1).(*)

الإبستمولوجيا	هي النظرة المعرفية التي في الذهن.
الأنطولوجيا	هي الشيء المادي خارج الذهن.
الإمبريقية	التجريب العلمي.
الميثودولوجية	الطريقة العلمية للثبوت من صحة افتراض علمي.

الكاهن الملحد

المعضلة الحقيقية التي نحن بصدها، هي كون الإلحاد عقيدة مكتملة المعالم، لها كهنة ومرتزة ومتسولون وأتباع!

يقول الكاهن الملحد لا نلتزم إلا بالدليل العلمي المادي التجريبي الإمبريقي؛ لكن يا حضرة الكاهن استنتاج الانتخاب الطبيعي في النظرية الداروينية هو من طرق تأويلية فلسفية مُركبة وليس من طرق علمية مادية إمبريقية ميثودولوجية!

والداروينية كلها تقوم على الإستنباط العقلي- بغض النظر عن صحته- لا الدليل التجريبي، فلم يشهد العالم كله حالة macro-evolution واحدة، ومع ذلك الداروينية من مُسلمات الإيمان الإلحادي!

يقول الكاهن الملحد: توجد أديان كثيرة فالأفضل الحكم على الجميع بالسجن. لكن يا حضرة الكاهن هذا حال القاضي الفاشل الذي وجد الحق يتنازعه أناس كثيرون فحكم على الجميع بالسجن، بل وزعم هذا القاضي أن حكمه الجائر هذا هو الحق الذي يبحث عنه هؤلاء!

يقول الكاهن الملحد: الإسلام ليس أكثر من دين بين الأديان، وعقيدة بين العقائد. لكن

(1) 3-م.س.

(*) هذا المقال من وحي كتاب آله الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، لأستاذنا أبو الفداء ابن مسعود وهو كتاب هام للباحثين في القضية الإلحادية من إصدارات دار سها هاتف 01146519424

يا جناب القمص الملحد لا يوجد غير الإسلام والكفر، فلا يوجد على وجه الأرض سوى ثلاث ديانات سماوية - إسلام، مسيحية، يهودية- والباقي أرضي باعتراف أصحابه، واليهودية لا يدخلها إلا يهودي الأبوين فهي ديانة قومية انتهى أمرها، والمسيحية أدخلت التثليث والأفانيم والآلهة البشرية في قلب عقيدتها، وآمنت بمبادئ الوثنية من موت الآلهة عارية على الصلبان إلى انتزاع آلهة من آلهة أخرى - انتزاع الروح القدس من الآب أو الإبن على خلاف بينهم- إلى أكل لحم الآلهة وشرب دمائهم- عقيدة الأفخارستيا-، وبذلك انتقلت المسيحية من السماوية إلى الوضعية الوثنية على يد مجامع صناعة الآلهة في عهد قسطنطين، ولم يبق إلا الإسلام الديانة التوحيدية النقية، فالإسلام ليس ديانة كالديانات، وإنما هو أصل الديانات وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد:

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:13].

يتساءل حضرة الكاهن الملحد كيف يدخل الجنة المسلمون فقط، والباقيون يدخلون النار مع أن منهم علماء كبار في الفيزياء والطب والفلك؟! ألا تعلم يا نيافة الأنبا الملحد أن كثيرين من أهل الأرض الآن لم تقم عليهم الحجة الرسالية التي تقتضي دخول النار؟! والمحكمة الأخروية الكبرى لم تقم بعد وهي محكمة عظيمة مدتها خمسون ألف سنة، أي أطول من عمر البشرية كله، وفي هذه المحكمة سيُدلي كلُّ بحججه، فأما الكافر الذي وصلته رسالة الإسلام فحجته داحضة عند الله بنص القرآن، أما الذي لم تصله الرسالة فستكون الآخرة بالنسبة له هي تكملة لرحلته الدنيوية وسيُكلف ويُختبر ويُمتحن، وربما يكون بعض هؤلاء العلماء الذين تتباكون عليهم في درجة عالية من الجنة لا نصلها نحن!

فلا تقلق نيافتك إلا على نفسك ولا تهتم إلا بحالك، فالله لن يظلم عباده فكن مطمئنًا

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:182].

فيا نيافة الملحد لا تجعل كفر غيرك سببًا لكفرك، فهذا ليس مبررًا عقلائيًّا ولا منطقيًّا للكفر، ولن يغني عنك شيئًا عند الله يوم القيامة!

مشكلة العقل الغربي الذي يرمى الكهنوت الإلحادي

مشكلة العقل الغربي في أصله أنه عقل أداتي نفعي مصلحي مادي، يحمل بُغضًا غير مُبرر للدليل النقلي الجاهز، فتراه يُسَلَّم بالخرافة UFO - الأطباق الطائرة- لأنها من صنعته، ويتدرد في المعرفة النقليّة وإن كانت أكثر منطقية وضبطًا من هذيانه، مثلاً: عندما كان يحارب اللاأدري الكاهن الشهير [كارل ساغان] من أجل تمرير أسطورة السفر عبر الزمن، وزوار من كواكب أخرى، كان [ستيفن هاوكنج] يعترض على الأمر رياضياً، ويرى استحالة السفر عبر الزمن وأن المسألة خرافة ووهم، وكذلك الزوار الأجانب مجرد شعوذة، والدليل على ذلك أننا لا نقابل أفواج القادمين هؤلاء كل يوم ولم نلاحظ أحداً منهم، فقال ساغان: «الذين يأتون عبر الزمن من السهل أن يمتلكوا طرق تخفيهم، وربما كان الجان هم هؤلاء المسافرين عبر الزمن»!!..

إذن يستقر في وعي هذا الكاهن ساغان وجود الجان؛ لكنه يقبل أن يكون هؤلاء الجان زواراً من مجرات أخرى أو أزمان أخرى، ولا يقبل بالطرح الديني النقلي بشأن قضيتهم! وربما لو سايره [هاوكنج] في هذيانه، كان [كارل ساغان] الآن أحد أعمدة الملحدّين الذين يؤمنون بوجود الجن ولما ترددت الملاحظة العرب في بحث طرق الرقية الإلحادية من الجن! هل ثمة مبرر علمي أو مادي أو حسي أو إمبريقي أو إستمولوجي أو رياضي أو فلسفي لهذيان [كارل ساغان]؟ لا يوجد دليل واحد ولا حتى افتراضي!

لكن بما أن المسألة إفتراض غربي إذن ستلقى رواجاً إعلامياً، وبعد موت الكاهن ساغان بسنوات سيأتي خليفته الكاهن [ميتشيو كاكو] ويعطينا عشرات الأفلام الوثائقية في هذا الهذيان، وستتلقفها الشباب الباحث عن الغرائب وستبقى هذه الأساطير في الذهن الجمعي ما شاء الله لها أن تبقى، وهذه هي قضيتنا المفصلية.. لا تُسَلِّموا لهذيان كهنة الإلحاد الجديد، لا تجعلوا من افتراضات الرياضيات التجريدية رؤية كونية، لا تجعلوا مما لم تحيطوا بعلمه أو يأتكم تأويله حقاً تدافعون عنه وتحاربون من أجل ترويجه والإيمان به!

كهنة الإلحاد الجديد والاقتصار على العلم التجريبي الإمبريقي فقط

يتشجع الكاهن الملحد قائلاً: «لا تُحدثني عن الأدلة العقلية، أو البدهيات المنطقية، أنا لا أُسلم إلا بمعطيات العلم التجريبي الوضعي المادي».

ما لا يعرفه نيافة الكاهن الملحد أن مصدر المعرفة في العلم التجريبي الوضعي هو العمل العقلي في مُدخلات الحس والمشاهدة والتجريب، وأساس العلم التجريبي هو البدهيات العقلية والمُسلمات المنطقية ثم يكون الاستقراء المعرفي بدرجاته، هذه بداية العلم التجريبي ونهايته! وفي واقع الأمر فإن الملحد كاذب في ادعائه هذا؛ لأنه يرفض الأدلة الدينية فقط، ولذا فهو يقبل النص التاريخي مادام مصدره من خارج التأريخ الديني - ويرفض نفس النص التاريخي بنفس درجات الاستقراء وأدوات الثبوتية لو كان مصدره دينياً -، ويقبل الملحد أيضاً الترحيح العقلي والمنطقي بعموم، ويقبل الترحيح الرياضي، ولولا الترحيحات الثلاثة الأخيرة ما قَبِل بالعلم التجريبي نفسه؛ لأن أدوات التثبت من معطيات العلم التجريبي هي أدوات عقلية ومنطقية ورياضية.

ولذا نقول للكاهن الملحد: هل شرطكم في بناء معرفة أن تكون صحيحة وموافقة للواقع بدليل علمي صحيح، أم تكون مقصورة على جنس البحث الإمبريقي والطريقة التجريبية فقط؟ إن كانت الثانية وكان كل ما يأتيكم من دعاوى معرفية أخرى مرفوضةً، فهذا الشرط ساقط بذاته إذ لا يُتخيل التسليم به مجرداً دون تأسيس عقلي ومنطقي ورياضي ومعرفي دون بديهية أسبقية A-Priori مستقرة في عقل الباحث أو العالم أو الفيزيائي.⁽¹⁾

فمراتب الأدلة والبراهين التي اتفق المناطق على حُجيتها، تتراوح بين الدليل الرياضي والدليل العقلي والدليل التجريبي، وفي الأخير يأتي الدليل الحسي..

ولذا عندما يُقرر أحد كهنة الإلحاد رفض بعض الأدلة فمشكلته مع المنطق وليست معنا

نحن!

(1) آلة الموحدون لكشف خرافات الطبيعيين.. لأستاذنا أبو الفداء ابن مسعود.. دار الإمام مسلم.. ص 577 بتصرف.

فما أبأس عقل الملحد الذي يرفض ذاته بذاته! حين يرفض استخدام عقله بعقله، فسبحان مَنْ جعل للشيطان سلطاناً على هؤلاء في بدهيةٍ لا يُخطئها حَدَثٌ صغير؛ لكنه الكفر!

بل إن المعرفة تعتمد على المهاديات الأربع العقل والنقل والتجربة والوجدان⁽¹⁾.

فالأدلة المعرفية لا تنحصر في الدليل التجريبي الوضعي، وإلّا فما مصدر القيمة الأخلاقية؟ وما مصدر الحس الجمالي؟

يقول الملحد دارويني المتعصب ريتشارد داوكينز «أنا ضد الداروينية ولا أُطبقها حين يتعلق الأمر بحياتنا»⁽²⁾.

ذو يرى شرودنغر أبو ميكانيك الكم أن العلم التجريبي حين يتحدث عن القيمة الأخلاقية أو القيمة الجمالية فهو أراجوز نستمع له لنضحك لا لناخذ كلامه على محمل الجد!⁽³⁾

فالملحد الذي يزعم أن الحق لا يوصل إليه، والمعرفة لا تتحقق إلا من طريق العلم التجريبي وحده؛ لا يوصف بأنه صادق في طلب المعرفة أصلاً، وهو من أكذب الناس!⁽⁴⁾

(1) وهم الإلحاد.. د. عمرو شريف.

(2) اللقاء الذي أجرته قناة الجزيرة انجليزي مع ريتشارد داوكينز دقيقة 42.

(3) شرودنغر في كتابه الطبيعة والإغريق nature and the greeks.

(4) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين.. لأستاذنا أبو الفداء ابن مسعود.. دار الإمام مسلم.. ص 605 بتصرف.

الفصل الثاني

خرافات وأساطير كهنة الإلهاد الجديد

الفصل الثاني

خرافات وأساطير كهنتة الإلحاد الجديد

مقدمة

يقوم الإلحاد الجديد، والرؤية المادية للكون على دوغمائية أكثر من أشد الديانات إغراقاً في الوثنية.

ويتظاهر الإلحاد الجديد أن ما يتبناه هو مجرد فرضيات وأطروحات لم تصل لمرحلة الدوغما، لكنه في واقع الأمر دوغمائي متصلب، وفرضوي - نسبةً إلى فرضية- متشنج.

ويستند الإلحاد الجديد على مبدأ: أعطني مُعجزة واحدة مجاناً - الانفجار الكبير، خلق الحياة، التشفير داخل الجينوم - وسأشرح أنا البقية.

إنها أضيق حدود السذاجة إن استطعت ابتلاعها ابتلعت بعد ذلك أي شيء.

فعندما يقرر علماء الفيزياء أن المادة السوداء موجودة ليس لحفظ توازن الكون كما يتصور الكثيرون ولكن لحفظ توازن المعادلة الرياضية، ووصل حجمها مع الطاقة السوداء إلى 96% من مادة الكون في حين أنه لا يوجد دليل علمي واحد على هذا القياس أو هذا الحجم ولا حتى على وجودها أصلاً إلى الآن، ومع ذلك تنتزل مع فرضية الفيزيائيين؛ لأن المسألة توازن معادلة رياضية، ولا علاقة للمسألة بالإيمان أو الكفر، لكن هنا يتشنج الملحد ويريد أن يجعل رؤيتنا للكون مبنية على المعادلة الرياضية، وهذا ربما جوهر الإشكال الذي من أجله تم وضع هذا الكتاب.

فكما قلنا في الفصل السابق فإنه ليس كل ما تقرره الرياضيات تجريبياً يقرره الواقع المادي أنطولوجياً مادياً.

الملحد يريد أن يجعل من الفرضية الرياضية واقعا مادياً، ومن الشك يقيناً، ومن البديهية العقلية سفسطة، وقد مكر الله عَزَّجَلَّ بهؤلاء فظهرت فرضيات بالملايين وأطروحات تقبل الشيء ونقيضه وعج العلم المادي بكومة من الفرضيات لا قبل حتى للملحد بها، فجاءت النتائج على نقيض القصد. وغاصت أقدام الملحد في أحوال ما كان له أن يلجها لولا تعنته المقصود وغايته الخبيثة. وسنطرح في هذا الفصل- إن شاء الله- شيء من الخرافات والأساطير التي يروجها كهنة الإلحاد الجديد.

الذاكرة ليست آثاراً مادية في الدماغ كما يتصور العامة، ويريد أن يلقى الملحد

قام عالم النفس الشهير وأخصائي السلوك والذاكرة كارل لاشلي Karl Lashley بتدريب الفئران والقروذ على العديد من الخدع، وعندما يتعلمون الخدعة يقوم بقطع جزء من الدماغ لمعرفة في أي جزء تُخزن الذاكرة، وقد تفاجأ عندما رأى أن باستطاعته قطع أجزاء كبيرة من الدماغ، لا يهم أي جزء أعلى أسفل داخل خارج سطحي عميق أمامي خلفي علوي سفلي، النتيجة واحدة دائماً وهي عدم تلف الذاكرة أو ضياعها، فالذاكرة ليست في النهايات العصبية المعدلة، ولا في فسفرة البروتين ولا الطرق الجزيئية الأخرى، ببساطة الذاكرة ربما لا تكون في الدماغ أصلاً⁽¹⁾.

لكن المشكلة أننا نتعامل مع دوغما جديدة بإسم العلم المادي يتزعمها كهنة الإلحاد الجديد، فلا بد أن تكون الذاكرة والعقل في الدماغ، ولا بد أن تكون المشكلة قصور في البحث فقط وليس خطأ في الدوغما.

لكن ما المانع أن يكون دماغنا مثل جهاز التلفاز أي مجرد مستقبل للمعلومة ومعالج لها، وحين تُقطع الأسلاك يتوقف ويُفقد الإرسال، فالأصوات الصادرة من التلفاز ليست صادرة عنه أو مُخزنة فيه، بل هو مجرد مستقبل ومعالج للمعلومة، وإذا تلفت الدائرة الكهربائية فيه أو تلفت الأسلاك يتوقف عن الإرسال والاستقبال. وبالضبط هذا ما يحدث في حال تلف أسلاك الدماغ نتيجة صدمة أو تلف الدائرة الكهربائية نتيجة زهايمر فيتوقف عن الإرسال والاستقبال.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Karl_Lashley.

ونفس الأمر يقاس على العقل، وسنوضح هذه القضية بشيء من التفصيل

الإبصار كنقطة بداية هو عملية كهروكيميائية في المقام الأول؛ حيث تنعكس الصورة على الشبكية، ثم تظهر نبضات عصبية في مراكز مخية معينة تحدد الصورة ومكانها؛ لكن هذه عملية كيميائية لا علاقة لها بإدراك وجود الصورة أو استيعاب وجودها، فالوعي شيء والحسابات الكيميائية شيء آخر، ولذا يقال: إن الوعي والعقل يوجد داخلهما كل ما تدركه فكل السماء توجد داخل عقلك، لكن هذا ما ترفضه دوغما كهنة الإلحاد بشدة، فلا بد أن يكون العقل والذاكرة والوعي وكل شيء داخل الدماغ، ولا بد أن تكون الحسابات الكيميائية هي المعادلة الأخيرة في النهاية، ولا بد أن تكون الرؤية المادية الاختزالية هي الحصان الأسود الوحيد في جميع المبارزات. إن مليارات الدولارات التي تُنفق سنويًا على مراكز البحث العلمي في أبحاث الدماغ تقوم على فرض دوغمائي مسبق، وهو أن الذاكرة والعقل والوعي وكل الأنشطة الإدراكية تقع داخل الدماغ ولذا ستظل المليارات تُنفق دون جدوى.

يقول الدكتور هوجو زوكاريلي Hugo Zucarelli: إن هذه الرؤية الكهنوتية للعقل وأدوات الإدراك أدت إلى قصور شديد في الكثير من المباحث العلمية الحقيقية، فالإنسان مثلاً يستطيع تحديد مصدر الصوت دون تحريك رأسه حتى ولو كانت أذن واحدة تعمل، وهذا مستحيل مادياً؛ لأنه لا توجد خاصية داخل أذن أو دماغ الإنسان لمثل هذا الأمر، لكن الإنسان يلتفت فوراً نحو مصدر الصوت، ومع ذلك نحن مُطالبون بتفسير الأمر من داخل الدماغ مع أن البحث من المعلوم مسبقاً أنه سيكون بلا جدوى⁽¹⁾.

ويرى عالم الأعصاب الدماغية الشهير كارل بريبرام Karl Pribram أن الوعي والإدراك الإنساني لا علاقة لهما بالدماغ أو الوصلات العصبية والذي يرهق نفسه في هذا النفق الضيق فلن يخرج بشيء⁽²⁾.

ومع ذلك كهنة الإلحاد الجديد سيُصرون على الدوغما مُعطلين بذلك العلم نفسه، وفي هذا هم يدفعون الشباب للعزوف عن العلم المادي؛ لأنه أصبح قوالب جامدة وعاجز عن

(1) <http://en.wikipedia.org/wiki/Holophonics>.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Karl_H._Pribram.

تفسير الكثير من الأمور التي تشغلهم مثل التخاطر عن بُعد Telepathy والجلء البصري Clair Voiance، وغيرها من الأمور التي يحكم العلم المادي عليها مسبقاً بأنها خارج دائرة العلم أو من قبيل الخرافة مع جديتها وإثارتها وتتابع تكرارها مما يُعطيها نمطاً إحصائياً قابلاً للرصد.

المشكلة أنه حتى الذين يقبلون بالبحث خارج إطار ما حدده لهم كهنة الإلحاد الجديد، يتعرضون في النهاية لرفض أبحاثهم، أو تهديد مستقبلهم الوظيفي، أو تقليل المبالغ المالية المرصودة لأبحاثهم، وتبتعد أسماؤهم عن عناوين المجلات المرموقة ويُنظر إليهم كمروجي علم زائف pseudo-science وهذا ما يجعل ممارسات كهنة الإلحاد الجديد أشبه ما تكون بقوانين كنيسية تشلح كل من يتعرض لها بالنقد.

أصل الوعي وخذق المادية!

أدق الكائنات الحية على الإطلاق يقودها الغرض والهدف والغاية، وتتمتع بالوعي وتحليل المعلومات ثم إعطاء رد فعل بناءً على تلك المعلومات، فمثلاً الأميبا وحيدة الخلية لو جاء بجوارها غذاء متحرك فإنها تلف أذرعها حوله بحذر حتى لا يهرب، في حين لو كان الغذاء ثابتاً لا يتحرك - حبيبة نشا - فإنها تلتصق به دون احتراس.

والأميبا كائن وحيد الخلية بلا مخ ولا عين ولا أعصاب ولا حواس.

والبويضة بعد تخصيبها تُعبر عن استقلالها البيولوجي ويكون لها وعي وإحساس بحقيقة أنه يمكنها التفاعل مع بيئتها، وتبدأ في الإنقسام الذاتي لخلايا يفوق في عددها نجوم مجرة درب التبانة، ولديها القدرة على تلقي المعلومة ومعالجتها والتفاعل باستقلال مع المعلومة.

في حين أنه لا يمكن أن يبلغ الكمبيوتر مهما اشتد تعقيده أبسط درجات الوعي في كائن وحيد الخلية كالأميبا، ومع ذلك عملية تصنيع الكمبيوتر عملية واعية وذكية للغاية، أما الخلية الأولية كالأميبا التي تفوق في كل عضية من عضاياتها أعلى الكمبيوترات تعقيداً بل ربما لا مجال للمقارنة؛ لأن نسبة وعي أذكي الكمبيوترات على الإطلاق تساوي صفر، I.Q.=ZERO، ومع ذلك المطلوب أن نُصدق أن العشوائية أنشأت الأميبا والإنسان، والذكاء الإنساني لم يستطع أن يُنشئ أبسط صور الوعي، إنها أضيق حدود السذاجة إن استطعت ابتلاعها ابتلعت بعد ذلك أي شيء.

إنه السؤال المفصلي والجوهري بين الدين المنطقي والإلحاد العبثي.

فالإلحاد لا يطرح أجوبة بل يزيد المشكلة تعقيداً، فلا مبرر مادي للقدرة على الإحساس بالمعلومة ومعالجتها، وإخراج رد فعل ذكي، كما عند أي كائن حي، ولا مبرر مادي للتكامل على كل المستويات - ذاتية التنظيم والتنسيق وذاتية الانضباط -، لا مبرر مادي للإدراك والوعي والقيمة والهدف والغاية، بل لا مبرر مادي للحياة نفسها بوصفها كينونة مستقلة، لا يمكن لوصلات عصبية أن تُفرز القيمة والهدف والجمال والغاية والحس الأخلاقي والإمتنان للوجود والحياة، والشعور بالسمو والكيان، والقيمة والحرية، إن هناك وعي أعمق يؤثر على سلوك هذه الأسلاك العصبية.

ليست هناك آلية مادية لتشرح المعنى والوعي في حياتنا، إذا قال لك شخص تحبه أنه يجبك ساعتها سيفرز جسدك الإندورفين والدوبامين، في حين لو قررت الانفصال عنه وقال لك: إنه يجبك. ساعتها سيفرز جسدك الكورتيزول والأدرينالين، المعنى والوعي هو الذي يقرر السلوك المادي وليس العكس.

ليست هناك آلية مادية لتشرح كيف تصطدم فوتونات الضوء بشبكية عينك وتصنع صورة ثلاثية الأبعاد للواقع من حولك داخل خلايا مُحك المظلمة؟ إنها عملية لا يوجد للعلم إجابة عنها.. إنها الوعي.. إنها الحياة نفسها.

المادية لن تجيب عن معنى وجودنا، فالوعي لا يفهمه إلا الوعي، لهذا نحتاج إلى الدين، بالمنطق العلمي والعقلي نفسه الذي احتجنا به إلى المادية.

خرافة مادية العقل

لفظة العقل في صيغته الإسمية لم ترد في القرآن الكريم مُطلقاً، لكن وردت مشتقاته في صيغته الفعلية، مثل: عقلوا وتعقلون ويعقل ونعقل قرابة خمسين مرة، فالقرآن يهتم بالأفعال ونتائجها أكثر من اهتمامه بالتفاصيل النظرية، أيضاً العقل الذي يتحدث عنه القرآن الكريم ليس عقلاً مجرداً، أو جوهراً قائماً بذاته - فقد ورد بصيغته الفعلية فقط- وإنما هو ملكة زودنا الله بها لنستعملها في حدود رسمها لنا.

وبالفعل لا يوجد في علم وظائف الأعضاء جوهراً مادي يُسمى عقلاً، أو سلوك كيميائي يُنتج عقل، أو وصلات عصبية تنتهي بإفراز عقل، بل إن معرفتنا المادية العلمية للعقل لم تتقدم خطوة واحدة للأمام منذ العصر الحجري القديم، ومع أن الرئيس بوش أعلن أن العقد الأخير من القرن العشرين سيكون عقد أبحاث الدماغ، وبعد عقد كامل من الأبحاث المكثفة خرج ستيفن مورس Stephen Morse، أستاذ علم النفس في جامعة بنسلفانيا مخاطباً المؤتمر العالمي لعلوم المخ والأعصاب المنعقد في عام 2005 قائلاً أن «الأبحاث لم تتقدم خطوة واحدة للأمام وليست لدينا حتى مفاتيح الفهم للوعي والعقل».

ولذا يعترف روبرت كون Robert L.Kuhn الحاصل على الدكتوراة في بحوث المخ، أن هناك جوهراً غير مادي يتحد بالمخ ليفرز العقل، ولا مفر من اعتباره الروح التي يتحدث عنها المتدينون.

ويعترف ليونارد ملدينوف Leonard Mlodinow الفيزيائي الشهير والمشارك co-author في كتاب التصميم العظيم مع ستيفن هاوكنج أن الوعي والعقل غير ماديين⁽¹⁾.

والعقل هو مناط التكليف ويوجب على صاحبه النظر والاستدلال والقيام بما كلف به، ويمثل العقل ميزة فريدة وضعها الله عزَّوَجَلَّ في الإنسان؛ به يعرف ثم يعمل، ومن هنا كانت مسؤولياته، ولولا العقل ما صحَّت مُحَاكِمَةٌ ولا وُضِعَ دستور ولا عُرف حقٌّ من باطل، ومن هنا نحن لسنا مُخَيَّرِينَ في رفض التكليف الإلهي، طالما تمتعنا بالعقل⁽²⁾.

تبادل أيونات الصوديوم والبوتاسيوم

ينتابني شعور بالغيثان كلما طلب مني مُلحد أن أُسَلِّمَ بأن تطلعننا إلى الحق والخير والعدل والقيمة، نتيجة مباشرة لتحركات وتبادلات أيونات صوديوم وبوتاسيوم على جدران خلية عصبية في أمخاخنا، إن هذه التبادلات الأيونية يمكن أن نُجرِّبها على ورقة ترشيح داخل أي معمل فهل ستدرك ورقة الترشيح معنى الحق والعدل والقيمة؟

إن الإلحاد يطلب منا بانتظام الانتحار المتواصل لعقولنا.

(1) <https://www.youtube.com/watch?v=WGvzheu1JQA>.

(2) بعض الفقرات من كتاب ثم صار المخ عقلاً، د. عمرو شريف.

عندما يقوم أحد الكلاب بعضية لابن جارك؛ على المستوى المادي يُدرك الكلب أبعاد العضة بما أودع الله فيه من حياة، لكن الكلب لا يدرك معنى أن يطالبك والد الفتى بتعويض مناسب، وربما يحضر الكلب جميع مراحل التحقيق، ويرى الغرامة المالية تُدفع، ولكنه لا يدرك شيئاً من مغزى كل هذه الحركات، لأنه لا يعرف المعنى ولا القيمة ولا الحق المجرد، وأرقى الكائنات الحية على الإطلاق - القردة العليا- لا يوجد عندها ولو تصور بسيط للمعنى والقيمة، فالترميز والإدراك cognition and symbolism اللذين دخل بهما الإنسان إلى هذا العالم، واللذين من خلالهما يمتلك الإنسان معاني مجردة لا علاقة لها بهذا العلم المادي، فيعرف الحق ويعرف العدل، ويعرف أنه يجب السعي نحوهما ولو على حساب المادة ولو على حساب الرؤية الداروينية، الإنسان في هذه الحال يعلن تمرده على الرؤية الإلحادية ويعلن أنها رؤية فاشلة ولا تصلح له ولا مبرر لوجودها وتعاطيها مع أهم ما يميزه.

ولذا فقد دخل الإنسان إلى هذا العالم بمعرفة الأسماء المادية، والأسماء المجردة ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: 31]، وهنا فقط تميّز الإنسان ودخل التاريخ وبدأت اللحظة التي صنعت عصرًا جديدًا، فالحق والخير والعدل والقيمة أشياء لا تفرزها المادة ولا تصل للوعي من خلال تبادل أيونات صوديوم وبوتاسيوم على جدران خلية عصبية، ولن تفرز هذه التبادلات الوعي أصلاً، إن جوهر وجودنا ومعنى وجودنا لا يتأتى إلا بالتمرد على تلك الرؤية الإلحادية.

إن الممر الصوتي الذي يتكون من الحنجرة والأحبال الصوتية ثم البلعوم فالفم، هذا الممر الصوتي ينتج صوتاً نعم لكن لا يعرف شيئاً عما ينتجه، وليست لغتنا هي تقطيع لصرخات القردة العليا كما يحاول أن يقنعنا كهنة الإلحاد باستمرار، أو أن حركات النطق هي تطور لابتسامة الرئيسيات، إن لغتنا ليست منعكسات استثنائية reflexes كما عند القردة العليا، بل هي مخطط عقلي تجريدي يستخدم الحنجرة والممرات الصوتية والمراكز المخية العصبية لإفراز مكنون الذات الإنسانية، ولذا فعبارة واحدة يُمكن أن تُنشئ حضارة، ورسالة واحدة تؤسس لدين، وكلمة واحدة تُقيم حرب عالمية، إن معنى الكلمات شيء خارج عن تركيب الكون المادي بأسره، إن للإنسان معنى مفارق لهذا الوجود منه يستمد معناه وقيّمته ومن خلاله يعرف الحق والخير والعدل، وبه ينطق بالحق والخير والعدل، ويعرف معاني هذه الكلمات ﴿ وَبِحَقِّ اللَّهِ الْحَقِّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: 82].

الموسيقى تزيد نسبة الذكاء خرافة علمية⁽¹⁾

وضعت مجلة Nature المرموقة مقالا في عام 1993 تُثبت فيه أن الذكاء يزيد بفعل الموسيقى.. وكتب الطبيب [دون كامبل] عن تأثير [موتسارت]، وبدأت شركات الدعاية في ضخ آلاف الاسطوانات والألعاب وشرائط الكاسيت التي تمتلئ بموسيقى موتسارت، لتحفيز ذكاء الرُضع والتلاميذ.

ووصلت الدعاية إلى الحد الذي تحدثت فيه بعض الصحف أن الجنين لو استمع للموسيقى سيخرج أكثر ذكاءً مع أن تجربة واحدة لتأثير الموسيقى على الأجنة لم تحدث.

وكان من تأثير الدعاية الكاذبة أن خصّصت ولاية جورجيا في عام 1998 مبلغ 105000 دولار حتى يحصل كل مولود جديد على إسطوانة موسيقية.

وقامت فلوريدا بإلزام كل الحضانات بتشغيل الموسيقى للرضع بصفة يومية، وكان هذا قانوناً إلزامياً.

قانون رقم 660 الصادر عن مجلس الشيوخ بفلوريدا 21 مايو 1998

لكن الآن وبعد أن أُعيدت دراسات مجلة Nature مرات ومرات، يمكننا القول أن تأثير الموسيقى على الذكاء خرافة علمية.

فقد ثبت فيما بعد أن السبب في انتشار هذه المعلومة الخاطئة ليس مقال مجلة Nature وإنما الدعاية الضخمة.

وقد أظهرت أبحاث نان تايس وشيلينبيرج 1999 أن الاستماع إلى الموسيقى التفاضلية لموتسارت، يعادل في تأثيره الاستماع إلى فقرة من قصة مخيفة للكاتب ستيفن كينج المتخصص في قصص الرعب.

الخلاصة: كل ما تقدمه الموسيقى هو إثارة وقتية لبعض وظائف المخ لا تلبث أن تختفي بعد ذهاب المؤثر⁽²⁾.

(1) المصدر: أشهر 50 خرافة في علم النفس.. سكوت ليلينفيلد وستيفن جاي لين وجون روشيو وباري بايرستاين.. ترجمة محمد رمضان داوود وإيمان أحمد عزب.. كلمات للترجمة والنشر.. ص 82-89.

(2) هذه الإثارة الوقتية للموسيقى أيضا تؤدي إلى نتائج سلبية على كثير من البشر وتؤدي إلى خلل ضربات =

خرافة الحتمية التربوية

هناك متدينون عديمو الثقافة، ومتوسطو الثقافة، ومرتفعو الثقافة.

هناك ملحدون عديمو الثقافة، ومتوسطو الثقافة، ومرتفعو الثقافة.

الإلحاد قضية إيمانية مجردة لا علاقة لها بالمستوى الثقافي أو التحصيل العلمي أو الأفق الإدراكي المعرفي من قريب أو بعيد.

الإلحاد قضية دينية خالصة، وموقف فلسفي متكامل، ورؤية شمولية للكون والحياة.

هناك بلطجية ولصوص وخونة ومجرمون سوقة، يسبون الدين ليل نهار، لا يعرفون معروفاً ولا يُنكرون مُنكراً، ولا يؤدّون حق الله ولا حق الخلق، هؤلاء الأراذل لو تربوا في بيئة طاهرة نظيفة، وتلقوا تعليماً عالياً وفكرًا راقياً سيصبحون علماء ملحدين، ومفكرين علمانيين، وكهنة إلحاد خبثاء.

بعد دراسات نفسية مستفيضة تبين أن التدريب لغو فارغ، وأن أصل الإنسان الذاتي الداخلي هو المعيار الوحيد، وهو المحرك الأوحده EGO effect -هذا المصطلح من نحتي.

Mischel, W. introduction to personality. New York

إن التدريب وإن قام بفرض السلوك الصحيح فهو في جوهره لا يُغير في النتيجة النهائية شيئاً، ولعل أكثر الأمور دهشة حين يتحول أعتى الطغاة أو المذنبين بين يوم وليلة إلى شهداء متواضعين ولم تسبق هذه التوبة عملية إصلاح أو إقناع، إنها حركة في أعماق الروح، إنه تحول ينبع من ذات الإنسان فلا توجد علاقة شرطية ولا حتى تفسير عقلي، فجوهر هذه الدراما هو الحرية والخلق.

= القلب Arrhythmia وفي حالات كثيرة تؤدي إلى الوفاة نظرا لتأثيرها الضار على انتظام ضربات القلب... وقد سُجلت بالفعل العديد من الحالات التي كانت الموسيقى سبباً مباشراً في توقف قلبها music causes sudden arrhythmic death syndrome.

<http://audiologyjobs.co.uk/98/news/loud-bass-music-and-sudden-arrhythmic-death-syndrome/>

فالخير والشر في باطن الإنسان ولا توجد قوانين يمكن بها إصلاح الإنسان، فكل ما تستطيعه القوانين أو التدريب أن تُغير السلوك ظاهرياً، إن اليقظة الروحية والهداية تلقائيتان، إنهما نتاج حركة الروح.

فالتدريب لا تأثير له على الموقف الأخلاقي للإنسان، لا يوجد تدريب مادي لتصبح المرأة شريفة أو يصبح الرجل أميناً فهذه صفات الروح، فالتنشئة الحقيقية هي تنشئة ذاتية وهي مناقضة للتدريب وفي هذا الحجة الأولى والأقوى للروح.

إن أروع الروايات الأدبية تُرأى هي تلك الروايات التي تتحدث عن شخصيات خاطئة ظاهرياً بينما هم في أعماقهم طاهرين نبلاء، في مقابل شخصيات طاهرة ظاهرياً بينما هي مفرغة من الأخلاق بمجرد أن تخلو بنفسها. هذا التقابل بين هذه الشخصيات هو أسمى ما يميز الروح الإنسانية وإذا لم يكن هناك روح فلن يكون لهذه الروايات معنى.

إن القضية الوجودية الكلية هي قضية سرائر، والمحاكمة الكبرى محاكمة يوم القيامة هي محاكمة السرائر ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: 9].

وأول مَنْ تُسعر بهم النار يوم القيامة هم أنقى الناس وأفضلهم عملاً في الظاهر، كما في الحديث الصحيح، فالإلحاد هو دين كل فاجر، ولا يوجد في جهنم أبرياء، ولا في حظيرة خنازير الإلحاد طاهر.

خرافة الهيومانية بديلاً عن الدين

هل يمكن أن تحل الهيومانية Humanism - الإنسانية - بديلاً عن الدين؟

هل يمكن أن يحيا الجنس البشري بلا دين؟

هل يمكن التأسيس للقيمة والمعرفة والغاية والأخلاق في غياب الإله؟

لقد عاش الجنس البشري آلاف السنين تحت تأثير الدين، واستطاع الدين أن يوفر جميع أوجه الحياة الأخلاقية والقانونية والعقائدية وحتى اللغة، ومن ثم فممن حقنا أن نتساءل عما إذا كان من الممكن إنتاج جيل ملحد إلحاداً كاملاً؟ لكي تنجح هذه المحاولة لابد من التنشئة في عزلة تامة عن كل دين وعن كل فن وعن كل دراما للوجود الإنساني، وإلغاء كل ما يمكن

أن يستحضر النشء أمامه من رؤيا لعالم آخر، وبالتالي إلغاء جميع الأعمال الفنية التي تُصور صراع الإنسان في العالم وتطلعه لعالم أفضل؛ لأن كل هذه الأمور ستؤدي إلى شعور الإنسان بالاغتراب في هذا العالم، وهو شعور ميتافيزيقي روحاني بحت.

في الواقع هذا أمر صعب في الوقت الراهن؛ لأن الملحدين يعيشون في ظلال الدين، ويمكننا أن نزعّم أن كل أخلاق الملحد هي مجرد تأثر بالدين ومبادئه الأخلاقية الأساسية، بطريقة صامتة غير محسوسة ولكنها ثابتة، فقد تربى الملحد في ظلال الدين عشرات السنين وهو في نقده للدين يتأثر بأخلاق من ينتقدهم، - إن جوهر الإنسان في أخلاقياته وليس في طبيعته المادية هذه حقيقة ثابتة-.

إن أخلاق الملحد هي عطية الدين هكذا علينا أن نزعّم إلى أن ينشأ مجتمع إلحادي كامل. لكن بعيداً عن زعمنا، سنحاول أن نتصور تصوراً إستمولوجياً - معرفياً- مجرد صورة مبسطة للقيمة والأخلاق من منظور مادي إلحادي مجرد بناءً على رؤية الملحدين أنفسهم.

أثبت فلاديمير لينين - مؤسس الدولة البلشفية الملحدة- أن الأخلاق خدعة ميتافيزيقية، وقرّر فريدريك إنجلز- أبو النظرية الماركسية - في كتابه "أصل العائلة والدولة والملكية الخاصة"؛ أن النظام الأسري نظام برجوازي، وأن شيوع النساء وإلغاء منظومة الزواج هو الحل الأقرب لروح الإلحاد المادي.

لكن لماذا لا نكون أكثر تفاؤلاً وأكثر تنزلاً، ونفترض أنه تم التأسيس للمجتمع الإلحادي الكامل بناءً على أخلاق مثالية! أخلاق كاملة كالتي نادى بها الدين، أخلاق أصلية واضحة وراسخة في الذهن البشري!

لكن في هذه اللحظة على دعاة الإلحاد أن يطلبوا من الناس مزيداً من المثالية والتضحية، ربما أكثر مما طلب أي نبي من قومه بإسم الدين، فليس ثمة إغراءات ماورائية، وليس ثمة تطلع أخروي يبرر التضحية والإلتزام بالمثُل العليا التي هي جوهر القضية الأخلاقية! وكما يقول المفكر الإنجليزي جون لوك: «إذا كان كل أمل الإنسان قاصراً على هذا العالم، وإذا كنا نستمتع بالحياة هنا في هذه الدنيا فحسب، فليس غريباً ولا مجافياً للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبناء».

إنها معضلة وأي معضلة؛

لكن سنتنزل مرةً أخرى ونتصور أنه تم التأسيس للمجتمع الإلحادي الكامل، ونتصور أن هؤلاء الملحدين قرروا التضحية وتبني نموذج أخلاقي، إمعاناً في تحدي مجتمع المؤمنين، وقرروا أن يتركوا الشر والظلم، وقرروا أن يلتزموا بالأخلاق المثالية، هنا ستظهر المعضلة التي بلا حل، فداخل العالم الإلحادي لا يوجد معنى مادي للشر أو الظلم، فالشر أو الظلم هو وضع الشيء في غير محله، ومحل الأحداث في عالم الإلحاد المادي، هو نفس المحل الذي تحدده القوانين الفيزيائية، وبما أنه لا توجد ذرة تخالف تلك القوانين، إذن كل حدث في الكون المادي قد وُضع في محله المادي، ولذلك المفترض ألا يوجد في المجتمع الإلحادي ولا في الكون المادي ظلم أو شر.

فالإنسان مُستوعب تماماً في الطبيعة، قوانين الطبيعة هي قوانينه، تسري عليه الحتمية المادية الفيزيائية بمنتهى الأدوات المعرفية، فلا يمكن الاستقلال برؤية متجاوزة أو مغايرة لما تفرضه المادة، وإلا لاعتبرنا أن للإنسان أصلاً آخر ومقدمة أخرى وانهار الإلحاد.

أيضاً العقل مادة مُتلقية طبيعية لا تتجاوز هذا الإطار، والحالة النفسية الحاكمة في النموذج الإلحادي هي حالة نفسية للمادة وليس للروح، وبالتالي لا يمكنها أن تُخطئ حالة ماديةً أخرى، فحتى تناطح الذرات هو تصرفٌ لا خطأ فيه ما دام موافقاً للقوانين الفيزيائية الصحيحة.

وطبقاً لهذه الرؤية الإلحادية المادية الحتمية فإنه في المرحلة التالية سيتنازل الإنسان عن مركزيته، فالإنسان من منظور مادي إلحادي ليس هو المركز بل المركز هو الطبيعة المادية وقوانينها وحتمياتها، وبالتالي سيحل محل مركزية الإنسان مركزية الطبيعة باعتبارها المطلق الأول، وهذا يعني انهيار المشروع الهيوماني (مشروع الإيمان بالإنسان) وبذا يُصَفَى الإنسان على حد تعبير الدكتور عبد الوهاب المسيري لحساب الطبيعة، وسيتم استيعابه تماماً ويسقط في هيمنة المادية الحتمية، ويصبح أي حديث عن الإنسان أو قيمه أو مركزيته هو حديث ملوث ميتافيزيقياً، ويتحول الإنسان إلى حيوان مادي مجرد ويعود للصراع الدارويني الذي دخل به التاريخ.

وفي هذا الإطار المادي التجريدي يصبح الحديث عن الهيومانية لغو فارغ، وتتحول الشعارات إلى سخافة لا معنى لها، فما معنى حماية المعاقين أو المرضى الوراثيين أو تقديم يد العون لهم؟

إن محاولة من هذا القبيل تأتي ضد الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح، وإذا كانت الرؤية الداروينية هي الرؤية الصحيحة وكانت حمايتها هي الأصل الثابت، فلن يستوعب الإنسان أصلاً فكرة حماية المعاق أو تقديم يد العون للضعفاء، بل إن تعقيم المعاقين - منعهم من الإنجاب- هو الحل الدارويني الأمثل والأوحد.

أيضاً في الإطار المادي الحتمي الإلحادي كيف تتم المناادة بمفهوم الإنسانية الهيومانية، في عالم يحكمه البقاء للأصلح؟ بل إن أية محاولة لمعادنة هذا الإطار المادي هي محاولة فاشلة؛ لأنها تأتي ضد التطور وضد قوانين الحتمية المادية التي تسري على الوجود.

يقول الدارويني جيمس هيل James J. Hill «إن الثروات تُحدّد تبعاً لقانون البقاء للأقوى»⁽¹⁾.

ويقول تايل Tille « من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفقر أو الإفلاس أو مساعدة الضعفاء أو محدودى الإنتاج.. مجرد مساعدة هؤلاء خطأ جوهري في النظرية الداروينية؛ لأنه يتعارض أساساً مع الانتخاب الطبيعي natural selection وهو جوهر الداروينية»⁽²⁾.

وطبقاً لهربرت سبنسر Herbert Spencer فإن «فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم تعارض أبسط بديهيات الانتخاب الطبيعي، وكذلك مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم»⁽³⁾.

هذه هي الصورة التي يتيحها الإلحاد المادي، إنها المعادلة المستحيلة.. يستحيل أن يتم التأسيس للأخلاق داخل المنظومة المادية، لا يوجد داخل العالم المادي الهيوماني ما يُفرح الإنسان أو يسليه، أو يؤسس لقيمه أو يؤسس لمبادئه أو يؤسس لأخلاقياته، يستحيل أن يوجد داخل المنظومة المادية ما يجعل الإنسان إنساناً.

فالأخلاق والقيمة تمثلان ثغرة في النظام الطبيعي، فالأخلاق ثغرة معرفية كبرى في النسق الكوني، ولذا لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة وحتميات ماركس التاريخية، أو حتميات

(1) Martin, James J. Hill pp 414-15.

(2) Williams, Raymond. 2000. Social Darwinism. In Herbert Spencer's Critical Assessment. John Offer..

(3) Social Status, p.414-415.

داروين العضوية أو حتميات دوركايم الإجتماعية، هذا الاختلاف بين الأخلاق والطبيعة يُعبّر عن نفسه في الاختلاف بين المؤشّر في العلوم الطبيعية والمؤشّر في العلوم الإنسانية. فالأخلاق تسير عكس الطبيعة أو بمعنى أدق لا علاقة لها بالطبيعة، فالأخلاق ثغرة في الزمان فهي نتاج خلق والله خلقها كاملة؛ لأن الله لا ينتج ولا يشيد وإنما يخلق، وهذا يؤكد أصالة ظهور الإنسان.

فالأخلاق عقلياً غير مربحة بل ضارة بل هي أكبر عبء على صاحبها وقد تساءل ماندفيل Bernard mandeville أستاذ علم الأخلاق الإنجليزي ما أهمية الأخلاق لتقدم المجتمع والتطور الحضاري؟ وأجاب ببساطة: لا شيء بل لعلها تكون ضارة.

ولذا فالأخلاق لم تتم البرهنة عليها عقلياً إلى الآن، والأخلاق والدين هما أقدم الأفكار الإنسانية تراً، وقد ظهرها سوياً مع الإنسان كل هذا يؤكد أصالة الظهور الإنساني وغائية الأخلاق التي يحملها، إنها اللحظة التي صنعت عصرًا جديدًا.

إن الإنسان يتحرك في الحياة وهو يعلم يقيناً أنه ليس مُفصل على طراز داروين، ولذا يرفض باستمرار إلحاح العلم المتزايد على أن الجنس الأبيض أفضل من الأسود، أو أن إبادة المعاقين والضعفاء خيرٌ للجنس البشري، أو أن الإنسان حيوان مادي، وهذا يؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يرفض التكليف الإلهي بداخله، وأن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني!

وتأتي النزعة الهيومانية الإنسانية الجديدة كتوكيد عجيب على هذا الأمر، فهي تستقي مبادئ غير مادية وغير علمية، تؤسس بها لمفاهيم مستقلة عن الوجود المادي، وتؤكد بها أن الإلحاد يرفض أن يكون إلحاداً، وأن الملحد في قمة إلحاده يترفع عن المادية الحتمية، ولذا لنا أن نتساءل: إذا كان الله غير موجود كما تزعمون، فلماذا التمحك في ظلاله؟

لماذا محاولة التأسيس لفلسفة هيومانية ملوثة ميتافيزيقياً؟

إذا كان الإنسان ابن المادة ومن المادة وإلى المادة، فلماذا الحديث عن سموه أو قيمته أو مركزيته؟

إن الهيومانية هي توكيد متزايد على أن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، وأن الإلحاد شيء والإنسان الروح والجسد شيء آخر تماماً.

لقد حاول كهنة المادية الإلحادية الغربية بعيداً عن هذه الرؤى الميتافيزيقية، تحليل ظاهرة الوجود الإنساني، فوجدوا أن الإنسان لا يعدوا كائن طفيلي لا يوجد ما يميزه، ولذا فقد ظهرت دعوات تعميمية تُنادي بإلغاء التفرقة بين البشر والحيوانات والحشرات، بل والنبات، ومحكمة كل من يتعرض للفيروسات أو دودة الأرض؛ لأنه بيولوجياً لا فرق بين الإنسان ودودة الأرض فكلاهما على نفس الدرجة من التطور النوعي.

يقول كريستوفر مانيز christopher manes: «لا يوجد مستند لرؤية البشر ككائن أرقى من غيره»⁽¹⁾.

وفي سويسرا ظهرت قوانين عدم إذلال النباتات⁽²⁾.

ويقول بيتر سنجر الأستاذ بجامعة برينستون princeton university: «حياة رضيع ليست أعلى داروينياً من حياة شهبانزي أو خنزير»⁽³⁾.

و يقول الدارويني الأمريكي james lee: «يجب تقليل عدد البشر قدر الإمكان، يجب إيقاف الزواج وقتل الرضع» وقد اتخذ هذا الدارويني وسائل حقيقية لقتل البشر باعتبارهم طاعون، وحيوان طفيلي فاسد، وفي سبتمبر 2010 قتل جيمس لي حين اتجه إلى موقع قناة ديسكفوري وأخذ ثلاث رهائن وكان معه بعض القنابل، إلا أن الشرطة لم تمهله وأردته قتيلاً، قبل أن يُنفذ مخططه الدارويني⁽⁴⁾.

يقول فرانسيس فوكوياما في كتابه الأشهر نهاية التاريخ: «حقوق الانسان لها مشكلة فلسفية عميقة إذ لا بد أولاً أن نفهم الإنسان قبل أن نبحث في حقوقه، نفهم طبيعة الإنسان، فالعلوم الطبيعية الحديثة تشير إلى أنه ليس ثمة فارق بين الانسان والطبيعة، وعندما نوسع في المساواة التي تنكر وجود أي اختلافات بين البشر فيمكن أن يشمل ذلك إنكار وجود اختلافات

(1) christopher manes , the green rage.

There is no basis for seeing humans as more advanced or developed than any other species .

(2) <http://planetsave.com/2008/10/18/switzerland-places-ban-on-the-humiliation-of-plants/>.

(3) <http://www.lifesitenews.com/news/princeton-professor-singer-and-i-repeat-i-would-kill-disabled-infants>.

(4) <http://abcnews.go.com/US/gunman-enters-discovery-channel-headquarters-employees-evacuated/story?id=11535128>.

هامة بين الانسان والقرودة العليا، وتنشأ عن ذلك أسئلة لا حصر لها، إذ كيف يكون قتل البشر غير مشروع، في حين قتل هذه الحيوانات ليس كذلك، وسنصل حتمًا في مرحلة ما إلى السؤال التالي: ولماذا لا تتمتع الطفيليات المعوية والفيروسات بحقوق مساوية لحقوق الإنسان؟

إن عدم اهتمام الناس بهذه المساواة يوضح أنهم لا يزالون يؤمنون بمفهوم ما عن تفوق قدر الانسان، وحتى حماة الطبيعة وحماة الحيوانات، هم فقط يدافعون عن الحيوانات لأنهم يحبون بقائها معنا، ومجرد إفنائها لا سبيل لتعويضه مع ضياع فوائد ربما تُكتشف منها مستقبلًا، فحتى حماة الحيوانات هم للإفادة منها وليس من أجلها وهذا عكس حقوق الحيوان، إن مفهوم التوسع في المساواة أدى إلى حيرتنا الراهنة، إننا لو كنا نؤمن حقًا أن الإنسان مجرد كائن في سلسلة حيوانية يخضع لقوانين الطبيعة ليست له قيم متجاوزة، هنا كان لابد أن تتساوى الكائنات جميعًا في الحقوق، وسيعرض ساعتها المفهوم المساواتي للبشر للهجوم من أعلى ومن أسفل، ولا يسمح لنا هذا المأزق الفكري الذي أوقعتنا فيه النسبية الحديثة بأن نرد على هذا الهجوم أو ذاك، وبالتالي لا يسمح لنا بالدفاع عن الحقوق المساواتية - فإما طبقية متفحشة أو مساواتية مستحيلة -⁽¹⁾.

إنه تحليل مدهش وحقوقي للمأزق الهيوماني، فإن فرانسيس فوكوياما يرى أن المساواة مستحيلة داخل المجتمع المادي، حيث يتحول الإنسان داخل هذا النموذج إلى كائن قانع بسعادته غير قادر على الإحساس بالحنج عاجز عن الارتقاء فوق مستوى احتياجاته وبالتالي فإن الإنسان لم يعد إنسانًا⁽²⁾.

أليس الإنسان الكامل في هذه الصيغة هو كائن فحج جدير بالإحتقار- والكلام لفرانسيس فوكوياما- كائن عاطل عن الإجتهد والطموح - وهنا تضع ملحمة الوجود الإنساني ودراما الحياة الإنسانية.. لقد مات الإنسان في النموذج المادي⁽³⁾.

بل إن فرانسيس فوكوياما يصف الملحد في هذه المرحلة بالكلب، يقول فوكوياما: إنه داخل ذلك العالم سيصبح الناس حيوانات من جديد كما كانوا قبل المعركة الدامية التي بدأ

(1) المصدر: فرانسيس فوكوياما.. نهاية التاريخ وخاتم البشر..ترجمة: حسين أحمد أمين.. الطبعة الأولى 1993 مركز الأهرام للترجمة والنشر ص 259 والكلام له بالحرف إلا ما بين --.

(2) المصدر السابق ص 17.

(3) المصدر السابق ص 18 إلا ما بين --.

بها التاريخ، إن الكلب يقنع بالنوم في ضوء الشمس طوال اليوم شرط أن يُطعموه، وذلك لأنه راض بما هو عليه ولن يقلقه أن غيره من الكلاب حالها أفضل من حاله، أو أن مستقبله ككلب قد جُمد أو أن كلابًا في بقعة نائية من العالم تصادف المذلة والهوان⁽¹⁾

و يتنبأ فوكوياما في صفحة 274 من كتابه أن حياة مجتمع مادي إلحادي هيوماني كامل هي حياة بلا فنون ولا أدب ولا دراما ولا كفاءة، وقليلون سيتصدرون للخدمة العامة وستكون الحرف مبتذلة وغير متطورة، وفي مرحلة ما سيكون هذا المجتمع عاجزًا عن الدفاع عن نفسه في وجه الحضارات الأخرى حيث الحضارات الأخرى أصحابها على استعداد لهجر الراحة والأمن ويخاطرون بحياتهم من أجل القيمة.

وإذا كانت الهيومانية تسعى للتأسيس لفلسفتها في إطار العلم بعيدًا عن الدين، فماذا لو أثبت العلم أن العرق الأبيض أفضل بيولوجيًا من الأسود؟ وأنهم في مرتبة أعلى في سلم التطور، هل سيتم الفصل العنصري بين البيض والسود داخل المجتمع الإلحادي الهيوماني؟ أم ستم معاندة العلم والبيولوجيا ومعاندة الانتخاب الطبيعي وإقرار المساواة بين البيض والسود، وساعتها ستكون أكبر خيانة للتطور وأكبر ضربة للماديين؟

بالمناسبة: هناك آلاف الأبحاث التي أثبتت تفوق الجنس الأبيض على الجنس الأسود ماديًا وبيولوجيًا، منها قديمًا أبحاث عالم الإنسانيات الشهير صموئيل مورتن Samuel Morton وأبحاث لويس أجاسي Louis Agassiz الذي كان يقول بأن البيض ليسوا سفّاحين حين أبادوا الهنود الحمر، ولكنهم يتبعون قضية حتمية في تشكل الأعراق، فهذه هي حتمية العلم، وحديثًا ظهر كتاب قوس الجرس bell curve أكثر الكتب مبيعًا في السبعينات، وهو الكتاب الذي يتحدث عن أنه لا فائدة من تعليم السود أو تحصينهم من الأمراض؛ لأنهم أضعف عقلاً وأفقر ذهناً من البيض ولا بد من إنفاق المال في أمور أكثر فائدة.

ماذا لو أثبت العلم تفوق الرجل على المرأة ماديًا؟ وأن الرجل في مرتبة أعلى بيولوجيًا من المرأة، هل ستم المساواة بين الجنسين داخل المجتمع الإلحادي، أم سيكون هذا مطلب غير علمي غير عقلاني عبثي ميتافيزيقي يقف في وجه التطور وحتميات الطبيعة؟

(1) المصدر السابق ص 271.

بالمناسبة: المرأة طبقاً لأدبيات التطور لها تصنيف في السلسلة الحيوانية مستقل تماماً عن تصنيف الرجل، فالمرأة تندرج تحت تصنيف *Homo parietalis* بينما الرجل تحت تصنيف *Homo frontalis* فدراسة حجم الجمجمة في القرن التاسع عشر أثبتت وجود فرق جوهري في حجم المخ لصالح الرجل بمقدار 12-19 % وكتب كارل بروكا *bruca* يقول أن مخ المرأة أضعف بكثير من مخ الرجل.

فحجم المخ الخاص بالمرأة يكاد يطابق ذلك الخاص بالغوريلا، والمرأة تأتي في المرحلة السفلى من مراحل تطور الإنسان⁽¹⁾.

ويرى داروين أن المرأة لا تصلح إلا للمهام المنزلة، وإضفاء البهجة على البيت، - فالمرأة في البيت أفضل من الكلب -⁽²⁾.

هذه الرؤية الإلحادية الهيومانية للإنسان بصورتها الحقيقية، فالإلحاد حرر أتباعه من أية أعباء أخلاقية، وإذا لم يتم تبني هذه الرؤية في المنظومة الهيومانية فهذا يعني انهيار الأساس الذي بُنيت عليه الهيومانية، وبالتالي استقاء عناصر غير مادية من خارج المنظومة الهيومانية، سيكون اعترافاً بعدم صلاحيتها كمنظومة فكرية مستقلة لتفسير المغزى الوجودي!

إن الأمر الذي لا يجب أن نغفله هنا؛ هو أن الحروب العالمية كانت دائماً نتاج المجتمعات الأرسوقراطية الملحدة، والإلحاد هو الذي زوّد الإمبريالية الغربية بإطار نظري لإبادة الملايين بإسم العرقية المادية، والبيولوجية الداروينية، ولن تتجاوز الهيومانية هذه الرؤية مهما تظاهرت بخلاف ذلك، وعلى الهيومانية أن تتبنى بمنتهى الهدوء اليد الخفية عن آدم سميث، والمنفعة عن بنتام، ووسائل الإنتاج عند ماركس، والجنس عند فرويد، وإرادة القوة عند نيتشه، وقانون البقاء عند داروين، والطفرة الحيوية عند برجسون، والروح المطلقة عند هيجل، وإلا فالهيومانية ستعتبر تمرد على المادية الحتمية⁽³⁾.

هذا هو الإلحاد الهيوماني عند التطبيق، وهذا هو أصل معركته وشعارها وديارها، وفي هذا

(1) Gould, *The Mismeasure of Man*, p.105.

(2) Charles Darwin, *The Autobiography of Charles Darwin 180 1882*, New York pp. 232-233.

(3) العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة د. عبد الوهاب المسيري دار الشروق طبعة 2002 المجلد الأول ص240.

السبيل قامت حربان عالميتان أُبِيدَ فيهما قرابة 120 مليون نسمة، وكانت حروب من الدموية بحيث أرجعت كلاً من المنتصر والمهزوم ثلث قرن إلى الوراء، فالحربان العالميتان اللتان أبادتا حوالي 5 % من سكان العالم كانتا نزاع إلهادي- إلهادي، وقام الفلاسفة بوضع مبولة في وسط باريس بدلاً من تمثال الجندي المجهول كنايةً عن نهاية الحضارة.

وقد اعتبر الليبرالي الشهير - رئيس الولايات المتحدة السابق - جون كوينسي آدمز John Quincy Adams أن حرب البيض ضد الهنود الحمر هو قانون الطبيعة، ولهذا القانون تطبيقاته الواسعة جداً⁽¹⁾.

فاستئصال طبقة كاملة من الناس، وتفرغ قارتين كاملتين من البشر- تفرغ الأمريكتين من الهنود الحمر- ما كان ليحدث لولا الرؤية المادية للوجود الإنساني، وقد اعتبر الليبراليون الأوائل أن إبادة الهنود الحمر نوع من الدفاع الشرعي، ونتيجةً لذلك: تقلص عدد الهنود الحمر من 10 مليون الى 200 الف نسمة خلال سنوات قليلة ولذا يقول سيمون بوليفار Simón Bolívar محرر أمريكا اللاتينية: «يبدو ان الولايات المتحدة تسعى لتعذيب وتقييد القارة باسم الحرية»⁽²⁾.

وليست إبادة الملايين في أرخبيل الكولاج The Gulag Archipelago على يد الملحد لينين والملحد ستالين، إلا من خلال مبرر إلهادي شيوعي، وليست إبادة 22% من سكان كمبوديا إلا بمبرر إلهادي على يد بول بوت pol pot، وليست إقامة الحرب العالمية الثانية كلها إلا بمبرر قومي مادي عرقي ألماني على يد أدولف هتلر، وليست الثورة الثقافية في الصين التي راح ضحيتها 22 مليون نسمة إلا بمبرر إلهاد ماوي Mao zedong، فالحرب في الإلحاد غاية في ذاتها، والمكاسب المادية وتفرغ القارات من البشر، وتطهير الأعراق ليست كلها إلا إفرازات داروينية مادية، ورؤى عرقية طبيعية، وهذه الرؤى هي التصور المستقبلي للهيومانية حال التطبيق!

يقول ريتشارد فيكارت Richard Weikart: «لقد نجحت الداروينية أو تأويلاتها الطبيعية، في قلب ميزان الأخلاق رأساً على عقب، ووفرت الأساس العلمي لهتلر وأتباعه،

(1) Robert Remini, John Quincy Adams (2002).

(2) ناعوم تشومسكي الايديولوجية والاقتصاد ص6.

لإقناع أنفسهم ومن تعاون معهم، بأن أشنع الجرائم العالمية، كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة»⁽¹⁾.

لكن الإنسان له روح خاصة مستقلة عن جميع المخلوقات؛ فهو ليس مُفصَّلاً على طراز داروين، ولم يوجد من أجل الصراع، إنما وُجد عبادة الله من إقامة الحق أيّاً كان مَنْ اتبع الحق سواء كان أبيض أو أسود، أما العقل الإلحادي المادي الهيوماني فقد قام بتفكيك البشر بصرامة بالغة ليس فيها موطنٌ للمشاعر الإنسانيّة، والقيّم الروحيّة.

إن البحث عن السعادة على الأرض من منظور إلحادي هو شكل من أشكال الغرور الإنساني، وهو يعني القول بمركزية الإنسان، وأن له مكاناً خاصاً في الكون وبداهة لا يمكن القول بوجود غائية إنسانية مستقلة عن الغائية الطبيعية أو المادية.

ولا يأتي الإيمان بمركزية الإنسان وقيّمته وسموه إلا بالإيمان بمُطلق أعلى يتجاوز المادة، فالمساواة بين البشر هي مسألة دينية بحتة، فإذا لم يكن الله موجوداً، فالناس بجلاء وبلا أمل غير متساوين، وتأسيساً على الدين فقط يستطيع الضعفاء المطالبة بالمساواة.

ولذا يقول الدكتور المسيحي رحمه الله: إن الإله هو التركيب اللانهائي المفارق لحدود المُعطى النهائي، هو النقطة التي يتطلع إليها الإنسان ويحقق التجاوز من خلالها، ومن ثمّ بغيابه يتحول العالم إلى مادة طبيعية صماء، خاضعة لقوانين الحركة والصرورة التي يمكن حصرها وإحاطتها والتحكم فيها، وينضوي الإنسان تحت نفس النمط؛ إذ بغياب الإله يتحول الإنسان إلى كم مادي يمكن أدلجته وقولبته في إطار مجموعة من المعادلات الرياضية الميته، وفي هذه اللحظة تموت الروح ويتبعها موت الإنسان، فالإيمان بالإنسان وقيّمته ومركزيته وسموه هو إيمان يتجاوز حركة المادة وديناميكيّتها... فعندما يُقرر الإنسان أن ينسى الإله في هذه اللحظة بالذات يكون قد نسي نفسه ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الحشر: 19].

فالإنسان كائن أقدامه مغروسة في الوحل وعيونه شاخصة للنجوم.

كائن ميتافيزيقي يسأل أسئلة نهائية عن معنى الكون.

(1) Richard Weikart.. from Darwin to Hitler.. p.215.

أقصى مُتعة لا تكفي إنسان يعلم أن وُلد ليموت.

بدون وجود إله تفقد كل الكائنات حدودها وحيزها وتنشأ إشكاليات في النظام المعرفي والأخلاقي، وتفقد الأشياء حدودها وهويتها ويصعب التمييز بينهما، كما تختفي التفرقة بين الخير والشر، وتختفي الإرادة والمقدرة على التجاوز وتسود الواحدية والحتمية، وقد اختصر رئيس التشيك فاكيلاف هافل هذه الإشكالية الكبرى فقال عبارته الرائعة: «حينما أعلنت الإنسانية أنها حاكم العالم الأعلى، في هذه اللحظة نفسها، بدأ العالم يفقد بعده الإنساني». فالفلسفة الهيومانية ضحّت أول ما ضحّت بالإنسان.

ومنذ اللحظة التي هبط فيها الإنسان من السماء منذ المقدمة السماوية لا يستطيع الإنسان أن يختار أن يكون حيواناً بريئاً أو يكون إنساناً مُحَيَّرًا، لمر يكن بإمكانه أن يختار بين أن يكون حيواناً أو إنساناً، إنما اختياره الوحيد أن يكون إنساناً أو لا إنساناً: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: 72].

فالإنسان هو المركز والطبيعة هي الهامش

هذا هو الإنسان وهذه هي طبيعته الحقيقية، وعلى الهيومانية أن تتقبله في هذا الإطار، وأن تستمد قيم معرفية متجاوزة، وأن تتجاهل الرؤية المادية الإلحادية الداروينية كتحليل لظاهرة وجوده، وهذا يعني أنها لن تصبح هيومانية وإنما ديناً جديداً، وفي هذه اللحظة تفقد أهم سماتها وخصائصها، وينهار المشروع الهيوماني ككل.

الفصل الثالث

شبهات الإلحاد الجديد

الفصل الثالث

شبهات الإلحاد الجديد

مؤتمرات تثبيت عقيدة الإلحاد الجديد التي تجري على قدم وساق داخل كنائسهم، مادتها الوحيدة هي شبهات حول الدين، فلا يملك الإلحاد حُجة مستقلة فحُجج المنطق نوعان، حُجج سالبة weak وحُجج موجبة strong وجميع حجج الإلحاد من النوع السالب، فهذا هو أصل الإلحاد، فلا يملك الإلحاد حُجة واحدة تدعمه وإنما يتغذى على نقد ما عند الآخر، ولذا يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148].

فليس عندهم علم مستقل يؤسس لكفر، وإنما غاية جهدهم نقد الآخر، ولذا يترك أحدهم الدين ثم يصبح كالبيت الخرب تصفر فيه الرياح، ولا يحتله ساكن جديد إلى أن يتحول الملحد إلى أحد المذاهب التي يعترف هو مسبقاً بفسلها في تقديم حل متكامل، فيتحول الملحد إلى ليبرالي أو شيوعي أو سادي مازوخي أو بوذي أو يعبث بالغازات الكونية -الآرجون-، أو يصير من عبدة الشيطان، أو يتهجم كالتائه إلى أن تأتيه منيته وهو على ذلك.

ونحن في هذا الفصل سنعرض لأشهر الشبهات التي يروجها الإلحاد الجديد في ندواته، وسندمر أسسها- إن شاء الله-..

وجود الشبهة في أصلها يعني نهاية الإلحاد

عندما يأتي ملحد بشبهة فهو قد قرّر أن إلحاده انتهى:

فالشبهة تعني تمرد على قوانين الطبيعة المادية الحتمية، ودعونا نشرح هذا الأمر!

عندنا حامض وقاعدي... نضيفهم في المعمل.... تكون النتيجة ملحاً وماءً... لو تكررت هذه التجربة مليار مليار مرة لن تتغير... قوانين حتمية..

الآن الملحد يقول: لا لا لا..... يمكن ان تكون النتيجة عسل أبيض وليس ملح وماء...، ثم فجأةً يكتشف العسل أنه المفترض أن يصير ملح وماء فيعرف خطأه الشديد ويندم. هذا هو السيناريو الذي يدعّمه الملحد عند طرح أي شبهة والمفترض أن نُصدقه والمطلوب أن نُسايره!!

الآن الملحد تحكمه قوانين حتمية مادية كالتي تحكم الحامض والقاعدي، لن يفر منها... السؤال هو: كيف استوعب وجود الخطأ.. كيف يندم عليه.. هل يوجد خطأ أصلاً؟ هل يوجد أخلاق مُطلقة أصلاً، ينطلق منها لنقد ما عند الآخر؟

الآن الأخلاق لا علاقة لها بقوانين الطبيعة، بل تسير عكس القانون فهي تأتي دائماً ضد المصلحة الشخصية وضد المادة.. إما أن يأتي الملحد بمبرر مادي للأخلاق، وإثبات مطلقيتها، وإلا لا شبهة لديه ولن يستوعب وجود الشبهة أصلاً؟

صراحةً الملحد العربي طيب.. يظن أن الإلحاد هو كفر بالله ثم يولي هارباً - خطف طواقي بالمصري- لا يا صاح.... إما أن تكمل الإلحاد بجميع قوانينه وإلزاماته وإما أن تُعلن عن سخافته وسطحيته!

الله غير موجود بالنسبة للملحد، والقوانين مادية حتمية مجردة، ونحن حيوانات في سلم تطور، والذرات التي تحكم وجودنا لا معنى لها، أضف إلى ذلك أنه لا غاية للوجود ككل، ولا قيمة للإنسان، ولا مركزية لجيناته، فقط الانتخاب الطبيعي يستولي علينا رغم أنوفنا. هذه هي أركان الإلحاد أليس كذلك؟

هذه قواعد الإلحاد التي لن يستطيع الملحد الفرار منها والتمحك في الأخلاق اللامادية!! لا يوجد تفاعل كيميائي يفرز الضمير، وبالتالي وخز الضمير الأخلاقي هو خدعة ميتافيزيقية! ولا يوجد تفاعل كيميائي يسير عكس الاتجاه، إذن التمرد على الداروينية والانتخاب الطبيعي يعني أنها مجرد أسطورة سخيفة.

تخيل قررت الالكترونات فجأة أن تتمرد على الدوران حول النواة وقررت التوقف؛ لأن ضميرها لا يسمح لها بالدوران المجهد أكثر من ذلك، هل أنا مطالب بتصديق هذا السيناريو الساذج؟

والإنسان ليس أكثر من نواة وإلكترونات ولا يوجد داخل الإنسان سوى ذلك، ولا يدخل في تركيبية الإنسان إلا نواة وإلكترونات في كل مكان بجسده لا أكثر ولا أقل.

إذن فالإنسان ليس هو المركز بل المركز هو النواة والإلكترونات، المركز هو الطبيعة المادية وقوانينها وحتمياتها وبالتالي قوانين الطبيعة هي قوانينه، وقد نجح هتلر في فك هذه الشفرة بكفاءة غير عادية حينما قال: «يجب أن نكون مثل الطبيعة، والطبيعة لا تعرف الرحمة أو الشفقة» وقد تبع في ذلك داروين ونيتشه ودوركايم وفرويد.

«إذا لم تتخذ لنفسك إلها فلا بد أن تُقدم احترامك لهتلر أو ستالين». كما يقول إليوت في روايته الأرض الخراب.

«إذا لم يكن ثمة إله ولا دين فليس غريباً ولا مجافياً للواقع أن تعيث في الأرض فساداً ولو على حساب الآباء والأبناء» كما يقول جون لوك.

«إذا لم يكن لك دين فلا مانع أن تخونك زوجتك ويسرقك خادمك» كما يقول فولتير. إذن إما أن يقدم الملحد دليلاً مادياً على الأخلاق، ثم يؤسس لشبهته وإما أن يصمت للأبد...

إما أن يبرهن عقلياً على القيمة وعلى الصواب وعلى الخطأ وإما أن يعلن نهاية الإلحاد! ليس له حل ثالث.

فالإنسان في حقيقته له أصل آخر وله معنى آخر ويستقر في ذهنه أنه ليس ابن هذا العالم، ولذا هو يصارع من أجل المثالية، من أجل الحق، من أجل الخير، من أجل المصالحة بين الضمير والمصلحة.. بين الرغبة والواجب. ولذا هو يرى الشبهة وينتقدها، هذا هو الإنسان وهذه هي حقيقة وجوده سواء سلم بذلك أم جادل واستكبر!

أشهر عشرين شبهة يطرحها الإلحاد الجديد مع الرد الموجز!

(1) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَيِّ ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتْ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟». قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ ﷺ: «فَإِنَّمَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنَ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا وَيُقَالُ لَهَا: إِرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس: 38]».

الإجابة: العرش قبة السماء ويحيط بالكون من كل جهة كما قرر شيخ الاسلام -ابن تيمية- من مجموع الأحاديث في هذا الباب، وعليه فالشمس تحت العرش في كل وقت، وسجودها سجود صفة - تسبيح- وليس سجود هيئة، وهذا معلوم، وقبل يوم القيامة ستكون تحت مركز العرش، وساعتها ستتوقف وتطلع الشمس من مغربها.

(2) ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مَيَّ الرجل مَيَّ المرأة أذكرا ياذن الله، وإذا علا مَيَّ المرأة مَيَّ الرجل أنثا ياذن الله.

الإجابة: ماء الرجل والمرأة به إعجاز علمي حيث إن الحموضة والقاعدية لإفرازات المرأة تؤثر على استقطاب البويضة affinity للحيوان المنوي من نوع أكس أو واي، والسائل المنوي قاعدي وإفرازات المرأة حامضية، فأيهما زادت نسبته زاد الترجيح للاستقطاب بحسبه!

(3) الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب كيف؟

الإجابة: الصلب هو العمود الفقري والترائب هي الضلوع، وهذا هو المكان الجنيني للخصية والمبيض، وبعد نزول الخصية في مكانها تظل تُغذيها أوردة وأعصاب خارجة من نفس المكان الجنيني، وهذا من عجائب الخلق، يعني المفترض أن الخصية يغذيها شريان بجوارها وهكذا أغلب الأعضاء، لكنك تجد أن الخصية يغذيها شريان ينزل من الأعلى من المكان الذي وُجدت فيه في المرحلة الجنينية، ويُغذيها عصب يخرج من مكان تواجدها أيضًا في المرحلة الجنينية، فصار خروج الحيوان المنوي ظاهرياً من الخصية وحقيقةً من بين الصلب والترائب؛ لأن مكان تغذيته ومصدر الإشارة العصبية التي تطلقه جاء من ذاك المكان - المكان الجنيني الموجود بين الصلب والترائب!

(4) ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ [الملك: 30]، لكن الآن المضخات الغاطسة تستطيع أن تأتي بالماء من أي عمق.

الإجابة: الماء الذي نحصل عليه بالغاوس - الطلمبات - هو ماء نابع ومعين، ويعرف ذلك حتى قدماء العرب منذ أيام الشادوف، أما غور الماء فهو بعيد عن ذلك تمامًا، فمثلًا لو افترضنا أن مسامية الصخور زادت فقط للضعف لغار الماء في بطن الأرض، وما استطعنا إليه سبيلًا وساعتها لانهارت منظومة المياه الجوفية.

هل تعلم أن 40 % من البشر يعيشون على المياه الجوفية، أي يعيشون على نعمة أن مسام الصخور بهذا الحد الذي يتيح حفظ الماء وليس غوره بعيدًا في قلب الأرض، والله فقط يُذكرنا بهذه النعمة التي ربما لا نلتفت لها!

(5) تفسير كل شيء بنسبته للخالق هو سد ثغرات معرفية لا أكثر.

الإجابة: بخصوص فكرة آلهة سد الثغرات المعرفية، فمستر فورد لـر يكن جزءًا من الآليات الميكانيكية لآلة الاحتراق الداخلي في السيارة، ولـر يكن خطوة من خطوات معادلات عملية الاحتراق؛ لكنه المسئول عن وجود الآلية التي تحمل بصمات عقله وعمل يديه!

فالعلم يرينا بصمات الخلق والتصميم والوعي والارادة والإيجاد والضبط والمعايرة الدقيقة. فالإله الخالق ليس سد ثغرات كما يزعمون، وإنما هو تفسير ما علمناه وما فهمناه وهو تفسير لماذا العلم صار قادر على التفسير، ولماذا العلم موجود، فالإله ليس شرطًا لما نجهله بل هو شرطًا لما نعلمه!

(6) الكفر بالإيمان قضية لا تؤثر على تصرفاتك وقراراتك.

الإجابة: الكفر يؤثر على حياتك كلها ويجعلها بلا معنى ولا هدف ولا غاية، ويصور الوجود كله على أنه حالة عبثية وضياح واغتراب، وهذا مدعاة لخراب البلاد والأمم وتقويض أركان الأخلاق.

فالكفر يؤدي إلى القلق الدائم والسخط واضطراب نفسي لا يُحتمل، ففي غياب الإله تفقد الأشياء معناها وتميزها.

والكفر يجعل كل الأشياء مباحة، وهذا له أضراره الاجتماعية والنفسية والسلوكية التي لا تحصى، فيكون السبق لتحقيق الشهوة والرغبة لا الحق والعدل، ويُعجب كل ذي رأيٍ برأيه. بينما الإيمان يولد الاطمئنان والرضا، والاستقرار النفسي.

(7) الشواذ أو مثليي الجنس تبين أن السبب في ذلك جينات، ويخلق الانسان بهذا الميل

الشاذ.

الإجابة: هذه خرافة علمية، ففي عام 1993 قام عالم الجينات الأمريكي دين هامر Dean Hamer بدراسة المؤشر الجيني Xq28 الموجود على الكروموسوم X وهذا المؤشر الجيني كان يُعتقد حتى وقت قريب أن له علاقة بالشدوذ الجنسي، وقام بالبحث في محاولة لإثبات ذلك وبعد تجارب كثيرة تبين فشل الأمر، وتبين أنه لا توجد علاقة بين الشدوذ الجنسي والجينات.

وفي هذا الإطار يجب ملاحظة أن ثقافة الشدوذ الجنسي، تفرض نفسها على المجتمع الغربي الآن، وتبحث لها من خلال العلم عن تبريرات منطقية!

ثم جاءت أبحاث قسم العلوم العصبية الإكلينيكية، بجامعة أونتاريو الغربية بكندا عام 1999، ردًا على بحث دين هامر Dean Hamer، وفي مرحلة لاحقة تراجع هامر بنفسه.

فعملياً فشلت الأبحاث تمامًا في إيجاد تلك الصلة بين الشدوذ الجنسي والجينات⁽¹⁾.

وقد جاءت أبحاث التوائم المتماثلة -الذي تتطابق جيناتها- لتقضي على أي أملٍ لدعاة الشدوذ الجنسي.

فالتوأم المتماثل لا تسوده نفس الميول الجنسية بل تختلف تمامًا⁽²⁾.

Identical twin studies prove homosexuality is not genetic

(8) السماء سقف وبناء، ويمكن أن تنهار!

الإجابة: نعم السماء بناء متكامل وسقف محفوظ ومرفوع، هذه المسألة أنا بحثت فيها في

(1) <http://www.sciencemag.org/content/284/5414/571.summary>.

(2) <http://www.hollanddavis.com/?p=3647>

هذه المسألة تعرضت لها بالتفصيل في موسوعة الرد على الملحدين الذعر -.

الفيزياء بنفسي، في عام 1916 لخص أينشتاين نظريته العامة في بحث نُشر في مجلة annalen derphysic وبيّن في أقل من 60 صفحة أن الفضاء ليس مجرد ستار تتجلى عليه الحوادث، بل هو نفسه بنية أساسية تتأثر بطاقة الأجسام التي يحويها وبكثافتها، وقد علق ماكس برون على النظرية بقوله: « تبدو لي النظرية أنها أعظم إنجاز حققه الفكر البشري عن الطبيعة، وأنها أعظم تركيب مذهل يجمع بين النظرة الفلسفية الثاقبة والإلهام الفيزيائي والمهارة الرياضية ».

إذن السماء مبنية ويمكن أن تسقط، بل ويمكن أن تنهار مادتها في أي لحظة، ويمكن أن تصطدم المادة المظلمة التي تُكون 72 % من مادة السماء بذرات عالمنا المادي، فينهار عالمنا المادي في أي لحظة، ويمكن أن تتحول أكبر الأفلاك في عالمنا إلى ثقب سوداء وتنهار في أي لحظة.. إذن الله وحده هو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض.

(9) الأرض ثابتة راسخة لا تتحرك ومنبسطة.

الإجابة: أما عن ثبات الأرض، فالقرآن لم يقل أنها لا تتحرك، هذا من تزيف الملاحدة، وإنما قال برسوخها بالجبال وهذا أصل في الجيولوجيا.

أما عن بسط الأرض فهذه حقيقة لا تمنع من تكورها، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إجماع علماء الإسلام على كُرية الأرض، والإجماع منقول منذ ألف سنة كما جاء في مجموع الفتاوى 6 / 587 بل وينقل الإجماع أيضاً ابن الجوزي وابن حزم.

ويقول ابن تيمية كلمة عجيبة: «وَأَمَّا مَنْ ادَّعى مَا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَهُوَ مُبْطَلٌ فِي ذَلِكَ وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ مَعَهُ دَلِيلًا حِسَابِيًّا».

فالأمر قد حسمه القرآن وقال فيه كلمته: ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: 5]، ولا يكون تكوير إلا على سطح كرة!

(10) الشمس تتحرك بالنسبة للأرض «تأتي الشمس من المشرق»، مع أن الأرض هي التي تتحرك.

الإجابة: منذ سنوات قال لي أحد الملحددين: هل الشمس تغرب؟

ما يحدث هو دوران للأرض حول محورها في اتجاه معين وبزاوية معينة.. قلت إذن المطر

لا ينزل فما يحدث هو تفاوت حجم قطرة الماء وكرة الأرض على نسيج الزمكان، ولا يوجد شيء اسمه ألوان، ما يحدث هو امتصاص موجات وطرد أخرى، ولا يوجد أصوات بل خلخلة للهواء، وهكذا يا صاح هذه الشبهات هي شبهات ملحدين سُذَّج!

اذهب لأكبر موسوعة ترجمة مثل babylon english-english واكتب sun set وانظر الترجمة:

descent of the sun below the western horizon, setting of the sun; time when the sun descends, evening; decline, final stage

غروب الشمس هو نزولها عن خط الأفق.

أما شروق الشمس:

sunrise ** rising of the sun; dawn, time of day when the sun rises above the horizon; beginning, emergence

الآن ما معنى كلمة sun sit هل يوجد شيء اسمه جلوس الشمس.. سجود الشمس؟ *set
فعل: يُقعد. يُجلس *sit فعل: يجلس. يقعد. يسجد. ينعقد المجلس

الآن لو ذهبت لأحد المنتديات الإنجليزية المتخصصة وأخذت اعتراضات الملحدين وقلت لهم: لماذا يا إنجليز يا سُذَّج تقولون: جلوس الشمس؟ صدقني سيضحكون عليهم، لكن هذا غاية جهد الملحد مع القرآن، والحمد لله أن الله رد كيد الملحد إلى هذا الغباء.

(11) القمر بينهن نوراً.

الإجابة: قائل هذا الكلام حاقد وكذاب؛ لأن القرآن يقول فيهن وليس بينهن، وفيهن أي داخلهن، أم يظن الملحد أن القمر خارج السماوات!

(12) ملائكة موكلّة بالمطر والرعد والبرق، مع أن العلم أعطانا تفسير هذه الظواهر!

الإجابة: أحد مُسَلِّمات الفيزياء الإمبريقية اليوم، أن الظاهرة لا تقتصر أسباب وقوعها على جملة الأسباب التي تترأى لعلماء الطبيعة، ألا يُخبرنا علماء الرياضيات التجريدية كل يوم أن طيران فراشة فوق سهول سيبريا قد يكون من الأسباب المُفضية إلى وقوع إعصار في أمريكا، فيما يُعرف علمياً بتأثير الفراشة Butterfly Effect، ونظام الأسباب الكوني أشد تعقيداً من

الرصد الإمبريقي - التجريبي - وأيضاً أشد تعقيداً من رصد الرياضيات الخطيئة، وأساس العلم التجريبي يقوم على تسهيل التصور، وتقليل الفرضيات لتضييق دائرة الاحتمالات، وهذا أصل العلم التجريبي.

فمثلاً لا تمنع معرفة عملية الشحن الكهربائي في الغلاف الجوي التي تُسبب البرق لا تمنع تلك العملية استصحاب قيام الملك بإصدار الأمر، وحدوث البرق.

وأمر الملائكة من غيب الله تعالى المكنون الذي ستره عن البشر، فلا يعلم حقيقة أمرهم إلا الله عزَّجَلَّ، وحركة السحاب وخلخلة الهواء، وتوزُّع شحنات الكهرباء لا يُخرج الظاهرة عن إرادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(13) لماذا يولد أطفال مشوهين؟

الإجابة: لا فرق بين الذي يموت في سن المائة بضيق الشرايين التاجية، والذي يولد مشوهاً فالعبرة والمقياس لا تقاس بمعامل واحد في مسألة متشابكة كالإنسان، فربما المشوه يجد الوقت ليتدبر ويرتقي، وابن المائة سنة يرتع في المذات ويسقط في الدركات.

لذا التبسيط واختزال المعاملات في معامل واحد أسلوب غير مقبول منطقيًا وغير مقبول دينياً، ولكنه الحجة الوحيدة للملحد وبدون هذا الأسلوب لن تستقيم له شبهة.

ثم إن التشوه من منظور آخر هو أكبر دليل على وجود الكمال فلولا الكمال لما تصورنا التشوه، والتشوه في أصله ليس مُصمماً مشوهاً، وإنما التشوه كما نعرف جميعاً هو خلل طارئ في ترتيب القواعد النيروجينية، بسبب أخطاء الإنسان كتلوث البيئة ووسائل منع الحمل، والمواد الحافظة والعقاقير.

ثم إن العدالة الإلهية كما يقول الأستاذ العقاد: «لا تحيط بها النظرة الواحدة إلى حالة واحدة، ولا مناص من التعميم والإحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل في تعريف الإرادة الإلهية. إن البقعة السوداء قد تكون في الصورة كلها لونها من ألوانها التي لا غنى عنها، أو التي تضيف إلى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال غيرها، ونحن في حياتنا القريبة قد نبكى لحادث يعجبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته».

ثم لو كان الله موجودًا فما المانع أن تكون له حكمة في تدبير الأمور، بل أليس هذا هو الأليق به سبحانه؟

فما أبعد أحكامه سبحانه وتعالى عن الفحص، وطرقه عن الاستقصاء.

وقد جلى الله الحكمة من أفعال الخضر لسيدنا موسى مع أنها أفعال تُعد ظاهرياً مُنكرة وغير مستساغة، لكنها تكتنف على خير عظيم؟

وقصة موسى والخضر لَر تأت في القرآن من باب السرد والحكايا؛ لكن من باب التدبر والإقرار بقصور النفس البشرية وحكمها المتعجل.

ولا يجوز للملحد أن يحتجّ في باب الحكمة الإلهية بشيء؛ لأن الملحد بدهة ليس كُلي العلم، ولا يعرف ما في غدٍ حتى يُقرر، ويعطي نظرة شمولية لمسألة لَر يستوعبها.

ذكر الأصبهاني: أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل كان يجلس بالقرب من بئر ماء، فجاء فارس ليشرب، ثم وهو خارج من البئر سقطت حافظة نقوده ولَر يلتفت إليها.. فجاء راعي غنم يرد الماء فوجد حافظة النقود فوضعها في جيبه.. ثم جاء شيخ كبير ليشرب من البئر وجلس على حافة البئر يلتقط أنفاسه، فعاد الفارس باحثاً عن ماله فلم يجده فاتهم فيه الشيخ الكبير فقتله. فقال النبي: يارب ضربت عنق الرجل ولَر يأخذ المال، وإنما الذي أخذ المال الراعي.. فجَلَّ - فأظهِر - لي الحكمة.. فأوحى الله إليه أن والد الفارس أخذ هذا المال من والد الراعي فرددت المال إلى الوارث، وأن هذا الشيخ قتل والد الفارس فاقتصمت منه.

الخلاصة: حُكم الملحد على الأمور التي تخفى فيها الحكمة قاصرٌ بقصور الطبيعة البشرية نفسها، وبقصور نظرتها الإدراكية، فالاستيعاب الشمولي، والحُكم الكُلي، ليس مجال النفس البشرية ولا يقع في نطاق قدرتها القاصرة، وبالتالي فلا يحق للملحد أن يتحدث في باب الحكمة الإلهية بشيء.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 7].

(14) لماذا يعذب الله عباده أبد الآباد مع أنهم عصوه فترة محدودة؟

الإجابة: علاقة العقاب بالعمل ليست علاقة تساوي زمني بالضرورة، بل هي علاقة سبب بالنتيجة.

مثلاً: في الدنيا رجل يدخن ففتلف رثته باقي عمره، هل نقول: دخن خمس سنوات إذن تتلف رثته خمسة سنوات من باب العدل؟

لاحظ أننا لا نرى هذه الاعتراضات في حياتنا.

مثال آخر: رجل سرق خلال ساعتين، هل ترانا نقول يسجن لمدة ساعتين عقاباً؟ لا؛ لأن العلاقة ليست زمنية بين الخطأ والنتيجة المترتبة، وإنما هي علاقة سبب بنتيجة.

مثال ثالث: رجل شرب سماً فمات، لا نقول: هو شرب السم في مدة 10 ثواني، لماذا ذهب ولن يعود أبداً؟

جاء في تفسير ابن كثير في قوله: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، أي: خير عملاً كما قال محمد بن عجلان، ولر يقل أكثر عملاً.

يعني حتى على مستوى الحسنات والسيئات ليست العبرة مقتصرة على الكثرة والقلة، وكلنا نعرف أحاديث من يدخل الجنة في كلب وتدخل النار في هرة.

والله يقول: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَنْظُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُحْزَبُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: 54]. مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه تشبيهات مع الفارق؛ لأن عقاب الآخرة ليس كعقاب الدنيا، ولكنها للتقريب فقط.. وكما يقال: لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظم من عصيت!

والذي ينتقد مسألة أبدية العذاب فعليه أن يأخذ في الحسبان أبدية النعيم أيضاً، فكما أن هناك عذاب أبدي هناك أيضاً نعيم أبدي، وهناك مجانسة بين بعض النفوس المجرمة وبين النار فيتطابقان في الآخرة، فالحاسد والمحاقد والمجرم هؤلاء مأواهم هو دارهم وهو النار، أما عن كيفية التعذيب فهي غيب لئلا نطلع عليه، وليس لنا من الدنيا إلا المسميات. فأهل النار مثلاً يتكلمون داخل النار ويتلاعنون، ويوجد في النار ماء حميم، وتنبت فيها شجرة من زقوم. وهكذا إذن الأمر غيب!

ولو عاد الكافر إلى الدنيا وأتيحت له فرصة التكليف مرةً أخرى سيعود لكفره، وهذا ما جزم به القرآن الكريم ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28].

فلو عاش الكافر أبداً لكفر أبداً، أيضاً العذاب الأبدي مُختلف فيه بين السلف، قال ابن مسعود: «ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً»، وعن الشعبي: «جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعها خراباً»، وعن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لو لبث أهل النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه»⁽¹⁾.

ملحوظة: هذه الإجابة منقولة من منتدى التوحيد الإلكتروني، لكن بتصرف وإضافات.

بل لقد وقفت على أثر لأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿خَلْدِيكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: 107]، قال: هذه الآية قاضية على القرآن كله -أي في خلود الكافرين في النار-

وهو أثر صحيح عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ⁽²⁾.

وهناك أثر لأبي هريرة: «ما أنا بالذي لا أقول: إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد»⁽³⁾.

والعلم عند الله وحده فإليه المآل وهو العالم بحال العباد ومقتضى آثامهم.

(15) الله يعلم ما أنا سأكون عليه حتى قبل أن يخلقني فلماذا سيُعذبني؟

الإجابة: مشكلة الملحد في هذه الشبهة أنه لا يريد إلهاً كُلي العلم. وكأنه يعيب على الله أنه يعلم ما سيحدث.

الله كلي العلم وهذا لا يمنع حرية الاختيار ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 10]، بل يمكن أن نقول بنفس منظور الملحد أنه من الظلم ألا يخلق الله الكفار وهم يستحقون العقاب، ثم إن الكفار ليسوا مقهورين على الشر بل إن فطرتهم كانت سليمة، وهم حرقوها ولديهم عقل وأرسل الله لهم أنبياء ورسول وهم اختاروا الكفر، وليس من الحكمة وضع الرحمة لمن لا يستحقها.

(1) الدر المنثور 3/350.

(2) جامع البيان للطبري والاسماء والصفات للبيهقي والدر المنثور للسيوطي 3-350.

(3) ذكره بسنده ابن القيم في كتابه حادي الأرواح 252 واسناده صحيح.

ثم إن الأشرار لو لم يوجدوا لكان ذلك سبباً في عدم وجود بعض الأخيار وأفعالهم وصبرهم على شر الأشرار ودعوتهم للأشرار وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذن فالله تعالى أوجد الجميع وترك حرية الاختيار للكل، وهذا هو ما عليه مدار الأمر، ثم إن الله لن يظلم عباده ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 108]، فلا يقلق الملحد إلا على نفسه. ثم إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: 5].

(16) لو ذهب للغرب تستطيع الدعوة للإسلام، بينما لو انعكست الصورة لن تسمحوا لأحد في البلدان العربية أن يُبشِّرَ بدينه!!

الإجابة: الغرب يقوم على منظومة الرأسمالية المادية الداروينية النيتشوية، فالمركز في الغرب ليس الدين وإنما المادية العلمانية، والآن اذهب وانتقد أسس المادية تلك، صدقتي سيطردونك وينثرون بضاعتك ودنانيرك، ألم تسمع فيلم المطرودون Expelled؟ بل إن الغرب يُشرِّع قوانين تحمي أذرع العلمانية؛ فمثلاً هناك ما يُعرف بقانون ضد منكري الهولوكوست Law against Holocaust denial، والذي ينكر محرقة اليهود على يد النازي يُعاقب بالسجن المُشدد لمدة قد تصل إلى 20 سنة كما في النمسا⁽¹⁾.

وفي التشيك تصل مدة الحبس إلى ثمان سنوات.

وهناك 14 دولة أوربية تُجرِّم التشكيك في جرائم النازي، وتحبس فوراً مَنْ يكتب كلمة واحدة تخالف أذرع العلمانية تلك!⁽²⁾.

فالتشكيك في السائد في الدول العلمانية يُعد جريمة، وقد حبس مؤرخين كبار في الغرب لمجرد كلمات تشكيكية في الفناعات السائدة لدى قطاع كبير من الشعب، وخير مثال على ذلك ديفيد إيرفينج David Irving وجيمس كيجسترا James Keegstra

وقد حبس إرنست زوندل لسنوات لمجرد التشكيك في الرقم 6 مليون⁽³⁾.

(1) http://www.nachkriegsjustiz.at/service/gesetz/gv_vg_3_1947.php.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Laws_against_Holocaust_denial.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Ernst_Z%C3%BCndel.

وتضع الدول العلمانية قوانين استثنائية لتعقب حتى مَنْ يفكر في التشكيك في السائد
«lone wolves». -تخيل!-

والذي ينتقد الداروينية يُطرد خارج الجامعة، إذن أنت أخطأت في المقارنة، المفترض أن تُقارن بين منظومة ومنظومة، لا بين منظومة وفكرة داخل منظومة، فالدين في الغرب مجرد فكرة هامشية داخل منظومة مركز مادية، أما الدين عندنا فهو منظومة المركز.

(17) لماذا يقرر الدين الحرب المقدسة؟

الإجابة: معركة الدين ليست مع أعراق أو أجناس.

معركة الدين لا علاقة لها بإبادة أو تطهير عرقي.

معركة الدين لم تقم يوماً ما من أجل لون البشرة، وما تبع ذلك من تفرغ قارات بأكملها- كما حدث عند تفرغ الأمريكتين من الهنود الحمر-.

معركة الدين ليست بسبب جنس مختار favoured race، ولا مقاس جمجمة محدد- كما تقرر النازية والقوميات الأوربية في الحربين العالميتين-.

معركة الدين الحقيقية مع الباطل، أينما وُجد، وفي أي مكان قامت له دولة.

وهذا واجب الدين، بل لن يكون دين سهاوي بدون مسئولية عظيمة كهذه تُلقى على عاتقه.

(18) الغنائم هي أصل الحروب الدينية وغايتها!

الإجابة: بل العكس هو الصحيح، فالغنيمة عبء وهم، وتقليل للأجر الأخروي، قال رسول الله ﷺ: «ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصبوا غنيمة تم لهم أجرهم»⁽¹⁾.

(19) لماذا لم يُرسل الله رسالته إلى كل شخص بذاته دون الحاجة لرسول؟

الإجابة: هذا عدم استيعاب لفكرة التكليف؛ لأن الرسالة لو وصلت بتلك الصيغة فلن

يكون هناك اختبار ولا دنيا ولا تكليف ولا ثواب ولا عقاب يترتب على العمل وترك العمل، لو وصلت الرسالة بهذه الصيغة، فكلنا سنؤمن وسيكون إيمان اضطراري، كالإيمان بوجود الشمس وأصل الإيمان الديني هو إيمان غيبي ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: 3].

(20) لماذا رسالة الله لم تصل لجميع البشر؟

الإجابة: هذه ليست شبهة ولا حتى فكرة؛ لأن الله لن يظلم عباده، وهذا ليس اختصاصك ولا اختصاصي، قال الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 108]، ويقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15].

والذين لم تقم عليهم الحجة في الدنيا ستقام عليهم يوم القيامة، ويوم القيامة مدته خمسون ألف سنة، أي أطول من عمر البشرية كله. فلا ينزعج الملحد ولا يقلق إلا على نفسه!!

فرضية تذبذب الفراغ الكوموي وظهور جسيمات باستمرار في الفراغ الكوانتي

الكهنوت الإلحادي الجديد لا يمانع أن يستخدم لبوس العلم الزائف، في الترويج لدوغمائيته والهروب من الإلزام العلمي.

يقول مؤلف كتاب عالم داخل العالم: «إن نظرية الانفجار الكبير تؤدي بدهشة إلى عالم جاء من العدم، ولذا كان الفيزيائي الشهير [ستيفن واينبرج] يتمنى نظرية الكون الثابت الأزلي؛ لأنها أكثر جاذبية وأبعد عما نادى به الأديان»⁽¹⁾.

ويقول [جاسترو] في كتابه الخالق والفلكيون ص 29: «كانت صدمة الملحدين كبيرة بعد إثبات نظرية الانفجار العظيم.. ففكرة بداية الكون في الزمان هي فكرة تُقلق أي ملحد بسبب لوازمها اللاهوتية»⁽²⁾.

(1) عالم داخل العالم ص 226.

(2) كتاب الفيزياء ووجود الخالق أ.د. جعفر شيخ إدريس رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة - واشنطن - الولايات المتحدة الأمريكية.

ونظرًا لكل ذلك أصبحت "فرضية تذبذب الفراغ الكمومي «quantum vacuum fluctuations» أشهر الافتراضات التي طرحها الفيزيائيون الملحدون؛ لتفسير نشأة شيء موجود دون أن يكون له مصدر وترى هذه التخمينات أنه يمكن للجسيمات تحت الذرية أن تنشأ وتختفي تلقائيًا في الفراغ وأطلقوا عليها «الفراغ الكوانتي quantum vacuum»، ويرفض عالم الفيزياء الكبير «بول ديفيز paul davies»، هذه الافتراضات تمامًا إذ أن تشكُّل الجسيمات في الفراغ الكمومي لا يمثل خلقةً للمادة من لا شيء، لكنه يحدث نتيجة لتحويل طاقة موجودة في هذا الفراغ إلى مادة، أي أن الفراغ هنا ليس عمدًا مُطلقًا وإلّا فَمِنْ أين جاءت هذه الطاقة؟

ولذا فعندما طرح [ستيفن هوكنج] هذه المسألة مجددًا قام [سير هيربرت دِنجل] Sir Herbert Dingle -رئيس الجمعية الفلكية الملكية بانجلترا- بتعنيفه بشدة لما في هذا الأمر من تضارب منطقي⁽¹⁾.

فالفراغ المذكور هنا هو فراغ كوانتي وهو فراغ اصطلاحي، فالفراغ موجود داخل الزمان والمكان والمادة والطاقة، في حين أن الانفجار الكبير جاء من اللازمان واللامكان، والمادة والطاقة ظهرا فجأةً ومعهما بدأ الزمان والمكان والانفجار.

إذن النظرية الكمية لا يمكن تنزيلها على الانفجار الكبير، والنظرية الكمية تفترض لظهور الالكترتون في الفراغ فجأةً أن يكون في حدود الزمان والمكان أي فراغ اصطلاحي، وليس كما يحاول أن يروج الكهنة الملاحدة ولا نجد داعي لدخول العلم في هذا الخندق الضيق إلا للترويج لأفكار أيديولوجية مسبقة...!!

فالزمان والمكان لم يُخلقا إلا يوم أن خلق الله السماوات والأرض.

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض كما في الحديث المتفق عليه.

فالمكان والزمان خُلقا مع الانفجار العظيم كما يقول بلوزو

It was not Just matter that was created during the big bang. It was space and time that were created. So in the sense that time has beginning,space also has a beginning.⁽²⁾

(1) كتاب كيف بدأ الخلق د. عمرو شريف... مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى يناير 2001 ص78.

(2) Boslough, Universe, p.64..

يقول [وتكر]: «لا يوجد أساس لافتراض أن المادة والطاقة كانت موجودة ثم أثرت فجأةً إلى الفعل، إذ ما الذي كان يمكن أن يميز تلك اللحظة عن كل اللحظات الأخرى في الأزل؟ افتراض الإرادة الإلهية أمر أيسر بكثير»..

“There is no ground fir supposing that matter and energy existed before and was suddenly galvanized into action. For what could distinguish that moment from all other moments in eternity?... It is simpler to postulate creation ex nihili, Divine will constituting nature from nothingnes⁽¹⁾.”

إن للكون بداية مُطلقة هذه ضربة قاصمة للملحدين!!

والآن وبعد أن تبين أن الانفجار الكبير لا علاقة له بفرضية تذبذب الفراغ الكمومي، «quantum vacuum fluctuations» نأتي إلى تفسير هذه الفرضية المدهشة ومعرفة كيف تحدث؛ لأنه حتى في الفراغ الكوانتي الكمومي يستحيل أيضًا أن يظهر شيء من العدم، فكل ما يحدث هو أنه عندما تقوم بتفريغ إناء من الهواء ومن كل شيء، فإنه فعلاً سيظهر إلكترون وإلكترون مضاد ثم يختفيان، وهكذا في كل لحظة، لكن هذه العملية تسمى بعملية اقتراض طاقة من المستقبل بشرط استردادها سريعًا كما تذهب للبنك وتسحب رصيد بنية استرداده منك بعد ذلك، وهذا بالضبط ما يحدث مع الإناء الفارغ في التجربة السابقة، وهذا لا يحدث إلا في مكان كوانتي مادي حيث تُستخدم الطاقة المُقترضة في تخليق جسيم وجسيم مضاد سريعًا ما يصطدما ويُفني أحدهما الآخر، ويُنتجان طاقة هذه الطاقة هي الدين الذي كان على الفراغ والآن قام بتسديده، ولذا فالتذبذب الكمومي لا يتعارض بدهاءةً مع قانون حفظ الطاقة، ويحدث هذا الاقتراض وإرجاعه لحظيًا في الفراغ الكوانتي، وهذه العملية يسميها الفيزيائيون بالرغوة الكمية QUANTUM FOAM حيث الجسيمات في الرغوة الكمية تظهر وتختفي في جزء من الثانية ويمكن دراسة هذه المسألة بالتفصيل تحت باب الديناميكا الكهربائية الكمية QUANTUM ELECTRIC DYNAMIC أو اختصارًا QED.

ولذا لو كانت الرغوة الكمية موجودة منذ البدء لكان الكون أزليًا، ولظهر كون جديد في كل جزء كل لحظة، وهذا لا يقوله إلا المجانين، وللإنسان أن يتساءل: لماذا يندفع الكاهن

(1) Jastro, Universe, p.122..

الملحد خلف هذه الأطروحات المستحيلة عقلياً وعلمياً وإمبريقياً، ويترك الصيغة النقية العقلانية المنطقية للدين؟ إن القضية كهنوتية بامتياز!

حيث يبدو أن نظرية الانفجار الكبير بالفعل شيء مخرج جداً للملحدين...!!

يقول [إرنو بزنياس] الحائز على نوبل في الفيزياء: «علم الفلك يقودنا إلى معادلات مبهرة. هذا الكون الذي نشأ فجأة من لا شيء من الذي كان يملك كل هذه المقاييس والمعايير المذهلة.. من الذي كانت معه الخطة المسبقة للخلق؟».

يقول [آرثر إدنجتون] عالم الفيزياء الفلكية الشهير: «إن فكرة التدخل الإلهي في الكون أتصور أنها فكرة عادلة ومنطقية تماما طبقاً للمعطيات التي وفرها لنا العلم.».

يقول عالم الفيزياء [توني روثمان Tony Rothman]: «عندما نجابه روعة الكون وجاذبية الطبيعة، فإننا حتما نشاق أن نقفز من العلم إلى الإيمان أنا واثق أن الكثير من الفيزيائيين يرغب في ذلك»⁽¹⁾.

يقول العالم الفيزيائي Frederick Bermham مؤلف كتاب تاريخ العلم Science historian: «في الوقت الحالي الأوساط العلمية تعتبر فكرة خلق الله للكون فكرة محترمة أكثر من أي وقت مضى منذ مئات السنين.».

ما هو مصدر الصفيحتين؟ شبهة طاقة الفراغ

في عام 1978 قام طالب فيزياء عراقي، يُدعى محمد باسل الطائي، بتقديم رسالة دكتوراه في الفيزياء إلى جامعة مانشستر، هذه الرسالة تختص باللحظات الأولى لظهور الكون.

هذا الطالب هو الآن أحد علماء الكوانتم ويقوم بالتدريس بجامعة اليرموك بالأردن، ويكتب بانتظام في المجلة الدولية للفيزياء international journal of physics.

ومنذ بضع سنوات قليلة عادت موضحة الفراغ الكمي «التذبذب الكمومي» للظهور مرةً أُخرى، وهذه الموضحة الجديدة تولى كبرها ستيفن هاوكنج الفيزيائي الشهير صاحب القفزات

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Tony_Rothman.

الإعلامية في كتابه الأخير التصميم الكبير The Grand Design، وهنا قام الدكتور محمد باسل الطائي صاحب التخصص وصاحب رسالة الدكتوراة في هذه المسألة بتنفيذ المسألة فيزيائياً من خلال عدة نقاط وعبر الكثير من شروحه ونُبسط أدلته كالتالي:

1- طاقة الفراغ تُمثلها الصفيحتان في هندسة كازيمير أو الكُرة في هندسة الزمكان.. ويستحيل أن تنشأ طاقة الفراغ بدون الصفيحتين أو بدون كُرة هندسة الزمكان.. وبداهة لحظة الانفجار الكبير لـ يمكن ثمة زمكان ولا صفيحتين..

2- العدم لا يُمكن أن يتحول إلى طاقة ومادة.. ويحتاج إلى قوة خارجية.

3- يفترض هاوكنج أن القوة الخارجية هي المجاذبية والآن السؤال من أين جاءت المجاذبية؟

4- الفراغ الكمي ليس هو العدم، وإنما هو فراغ داخل الزمان والمكان، بينما الانفجار الكبير بدأ معه الزمان والمكان.

5- من الذي حدّب هندسة الزمكان المسطح لكي تتخلق المادة؟

6- الكون لـ يمكن موجوداً ثم وُجد، فالكون بكل طاقته وبكل كتلته ظهر في لحظة.. وهذا يختلف تماماً عن سيناريو الفراغ الكمي.⁽¹⁾

ولذا يرفض عالم الفيزياء الكبير [بول ديفيز paul davies] هذه الافتراضات تماماً إذ أن تشكّل الجسيمات في الفراغ الكمي لا يمثل خلقاً للمادة من لا شيء لكنه يحدث نتيجة لتحويل طاقة موجودة في هذا الفراغ إلى مادة أي أن الفراغ هنا ليس عدماً مُطلقاً وهذا ما فضلنا فيه في المقال السابق.

بل إن هذه الجسيمات الافتراضية التي تخرج من الفراغ الكمي، لا قيمه حقيقه لها ولا يمكن أن تتحول إلى جسيمات حقيقية إلا بتفاعلها مع المادة نفسها.

وتعتمد كل مواضع طاقة الفراغ الكمي في الأساس على ظاهرة كازيمير، وهي تفترض أنه عند وضع صفيحتين معدنيتين غير مشحونتين في الفراغ، ويفصلهما بضع ميكرومترات

(1) بروفيصور محمد باسل الطائي video sources

ولا يؤثر عليهما أي مجال كهرومغناطيسي خارجي، فإنه ستظهر بين الصفيحتين قوة جذب وتم قياس هذه القوة فعلاً.

ومع أن ظاهرة كازيمير قد أثارت شروطها الحدية بعض الجدل إلا أننا سنفترض صحة الظاهرة وهنا ستظهر إشكالات أعمق بكثير.. فما هو مصدر الصفيحتين - حيث من خلالها تتحول الجسيمات الافتراضية إلى حقيقية وتُظهر طاقة جذب -، أيضاً الفراغ المذكور هنا هو فراغ كوانتي وهو فراغ اصطلاحي وليس العدم المطلق.

أيضا طبقاً لمبدأ عدم اليقين لهايزنبرج؛ فإن أي فراغ عندما نقيس طاقته يستحيل أن يكون صفرًا ويستحيل أن يكون أقل من ثابت بلانك، وأن هناك حد أدنى من الطاقة وبالتالي فليس هناك شيء اسمه فراغ حقيقي في الكون، ولا يوجد شيء اسمه عدم تام من كل شيء.

بل إن هذا الفراغ الكمي بهذه الصورة التي يصوغها الملحد يُناقض قانون حفظ الطاقة وهو قانون من قوانين الكون ويستحيل انتهاك هذا القانون، فالنقطة الأساسية في كل الأحداث الفيزيائية هي أن الطاقة والزخم محفوظان في كل التفاعلات، وبالتالي فإن نياقة الأنبا الملحد بهذه الصيغة يواجه قانون من قوانين الكون من أجل تسويغ إلحاده، وإيجاد مبرر عقلائي له وتمريه على السذج.

فالفراغ الكمي موجود داخل الزمان والمكان والمادة والطاقة أما الانفجار الكبير فلا زمان ولا مكان ولا مادة ولا طاقة.

أيضاً يفترض الفراغ الكمي حد أدنى من الطاقة zero-point energy كشرط أساسي وهذا عكس العدم تماماً.

المفاجأة:

مؤخراً أثبت العلماء أنه يوجد طاقة وجسيمات لا حصر لها داخل أقل وحدات القياس، وهذا الأمر استنتجه بول ديراك قديماً في معادلاته وكان يُسميه بحر ديراك، بل إن أينشتاين نفسه تحدث عن هذا الأمر في عام 1916 حين قام بتلخيص النسبية العامة في بحث نُشر في مجلة annalen derphysic، وأوضح أن الفضاء ليس مجرد ستار تتجلى عليه الحوادث، بل هو نفسه بنية أساسية تتأثر بطاقة الأجسام التي يحويها وبكتلتها، فالفضاء مبني فيزيائياً ولا يوجد عدم

منذ الانفجار الكبير، فالفضاء والكون كله مبني بالجسيمات التي لا حصر لها ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47].

إذن الفراغ الكمّي له ثلاثة شروط، لو تخلّف واحد منها سيتحول إلى سراب ولن تظهر طاقة الفراغ.

الشرط الأول: لا بد أن تخرج طاقة الفراغ من حد أدنى من الطاقة.

الشرط الثاني: لا بد أن تكون مُحاطة بمادة حتى تتحول إلى جُسيمات حقيقية وإلا ستظل سرابًا. - الصفيحتين في هندسة كازيمير والكُرة في هندسة الزمكان -.

الشرط الثالث: لا بد أن يجري كل هذا داخل حدود الزمان والمكان فالزمان والمكان شرط جوهرى في ميكانيك الكم.

فالذي انتهى إليه العلم أن الكون كله جاء من العدم في لحظة.. وكل قوانين الفيزياء ظهرت في لحظة، وأنه لم يكن ثمة فيزياء ثم ظهرت الفيزياء بعد... فسبحان بديع السماوات والأرض وخالقهما على غير مثالٍ سابق: ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117].

أديان كثيرة جدا ومعبودات بالآلاف والعمر قصير

الآن نتقل لشبة لا علاقة لها بإلحاد الملحد لكنه يبرر بها عدم قبوله للحق متى تبين له، واستمراره في الكفر والجحود!

فالملحد يرى أن الأديان كثيرة جدًا، والشرائع متفاوتة، والعمر قصير، فما يدرينا هل نحن على الحق أم غيرنا؟

ولذا آثرت أن أفتت هذه الشبهة الساذجة في عشر نقاط فما أيسر الحق وأوضحه وأجلاه!

أولاً: يوجد على وجه الأرض ثلاث ديانات - يهودية ومسيحية وإسلام - يُشكل أتباعها أكثر من 65 % من سكان الأرض. باقي الديانات وضعية لا حاجة حتى للرد عليها؛ لأنها

تعترف ببشريتها وهي في طريقها للإنقراض، وأتباعها يُصنفون في مراكز الأبحاث العلمية أنهم مُلحدون أو رويون - بلا دين -.

إذن محك الجدل في الديانات الثلاث الكبرى لا أكثر؛

اليهودية: أقرت أنها ديانة قومية لا يدخلها إلى يهودي الأبوين - إذن محسوم أمرها باعترافها

هي -.

المسيحية: أدخلت التثليث والأقانيم والآلهة البشرية في قلب عقيدتها ولم يقل المسيح يوماً: أنا الله أو اعبدوني أو أنا لاهوت وناسوت. لكن أتباعها أصروا على صورتها الوثنية المعاصرة.

فمثلاً كلمة «أقنوم» لم ترد في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم ولو مرة واحدة مع أنها أصل المسيحية، وبذلك تحولت المسيحية من ديانة سماوية إلى ديانة وضعية وثنية.

وفكرة الأقنوم تدور في إطار تعدد الآلهة، مع محاولة الحفاظ على نسق التوحيد الفطري حيث صيغة الثلاثة في واحد، فهم يقولون: أقنوم الابن الإله الكامل.. وأقنوم الآب الإله الكامل.. وأقنوم الروح القدس الإله الكامل... ومع ذلك لا يجوز أن يكون الإبن هو الآب، بل كل إله مستقل تماماً عن الآخر... ومع ذلك هؤلاء الآلهة الثلاثة إله واحد.. وبداهة هذا منتهى الوثنية والتحدي لبديهيات العقل بسفسطة يونانية قديمة.

وعلى الرغم من كل ذلك فهذه الأفكار الوثنية يخلو منها الإنجيل تماماً تماماً.. إذن المسيحية انتقلت من السماوية إلى الوضعية الوثنية على يد مجامع صناعة الآلهة في عهد قسطنطين..

ثانياً: الإسلام ليس فرقة من الفرق ولا عقيدة من بين عقائد الأرض، حتى يوضع في مجال مقارنة باقي الديانات.. بل هو أصل الأديان والعقائد والعبادات، وهو أنقى أديان التوحيد كما يقول جوستاف لوبون.

فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة نهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداوود ويونس وهارون وعيسى.. فعقيدة هؤلاء جميعاً هي عقيدة الرب إلهنا رب واحد بلفظ التوراة والإنجيل.. هذه العقيدة التي

لا تعرف تثليث ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة، ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى - انتزاع الروح القدس من الأب - ولا آلهة قومية، يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَهِهُ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163].

إذن فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات، وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد.

ثالثاً: الإسلام أكثر أديان الأرض انتشاراً، وأكبر ست دول مسلمة في العالم غير عربية، ويُشكل المسلمون العرب قرابة 19 % فقط من المسلمين على وجه الأرض، ولا تكاد تخلو مدينة على وجه الأرض من مسلمين.

والإسلام قامت به الحجة على أنه الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده - كما سنسرد فيما بعد-.

رابعاً: مشكلة الملحد أنه يربط بين الديانات الوثنية الغارقة في الجهالة، بالديانة الإسلامية التوحيدية النقية - التي لا تحمل الخطأ -، حتى يخرج من هذا الخلط بأن الجميع باطل فيشعر براحة بال واستقرار ضمير على إلحاده.

خامساً: لكن الملحد سيقول هناك 73 فرقة في الإسلام، أيهم الأقرب للحق وأيها الأولى بالمتابعة في هذا الكم الغفير من الفرق؟ خاصّة وأن احتمالية الإلتحاق بالفرقة الناجية ربما تقارب 1.3 بالمائة من مجموع الفرق.

في البداية؛ هذا كلام يحمل عدة أخطاء:

الأول: انقسام المسلمين إلى 73 فرقة هذا دليل نبوة؛ لأن النبي ﷺ أخبر بذلك، وأخبر أن الأمة ستنقسم، مع أنهم في عهده كانوا يُقتلون ويُحرقون على رمال الصحراء دون أن يرددهم ذلك أو يُفرق جماعتهم.

الثاني: المسلمون الآن يُشكل أهل السنة والجماعة منهم 91% والشيععة 8% و1% فرق أخرى. والخلاف بين السنة والشيععة؛ هو اختلاف في حب بعض أصحاب النبي ﷺ هذا هو أول الخلاف ونهايته بعيداً عن ساسة الصفويين وأحقاد المجوس.

إذن الافتراق إلى 73 فرقة لا يعني أن لكل فرقة 1.3% فهذا غباء مدقع.

الافتراق صورته الحالية هي 91% أهل سنة وجماعة والشيععة 8% و1% فرق أخرى.

ولا فرق بين السنة والشيععة في أصل العقائد إلا ما أدخله ساسة الصفوية. يقول المفكر الإيراني علي شريعتي فيلسوف الثورة الإيرانية: «ولو خرجت كل المظاهر الدخيلة علي التشيع فلن يبقى هناك أي خلاف يذكر بين مذاهب الإسلام».

والفرق الضالة لا يعني دخولها في النار خلودها فيها بل هم كعصاة المؤمنين إلا الذي يقترف بدعة كُفرية.

سادساً: أما بخصوص غير المسلمين فإن الله لن يظلم عباده... قال الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 108]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، ويقول: ﴿وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَزُرْ أٰخَرِيَّ وَمَا كُنَّا مَعْدِيْنَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُوْلًا﴾ [الإسراء: 15].

الذين لم تُقم عليهم الحجة في الدنيا ستُقام يوم القيامة.

ويوم القيامة مدته 50 ألف سنة... أي أطول من عمر البشرية كله... فلا ينزعج الملحد ولا يقلق إلا على نفسه، فالدنيا والآخرة مسار واحد، ثم جنة أو نار، لا فرق بين الامتحان في الدنيا أو في الآخرة، فالآخرة يمكن تسميتها البلوغ التكليفي لأهل الفترة!

سابعاً: الملحد الذي يستخدم حجة تعدد الديانات ليُلحد.. نسأله: هل كفر غيرك يبرر لكُفرك؟

للأسف هذا ما فعله فرعون من قبل. عندما قال لموسى: يا موسى لن أومن لك لأن الكفار موجودون منذ القدم وكثيرون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: 51].

هذه حجة جهلاء بكماء وسُبْحَانَ اللَّهِ تنطلي على كثيرين، مشكلة الملحد أو الربوبي أنه يفرح بموضوع كثرة الديانات، ويتخذ الأمر ذريعة لكُفْره وقلة أدبه مع خالقه ورازقه،

ويتخذ الأمر ذريعة لترك البحث في مُقتضى وجوده ويظن أنه بذلك استطاع أن يجد مبرراً للهروب بشنيعة كفره.

ثامناً: لكن تبقى مشكلة سيقول الملحد: ما المانع أن يكون أحد آلهة تلك الديانات الوثنية الأرضية الوضعية البدائية هو الإله الحقيقي؟

وهذا خطأ شديد وخطل خطير، فلا يوجد معبود في جميع ديانات الأرض إلا الله. وخلافنا مع بقية الأديان ليس لأنهم لا يعبدون الله، ولكن لأنهم جعلوا لله شركاء في الدعاء والطلب والتصرف في الكون.

فجميع أديان الأرض تعبد الله وهو عندها الخالق العظيم، حتى أكثر الديانات إغراقاً في الوثنية؛ لكنهم جعلوا له شركاء متشاكسون نسبوه للخالق واعتبروهم أدنى منه منزلة - آلهة صغيرة - Subordinationism.

ففي الكعبة مثلاً ذلك المكان الصغير كان يوجد ثلاثمائة وستون صنماً، هُدمت كلها يوم فتح مكة.. لكن هذه الأصنام كانت تُتخذ وسائط متعددة لإله واحد، قال القرآن على لسانهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: 3].

ما يعبدونهم إلا تقرباً وواسطة إلى الله، وقد ألغى الله الوسطة بينه وبين خلقه على لسان جميع أنبيائه، ولذا يقول تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: 25].

يقول الشهرستاني عن أوثان العرب قديماً: «أما الأصنام فلم يكن العرب يعبدونها لذاتها، ولم تكن عندهم مجرد قطعة من حجر».

بل إنه يوجد في الهند قريباً من أربعة آلاف من الآلهة، وهذا لا مثيل له في العالم، ومع ذلك يُنظر لهذه الكثرة الكاثرة من الآلهة أنها صور وتجسيديات للكائن الواحد الأعلى - الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، وهذا ما ذكره التقرير المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند وفيه أن: النتيجة العامة التي انتهت إليها اللجنة من البحث هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد عقيدة راسخة في كائن واحد أعلى⁽¹⁾.

(1) قصة الحضارة للملحد [ول ديورانت] مجلد 3 ص 209.

ويرى [ول ديورانت] أن هذه الألوف من الآلهة هي نفس ما تفعله الكنائس المسيحية من تقديس لآلاف القديسين فلا يتطرق إلى ذهن الهندي ولو للحظة واحدة أن هذه الآلهة التي لا حصر لعددها لها السيادة العليا⁽¹⁾.

المصدر السابق.

ولذا فقد كان النزاع بين الرسل وأقوامهم في توحيد الألوهية «إفراد الله بالعبادة»، لا في توحيد الربوبية «إفراد الله بالخلق»، ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم»⁽²⁾.

فتوحيد الله فطرة البشر جميعاً، والجميع يؤمنون بالخالق، فالغريزة الدينية التوحيدية توجد في كل الأعصار والأصقاع وهي إحدى النزعات الخالدة للإنسانية.

تاسعاً: طالما أنه منذ البدء والتوحيد هو الأصل لماذا علم الآثار - الأركيولوجي - والحفريات يُخبروننا بعكس ذلك؟

إجابة هذا السؤال بسيطة للغاية، وهي أن الموحدين لا يصنعون تماثيل ولا أيقونات ولا معابد.. فالذي يقرأ التاريخ عبر التماثيل والأيقونات سيقراً تاريخ الوثنيين الذين جعلوا مع الخالق آلهة صغيرة.. وهذا مصدر ضلال الملحدون في البحث!!

ولذا يرى [الانج] و[باسكال] و[شميث] و[بروس] و[كوبرز] وغيرهم وهؤلاء من كبار الباحثين في أصول الأديان أن التوحيد كان أولاً، وأن كل معبودات الوثنيين جاءت كمرحلة تالية لعبادات توحيدية يُعبد فيها الله الواحد الأحد، فالتوحيد كان أولاً ثم الوثنية والتعددية تأتي في مرحلة لاحقة.

المصدر: andrew lang: the making of religion

(1) المصدر السابق.

(2) مجموع الفتاوى 1/ 359..

عاشراً: زميلنا الملمد لا يدرك أن الفرق الإلحادية لا حصر لها، وكل فرقة إلحادية تلعن أختها فهناك:

الإلحاد شيوعي

الإلحاد علماني

الإلحاد ليبرالي

الإلحاد سلبي

الإلحاد إيجابي

لاديني الوهي

لاديني متوقف

لأدري وقتي

لأدري دائم

strong atheism

⁽¹⁾weak atheism

والإلحاد الشيوعي ينقسم بدوره إلى

الإلحاد شيوعي لينيني

الإلحاد شيوعي ماوي

الإلحاد شيوعي ستاليني

الإلحاد شيوعي بلانكي

الإلحاد شيوعي تروتسكي

(1) () <http://commonsenseatheism.com/?p=6487>

والإلحاد الشيوعي؛ ينقسم إلى آلاف الفرق وكما يقول الشيوعي الشهير مكسيم لوروا في كتابه «رادة الاشتراكية الفرنسية» يقول: «لا شك في أن هناك اشتراكات متعددة، فاشتراكية بابون، تختلف أكبر الاختلاف عن اشتراكية برودون، واشتراكية سان سيمون وبرودون، تتميزان عن اشتراكية بلانكي، وهذه كلها لا تتمشى مع أفكار لويس بلان، وكايبه وفورييه، وبيكور، وإنك لا تجد داخل كل فرقة أو شعبة إلا خصومات عنيفة، تحفل بالأسى والمرارة».

هذا في فرنسا وحدها فما بالنا بتفريعات تروتسكي وستالين وماو وبول بوت وكوريا الشمالية، وآلاف التفرعات والإنشاقات الأخرى.

وهكذا كل فرقة من الفرق الإلحادية تنقسم على نفسها، وتتشظى وتتفتت إلى ما لا نهاية، والعلمانية الإلحادية تنقسم إلى:

إلحاد علماني سطحي

إلحاد علماني مستنير

إلحاد علماني متعمق

إلحاد علماني نضالي

إلحاد علماني صراعي

إلحاد علماني منفتح

إلحاد علماني فعلي

إلحاد علماني جديد

إلحاد علمانية واقعي

والعلمانية الفاشية fascist-secularism في تركيا

وكلها علمانيات متنازعة ومتضاربة وتحارب بعضها بعضاً

وظهرت في الغرب مصطلحات

إلحاد رأسمالي رشيد

إلحاد رأسمالية حقيقي

إلحاد رأسمالي شكلي

إلحاد رأسمالي منبوذ

وعلمانية فرنسا تختلف تمام الإختلاف عن علمانية هولندا، وكلاهما لا تمانان بصلة لعلمانية أمريكا، وعلمانية الصين كأنها دين آخر تمامًا، وهكذا.

وجنة الملحد الشيوعي لن يدخلها الملحد الليبرالي..

والإلحاد الشيوعي يرى ضرورة تصفية الإلحاد الرأسمالي جسدياً كما في وثيقة الكولاك لزعيم البلاشفة لينين.

وداخل الإلحاد الشيوعي كل طائفة تزعم أنها الحق المطلق، وستالين يقوم بتصفية تروتسكي -ثالث أكبر مُنظر للشيوعية في العالم-، بدافع الحفاظ على الشيوعية الإلحادية اللينينية.

وكوريا الملحدة الشيوعية الشمالية؛ ترى أن كوريا الرأسمالية الجنوبية خطر على العالم يجب سحقه.

وكل الصراعات الأوربية في القرن الأخير والتي راح ضحيتها ربع سكان أوروبا كانت علمانية إلحادية 100 % ولم يدخل فيها حزب ديني واحد.

وظهرت مدرسة الداروينية الإجتماعية Social Darwinism التي تعني أن الأقوى يسيطر ثقافياً وفكرياً وبيولوجياً، والضعيف ينسحب بهدوء إلى أن يموت. وهي مدرسة القتل البطيء للآخر طبقاً للتنظير الدارويني ورؤيته للجنس البشري.

وظهر هيربرت سبنسر مُنظر الإلحاد الدارويني في القرن التاسع عشر، والذي أكد على ضرورة القتل البطيء للجنس البشري حيث يقول بالحرف: «فإن فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم، تعارض أبسط بدهيات الانتخاب الطبيعي، إن مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم، يتأتى في تحدٍّ صارخ لقانون الطبيعة»⁽¹⁾.

(1) Social Status, p.41 415

وهكذا تحول الإلحاد إلى آلة قتل باردة ضد الآخر، حتى ولو كان مُلحدًا طاملاً لا ينتمي لنفس الطائفة والعنصر والجنس، وكانت النتيجة مقتل ربع سكان أوروبا في مجازر حريين عالميتين لا تُمَتَّن بصلة لأي دين من الأديان⁽¹⁾.

والحمد لله رب العالمين.

لماذا الشر موجود؟

المصائب والزلازل والبراكين والشرور في هذا العالم!

يتساءل الكاهن الملحد: لماذا الشر موجود؟

ونحن نقول: إن الشر أكبر دليل على وجود الله!

الخير والشر موجودان وشاء الله وجودهما.... امتحانًا واختبارًا

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: 35].

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: 2].

إذن الخير والشر موجودان لأننا في دار امتحان.

مشكلة الربوبي والملحد أنه يعترف بوجود الشر، ويعترف أن وجوده مُعضلة، فليس ثمة

مبرر لوجوده إلا في الإطار الديني!

الإطار الديني هو الوحيد الذي يُقدم التفسير.

لكن السؤال: لماذا نقول أن الشر أكبر دليل على وجود الله؟

الشر أصلاً غير مُستوعب وغير مُدرك، إذ لو كان الإنسان ابن الطبيعة أو ابن المادة، وتجري

عليه قوانين الطبيعة الحتمية، فلن يدرك وجود الشر، ولن يستوعب ماهية الشر ولا معنى كلمة

شر، فهل تُدرك أكثر الحيوانات تطوراً - طبقاً للداروينية - مُعضلة الشر؟

(1) بعض الاحصائيات الواردة في المقال صادرة عن مؤسسة بيو الأمريكية لأبحاث الأديان والمعتقدات

فاستيعاب الشر يعني أننا لسنا أبناء هذا العالم، وأنا نبحت عن عالم كلي الخير، وفي هذا الحُجة الأولى والأقوى للدين.

يقول [إس. سي. لويس]: «وقد كانت حُجتي ضد الله أن العالم بدا في منتهى القسوة والظلم.. ولكن كيف حصلت على مفهوم الظلم والعدل هذا؟

إن المرء لا يصف خطأً بأنه غير مستقيم إلا إذا كانت لديه فكرة ما عن ماهية الخط المستقيم.. فماذا كُنت أقارن هذا العالم لما دعوته غير عادل؟

وإذا كان العرض كله سيئاً وتافهاً من الألف إلى الياء إذا جاز التعبير، فلماذا وجدت أنا نفسي في ردة فعل عنيفة هكذا تُجاهه، مع أنني من المفترض أن أكون جزءاً من العرض؟
إن الإنسان يشعر بالبلل عندما يسقط في الماء؛ لأنه ليس حيواناً مائياً، أما السمكة فما كانت لتشعر بالبلل.

وكان من شأني طبعاً أن أتخلى عن مفهومي للعدل بمجمله بقولي أنه ليس شيئاً سوى فكرة خاصة من بنات أفكاري، ولكن لو فعلت ذلك لانهارت أيضاً حُجتي ضد الله؛ لأن رُكن تلك الحجة كان القول بأن العالم غير عادل فعلاً، وليس فقط أنه لم يصدق أن يُرضي ميولي.

وهكذا فني محاولتي إثبات عدم وجود الله، تبين لي في ذلك الفعل ذاته حقيقة وجوده؛ لأن الإنسان بإنكاره وجود العدل في فعلٍ ما يُرغم على التسليم بوجود مفهوم العدالة، وبناءً على ذلك يتبين أن الإلحاد ساذج جداً.

ولو كان الكون كله عديم المعنى لما كان قد تبين لنا إطلاقاً أنه عديم المعنى.

فالوضع شبيه تماماً بهذا: لو لم يكن في العالم نور، ولم تكن في العالم مخلوقات لها أعين لما كُننا نعرف قطعاً أن الظلمة مسيطرة ولكانت الظلمة كلمة عديمة المعنى».

C.S. Lewis response

إذن الشر هو أكبر دليل على أننا لسنا أبناء هذا العالم، وأن المقدمة الدينية هي الوحيدة التي تملك التفسير والمعنى والقيمة!

لكن الملحد يتردد مرةً أخرى ويقول: «علم الله كلي إذن المفترض أنه يعلم ماذا سنفعل. لماذا إذن يُدخلنا في هذه التجربة وهو يعلم أن الكثيرين منا سيضلون؟».

أولاً: لا يوجد عاقل يكفر بوجود الله؛ لأن علم الله كلي إلا الملحد!!

ثانياً: هل علم الله الكلي يمنع أن يتيح لنا الفرصة لنُقيّم أنفسنا، ونرى بعين اليقين أننا نستحق الجنة أو النار؟ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3].

ثالثاً: لو قال الملحد... لكنني لا أحب هذا الاختبار وأريد أن أخرج منه حالاً... إذن اترك الحياة التي وهبها لك هذا الخالق ومِت الآن!.. وصدقني لن تفعل وستتمسك بالدينا، فطالما استسلمت للاختبار فعليك أن تعمل بأقل مقتضياته، وهو شكر الذي خلقك ووهبك كل هذه النعم.

والله سبحانه أخبرنا أنه لن يترك الكافر، فالكافر الذي كفر بأبسط البدهيات وهي خلقه وتجراً على الله وجحده واستكبر وأجرم، لن يمر بشنيعة كفره ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: 43].

لكن هل الله يحتاج للشكر والعبادة؟

الله غني عن العالمين، لكنه يعلم أن عباده لن يصلحهم إلا عبادته، ونحن نعلم جميعاً أنه بقدر ابتعاد الإنسان عن الله بقدر استحلاله للمحرمات؛ لأنها أصلاً لم تعد عنده محرمات. وحتى لو لم يرتكبها فإجازته لارتكابها أعظم شناعةً من ارتكابه لها.

إذن مشكلة الكافر هي مشكلة كل طالب فاشل. ووقت الامتحان المُلحد يُنكر وجود الأستاذ، ووقت النتيجة الربوبي يُنكر وجود الامتحان، لكن المعيار لا يضعه الطالب الفاشل ولا الخائب. الذي يضع معيار الامتحان هو الأستاذ - ولله المثل الأعلى -.

وقد قضت الحكمة الإلهية أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير، ومع ذلك فشل في الاختبار خلق كثير ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10].

فلا يوجد شيء يسمى شر في العالم المادي، وإلا فكيف تبحث عن حل لمشكلة الشر؟

كيف أصلاً تشعر بوجود الشر؟

كيف تتمرد على قوانين الطبيعة المادية الحتمية؟

إذا كان الإلحاد صحيحاً فيستحيل أن تشعر بالشر، فداخل العالم الإلحادي لا يوجد معنى مادي للشر أو الظلم، فالشر أو الظلم هو وضع الشيء في غير محله، ومحل الأحداث في عالم

الإلحاد هو نفس المحل الذي تحدده القوانين الفيزيائية، وبما أنه لا توجد ذرة تخالف تلك القوانين. إذن كل حدث في الكون المادي قد وُضع في محله المادي، ولذلك المفترض ألا يوجد في المجتمع الإلحادي ولا في الكون المادي ظلم أو شر.

ودماغ الإنسان بما فيه من نشاطٍ عصبِيٍّ لا يخطئُ مادياً، بل يتبعُ كلَّ القوانينِ الفيزيائيةِ الصحيحةِ ولا يتمرد على سُننها وإذا قلنا بوجود الشر أو الظلم، فهذا دليلٌ قاطعٌ على أن المسئولَ عن الخطأ وأيضاً المرجع الذي به حكمنا على خطئه ليس تفاعلاتٍ ولا قوانينَ مادية، وهنا سنعود إلى ميتافيزيقياً الأخلاق، فإن ادعى الملحد أن ما يحتكم إليه الإنسان من قيم وأخلاق «ما هي إلا قوانينٌ وضعيَّةٌ نتجت عن حالاتٍ نفسيةٍ وعاداتٍ وتقاليدٍ». نجيبه: لكنك لا تؤمنُ أنها حالةٌ نفسيةٌ للروح بل هي حالةٌ ماديةٌ لا يمكنُها أن تُخطئَ حالةً ماديةً أخرى، فحتى تناطحُ الذراتِ هو تصرفٌ لا خطأ فيه ما دام موافقاً للقوانين الفيزيائية الصحيحة.

(السلوك المادي السليم للذرة في الدماغ) + (السلوك المادي السليم للذرة في الدماغ) + = سلوك مادي سليم في الدماغ.

فمن أين أتت إذن تلك المعاني الخاطئة التي يمثّلها ذلك السلوك المادي السليم؟

الآن هل توجد دالة تربط بين (سلوكيات المادة في الدماغ) وبين (القيم الأخلاقية)؟ إذا قلنا بوجود الدالة فقد عدنا للميتافيزيقيا من أوسع أبوابها، وإن لم يكن ثمة دالة فلن تقنع أحداً بوجود الشر أو الظلم وستنهار الفكرة الإلحادية نفسها.⁽¹⁾

فالشر واستيعابه أكبر دليل على وجود الله، وعلى صحة القضية الدينية والتكليف الإلهي!

لماذا الكون بهذه الضخامة

والأرض بهذه البساطة والتفاهة بالنسبة لحجم الكون؟

أولاً: هل الله تعنيه الأحجام مثلنا نحن البشر؟ لماذا يحاول الملحد في كل أطروحاته أن يؤنس الإله؟ هل الله يهتم بالفيل ولا يهتم بالنملة لفارق الحجم المليونى مثلاً؟

(1) الفقرات الأخيرة مُقتبسة من منتدى التوحيد ببعض التصرف والإضافات.

ثانيًا: السماوات والارض مصدرهما نقطة أصغر من رأس الدبوس أليس كذلك يزعم كل فيزيائي العالم طبقا لليج بانج؟

ثالثًا: الحجم نسبي ولو تحولت المجموعة الشمسية كلها إلى ثقب أسود فلن تتجاوز حجم حجر صغير، حجم الأرض 0.9 سنتيمتر مكعب.

رابعًا: لو حدث أن كل شيء حولنا زاد ألف ضعف هل سنكتشف الأمر؟ هل سيتغير شيء؟ طبقاً للنسبية العامة لا شيء البتة سيتغير ويستحيل اكتشاف الأمر إلا لو تغير طول ثابت بلانك مليار مليار ضعف ساعتها ربما نكتشف الأمر -بسبب ظاهرة الحيود والتداخل بين الأجسام-.

إذن القضية ليست بالأحجام ولا الحكم على الأشياء يكون بالأحجام والأوزان والأثقال.

القضية هي إدراك هذه الأشياء واستيعابها، والآن:

هل ثمة شيء يستوعب هذه العلاقات بين الأحجام إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك الفوارق إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك القوانين وضخامة الأفلاك وعظمة الخلق وروعة الإعداد بعناية إلا

الإنسان؟ هل ثمة شيء يدرك أن الوردة حمراء وبديعة التنسيق والجمال غير الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك مدارات الأفلاك وعظمة الخلق وروعة المنظومة الفيزيائية التي تحكم

الكون غير الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك مخاطر الانفجارات النجمية في مجرة [أندروميديا] مثلًا إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يهتم بأحداث الفضاء ومدارات الأفلاك غير الإنسان؟

إذن لا يختلف العلماء على أن الإنسان مركز الكون إدراكياً وسيكولوجياً وحديثاً فيزيائياً

ومنذ الأزل دينياً.

الهوس الجنسي عند العرب؛ أسطورة يروج لها الملاحدة ويصدقها الإعلام

الهوس الجنسي عند العرب شديد.

ويستدل الملحد بـ:

- 1- أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر.
- 2- الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل.
- 3- الكبت الموجود في العالم الإسلامي، مصدر رئيس لهذا السُّعار الجنسي.

الرد:

الهوس الجنسي عند العرب، أسطورة قدرة ودعاية حمقاء، يروج لها ملاحدة خبثاء، وإعلام عميل، ومسلمون سُذج.

والميل الجنسي في أصله غريزة طبيعية خلقها الله وجعلها دافعًا للحفاظ على النسل، لكن نمط حياتنا - الذي أصبح مُقلدًا للغرب - صار يفترض في حياة كل شاب عربي بضع سنين يقضيها في اللهو الحرام قبل أن يظفر بنكاح صحيح، ومع هذا كان رادع الدين في بلادنا العربية يمثل حائط صد جوهرى ضد الزنا والاعتصاب والشذوذ، فلولا الدين كما يقول فولتير لسرق الخادم وخانت الزوجة.

الاعتصاب:

ولذا فأقل دول العالم هوسًا بالجنس الحرام، هي -بفضل الله- الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكابًا لفاحشة الزنا على الإطلاق هي الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكابًا لفاحشة الشذوذ الجنسي على الإطلاق هي الدول الإسلامية، ولذا فأقل معدلات اغتصاب توجد في البلدان الإسلامية حصريًا..

وهذه قائمة بالدول التي توجد بها أعلى معدلات اغتصاب في العالم بالترتيب في العام 2015⁽¹⁾:

(1) <http://www.worldblaze.in/top-countries-with-highest-rape-crime-in-the-world-2015/>

بلجيكا

تايلاند

روسيا

السويد

ألمانيا

كندا

المكسيك

جنوب أفريقيا

الهند

أمريكا

أما الدول الإسلامية فهي أقل دول العالم ارتكابًا للاغتصاب على الإطلاق.

وتكاد تخلو الدول التالية من الجريمة عمومًا⁽¹⁾.

باكستان

السعودية

اليمن

إذن الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

نُكرر مرةً أخرى -بفضل الله- الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

طبعا هذا على العكس تماما مما يروج له كهنة الإلحاد والعلمانية.

(1) <http://www.nationmaster.com/graph/crime-rape-crime-rapes>

مرض الإيدز:

ومن دلائل ذلك أن مرض الإيدز AIDS الذي يعاني منه 36 مليون نسمة في العالم، والذي يُصيب سنوياً مليونين ونصف من البشر، يوجد بأقل معدلاته على الإطلاق في الدول الإسلامية، وتكاد الدول الإسلامية تكون خالية بأكملها من المرض باستثناء بعض المهاجرين للدول الأوربية وأمريكا.

ويعادل تواجد الإيدز الصفرة تقريباً في أغلب الدول الإسلامية - الخليج العربي والبوسنة والمهرسك وتركيا وأندونيسيا ومصر وليبيا والعراق وأفغانستان وتركمانستان، إلخ...-

الشدوذ الجنسي:

أما عن الشدوذ الجنسي Homosexuality فإن 20% من الغربيين عندهم أفكار شدوذ جنسي⁽¹⁾. وفي مسح إحصائي شمل 39 دولة، حول قبول فكرة الشدوذ الجنسي تبين أن 80% من الغربيين يتقبلون فكرة الشدوذ الجنسي... في حين أن النسبة في الدول الإسلامية لا تتجاوز 1%⁽²⁾.

بل لقد تجاوزت الدول العلمانية عالية التقانة الحدود في الهوس الجنسي، وصارت تطالب رسمياً بإتاحة الشدوذ الجنسي بين الرجال والأطفال، وظهرت جماعات كبرى مثل النامبلا NAMBLA التي تُنادي بإلغاء حاجز السن بين الشواذ جنسياً... وبالفعل المنظمة ناجحة تنظيراً، وللمنظمة اجتماع سنوي بنيويورك واجتماعات تُعقد شهرياً بصفة منتظمة بالولايات المختلفة⁽³⁾.

The North American Man/Boy Love Association NAMBLA

ومن عجائب ما يُذكر أنه في حرب الخليج الثانية كانت التعليمات المباشرة للجنود الأمريكان، إذا رأيت سعوديين يُشبك أحدهما في يد الآخر فهذا طبيعي عندهم⁽⁴⁾.

(1) <http://en.wikipedia.org/wiki/Homosexuality>

(2) <http://www.pewglobal.org/2013/06/04/the-global-divide-on-homosexuality/>

(3) <http://nambla.org>

(4) https://www.youtube.com/watch?v=M_CX-JjGFO8.

وفي سويسرا يسير الاتجاه رسمياً الآن، نحو تفعيل قوانين تُبيح زنا المحارم.
هل ما زال الملحد مُقتنعاً بأسطورة الهوس الجنسي عند العرب؟
لكن ماذا عن أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر؟

هذه أحد أكاذيب وتلفيقات الملحدين العرب والعلمانيين العرب؛ لأن التحرش لم يُعرّف عالمياً حتى الآن، ففي مصر النظرة والابتسامة ربما لهما دلالات تحرش ويُصنّف أصحابها في قوائم المتحرشين جنسياً، وبداهةً السقف في الدول الأجنبية مرتفع جداً، وربما يوصف الفجور بأنه لباقة في التعاطي مع الجنس الآخر، فكيف توضع هكذا إحصاءات دون تحديد دلالات واضحة؟

وإذا نظرنا للتحرش الجنسي في العالم فإن السويد كالعادة تأتي في المرتبة الأولى بنصيب الأسد، وفي أستراليا وحدها تبلغ تكلفة التحرش الجنسي 11 بليون دولار⁽¹⁾.
أما بخصوص أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثاً عن كلمة sex في جوجل.

يبلغ عدد المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت 4.2 مليون موقع، يعمل بها حوالي 9 مليون امرأة أجنبية، تُدر حوالي 12 مليار دولار أمريكي، تأتي الولايات المتحدة في قائمة أكثر البلدان امتلاكاً لصفحات جنسية، تليها ألمانيا، ثم المملكة المتحدة، ثم أستراليا واليابان وهولندا ثم روسيا وبولندا وأسبانيا، وهذه المواقع ربحية في المقام الأول، وبالتالي هي مُوجهة رأساً نحو المستهلك الأوربي والأمريكي.

ولسنا بحاجة إلى إثبات أن نسبة المواقع العربية الإباحية أمام 4.2 مليون موقع = الصفر تقريباً.

ولن ندفن رءوسنا في الرمال ونقول إننا لا نتعاطى مع هذه المواقع الأجنبية، فنحن بشر وأصحاب غرائز وذنوب، خاصةً وأن الفئة العمرية التي تتعامل مع الإنترنت في البلدان العربية هي الفئة الشبابية، لكن فرق جوهرى بين من يرى أن تصفح المواقع حق تجب الدعاية والترويج له ويتربح من خلالها، وبين من يعتبرها خصلة دنية يستغفر الله بعدها وينوي ألا يعود.

(1) <http://www.thelocal.se/20090427/19102>

وعندما بحثت أنا في مسألة أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل، تجاهلت المواقع العربية الصفراء، واتجهت رأسًا إلى جوجل، أبحث داخله عن أهم نقاط البحث للعام الماضي في ثلاث بلدان عربية وهي مصر والسعودية والإمارات، وكانت النتيجة:

مصر:

1- أحداث بورسعيد borsayed indicants.

2- اللجنة العليا للانتخابات higher elections commision.

3- تنسيق الجامعات 2012.

4- ميدان التحرير tahrir sqr.

5- حزب النور noor party.

6- بورما Borma.

7- الحرية والعدالة justice and freedom party.

8- محاكمة مبارك Mubarak trial.

9- انتخابات الرئاسة Presidential elections.

10- مشروع النهضة development project.

السعودية:

1- نتائج الطلاب students results.

2- التأمينات insurance.

3- عرب ايدول Arab idol.

4- مسلسلات رمضان 2012 Ramadan episodes 2012

5- محمد مرسي Mohammad Mursi.

6- انفجار الرياض Riyadh Explosion.

7- بورما Borma.

8- الجيش السوري الحر free Syrian army.

9- مجلس الشوري Shura counsel.

10- إعصار ساندي Sandi storm.

الإمارات:

1- Gangnam Style

2- iPad

3- Olympics 2012

4- Samsung Galaxy S3

5- The Avengers

6- Skyfall

7- Hurricane Sandy

8- مسلسلات رمضان 2012 2012 Ramadan episodes

9- KONY 2012

10- الثورة السورية Syrian Revolution⁽¹⁾.

أما عن الكبت الموجود بالعالم الإسلامي، وأنه مصدر رئيس لهذا السعار الجنسي. فقد تبين في ثنايا هذا المقال مدى سخافة تلك الأسطورة التي تربط بين الكبت والسُّعار الجنسي، فأكثر الدول إباحتها هي أكثرها سُعارًا في الجنس على الإطلاق، وأقلها إباحتها هي أقلها

(1) arabcrunch.com/2012/12/top-google-search-trends-in-egypt-uae-and-saudi-arabia-in-2012.html

سُعاراً، وقد أثبتت دراسات الطب النفسي السلوكي أن ضبط الغرائز يؤدي إلى تهذيبها، في مقابل أن إفلاتها يجعلها تتحول إلى فيضان كاسح.

ولا أدري كيف انقلبت الآية عند الملحد والعلماني وصاروا يُروِّجون للعكس، ربما هم يؤمّلون شيوع الفاحشة في بلادنا الإسلامية، فيكذبون من أجل ذلك ويخترعون أسطورة الربط بين السُّعار والكبت.

فطَبِقاً لطب النفس السلوكي فإن الرجل الأوربي يُفكر قي الجنس كل 6 دقائق، و42% من البريطانيين يقيمون علاقة مع أكثر من شخص في نفس الوقت، بينما 50% من الأمريكيين يقيمون علاقات غير شرعية (أي مع غير أزواجهم)!(1).

وفي أمريكا وحدها يقتل الإجهاض أكثر من مليون طفل سنوياً(2).

وعندما حاولت فرنسا منذ فترة قريبة تقنين أوضاع بيوت الدعارة بها، خرجت ثورة كبرى، وأغلقت العاهرات الشوارع، ورفعن لافتات sex=work و sex is work واضطر المشرِّع أن ينزل على رغبة العاهرات، وفي إسرائيل أكبر المظاهرات في الخمسين عاماً الأخيرة هي حصرية للشواذ جنسياً ولطالباتهم التي لا تنتهي، وأكبر نسبة من التظاهرات في أوروبا وأمريكا متعلقة مباشرةً برغبات جنسية وطلبات زيادة وجبات إباحية، أو تسهيل زواج مثلي، أما مظاهرات العُراة فلا تكاد تخلو منها مدينة أوربية، ومؤخراً سمحت السويد رسمياً بحق الاستمناء في الأماكن العامة(3).

الخاتمة:

وهكذا يتبين لنا فداحة خطأ تلك الأسطورة التي تربط بين الهوس الجنسي والعرب، أو بين الهوس والمتدينين، إنها أسطورة ذائعة الصبِّت، واسعة الانتشار، مقبولة لدى قطاع عريض جدًّا من السُّدج والحمقى والمُغفلين.

(1) http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/177333.stm

(2) <http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss5511a1.htm>

(3) <http://www.dailymail.co.uk/news/article-2424416/Swedish-court-rules-IS-legal-masturbate-public-directed-specific.html>

إن القاعدة الفطرية البديهية التي نخرج بها من هذا المقال، ومن الإحصاءات الرسمية التي أوردناها، ومن المسح السلوكي لأخلاقيات المجتمعات تتلخص في أن «المرء إذا هوى دينه فإنه يُقاد من فرجه وبطنه، أكثر مما يُقاد من عقله وضميره».

الرق - السبي - العبودية

معلومات أولية لابد أن تعرفها في هذا الملف:

أولاً: العبودية هي مرحلة أساسية في تاريخ الجنس البشري، ومن مقتضيات عصور بشرية أصيلة.

ثانياً: لا يوجد في تاريخ البشرية ديانة ولا فلسفة ولا مذهباً ولا فرقة إلا وأجازت الرق واعتبرته بديهية وجودية.

ثالثاً: اختفاء الرق في القرن الماضي كان فقط لظهور المكائن - الآلات التي حلت محل البشر - وإلا فالرق كان وسيظل موجوداً ما وُجد الإنسان.

رابعاً: لا يوجد مانع ديني ولا أخلاقي ولا مادي ولا علمي ولا فلسفي ولا إلحادي يمنع من ممارسة الرق بمفهومه الإسلامي -الذي هو أقرب للتبني- كما سنبين بعد قليل.

خامساً: لم يتوقف الرق فجأةً لضجر العبيد أو لرهافة إحساس الأسياد، ولكن فقط نتيجة استغناء مباشر عن العبيد بالمكائن التي ظهرت في القرن الماضي.

سادساً: لم يعرف التاريخ ناقداً للعبودية على طول الخط وانتهاء العبودية جاء فقط كنتيجة بديهية لعدم الحاجة إليهم، ولذا قال نيتشه: «لو أمطرت السماء حرية لأمسك العبيد مظلات».

وفلاسفة الدنيا كلها أطبقوا على أن مفهوم الرق في أصله مفهوم مقبول وسنذكر بعض الأمثلة:

1- كان أرسطو يرى أن العبودية أمر بدهي وكان من أشد المؤيدين لها والحريصين عليها

2- قال أرسطو: الذي يخضع للقانون هو أيضا عند مستوى ما من العبودية.

3- جمهورية أفلاطون الفاضلة لا تخلو من العبيد.

4- يؤيد هيجل العبودية بشدة ويرى أن العبد يحقق متعته في خدمة سيده.

5- يقول كارل ماركس: بدون عبيد لا وجود لأمريكا الشمالية⁽¹⁾.

سابعاً: يرى هيجل أن الغريزة الأساسية في الإنسان هي الرغبة في نيل الاعتراف-ينال قيمته-، وفي هذا الإطار فالعبد يحقق غايته تماماً، حيث أن العبد يحقق متعته في خدمة سيده وهو في ذلك يسعى إلى الرغبة في الاعتراف، والعبد لا يتمرد على سيده أبداً لأنه أصلاً لا يعرف أنه ينقصه شيء، فهو رغباته المادية يحققها من أموال سيده ورغباته فوق المادية مثل الرغبة في الاعتراف يحققها ببراعته في عمله، بل وكلما كان أكثر إخلاصاً لسيده كان أكثر تحقيقاً لهذه الرغبة، لذا فالعبد لا يشعر أنه عبد، بل يتحرك في إطار عقلافي يستوعبه ويستوعب سيده، لذا لم يتمرد العبيد. فالعبد في البداية والنهاية مسوقاً إلى الدور المطلوب منه - كالسيد تماماً -.

ثامناً: يقول مؤسس الدولة المدنية جون لوك: «الملوك في أمريكا القديمة والذين كانوا يملكون أراضٍ شاسعة هم أفقر مادياً من عامل إنجليزي في ورش مانشستر».

لكن الملك لديه من يعترف به فتزداد سعادته، فالسعادة قيمة نسبية لا علاقة لها بالوسائل المادية المتاحة، وإنما هدف السعادة المادية هو نيل الاعتراف وهذا متحقق للعبد مادياً!

تاسعاً: في لحظة ما عندما نحتاج للعبيد سيعود العبيد، خاصةً وأنه بعد اختراع الأسلحة النووية ظهرت في الأدب العالمي فكرة احتمالية أنه في أي لحظة يمكن أن يخسر العالم كل التكنولوجيا الحديثة ونعود للخيل والجبال مرةً أخرى، وفي فيلم محارب الطريق the road warrior للمنتج الاسترالي جورج ميلر، نرى حضارة مستقبلية قائمة على الخيل والعربات التي تجرها الحيوانات⁽²⁾.

عاشراً: الذي ينتقد العبودية هو حتماً سينتقد منظومة العمل والحياة الوظيفية الآن، فالحياة الوظيفية هي رق جزئي -عبودية جزئية-، وفي تعريفها الرسمي: استقطاع ساعات معينة من وقت الموظف لصالح مؤسسة أو شركة أو شخص ما، مقابل تقاضي أجر محدد أو منفعة محددة.

(1) <http://www.marxists.org/archive/marx/410.htm>

(2) نهاية التاريخ، فرانسيس فوكوياما، ص 86.

لكن الإنسان المعاصر يستسيغ المنظومة الوظيفية الآن، ولا يستسيغ مسألة الرق فقط بسبب المعاصرة - فهو معاصر للمنظومة الوظيفية وله يعاصر مسألة الرق -.

بل إن الفرق الجوهرى بين الرق والمنظومة الوظيفية هو فرق زمنى لا قيمى، فالمنظومة الوظيفية هي رق وقتى، وسخرة جزئية كما يتفق على ذلك المشرعون!

أيضاً الرق ليس بالصورة التي يرسمها ويروج لها العصريون، وإنما ربما تنطبق تلك الصورة على ما كان يجري في الدولة الرومانية، بينما في بلادنا كان الرقيق أئمة الدنيا وعلماء الدين. ودولة الممالك خير شاهدٍ عبر الزمان.

إذن الرق أمر بدّهى عبر التاريخ وعبر الجغرافيا، والحفاظ على حقوق الرقيق هو الوصية العاشرة من الوصايا العشر في التوراة⁽¹⁾.

والحفاظ على حقوق الأسياد ووجوب طاعتهم من قبل العبيد هو وصية الإنجيل: « الرسالة إلى أفسس 6:5 ».

ولم يكن الإسلام بدعاً من الأديان، ولم يكن النبي ﷺ بدعاً من الرسل، فقد جاءت الوصية مباشرة بحفظ حقوق الرقيق في الإسلام.

حفظ حقوق الرقيق في الإسلام:

1- قال الله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: 36].

2- وقال تعالى: ﴿ فَمَن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن فِتْيَتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَنْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: 25].

فأمر سبحانه من أراد أن يتزوج من أمته أن ينكحها بإذن أهلها وأن يعطيها مهرها كاملاً!

(1) سفر التثنية 21.

3- قال رسول الله ﷺ: « لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي»⁽¹⁾.

4- وقال ﷺ: « إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم»⁽²⁾.

ولذا صار الرقيق في الدولة الإسلامية ملوكًا وحكامًا، وأصبحت فترات تاريخية كاملة في حكرًا على الرقيق⁽³⁾.

ولا يعرف تاريخ الإنسانية دينًا أشد حرصًا على الرقيق من الإسلام، يكفي أن تعلم أن هناك ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين يوم القيامة كما في نص الحديث عن رسول الله ﷺ:

1- رجل آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ثم أدركني فأمن بي.

2- ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها.

3- وعبد أدى حق الله وحق مواليه⁽⁴⁾.

إذن الرجل لو أعتق جاريته وتزوجها له أجره مرتين.

والعبد الذي يطيع سيده له أجره مرتين.

ولذا قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحديث المتفق عليه: «والذي نفس أبي هريرة بيده لولا

الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمتي لأحببت أن أموت وأنا مملوك».

لكن هنا قد يطرح العلماني تساؤلًا هامًا وهو: ما مصدر الرقيق وكيف يتحول الحر إلى عبد؟

ولماذا يتحول الأحرار إلى عبيد؟

لا يعرف الكثير من العلمانيين أن الرق هو في الاصل رحمة!

(1) صحيح مسلم.

(2) متفق عليه.

(3) دولة المماليك في مصر.

(4) متفق عليه.

فالرق ينحصر في أرض المعركة وساحة القتال، فالكافر المقاتل يُقتل، والكافرة المقاتلة تُسبى ولا تُقتل، وبالتالي تصبح في باب الرق أو السبي أو ملك اليمين وكلها اصطلاحات لها نفس المعنى.

لكن لماذا نقوم باسترقاق النساء؟

هذا كما قلنا من باب الرحمة؛ لأن الذي جاء يقاتلك ويحاربك لابد أن تقاتله، هذه بديهة تتفق عليها جميع الدساتير والشرائع!

أما المرأة التي جاءت لتقاتلك فلا يجوز لك أن تقاتلها إلا لو باشرت قتلك!

فالمرأة لا تُقتل؛ لأن الإسلام لا يُجيز لك قتل النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا أصحاب الحرف الذين لم يأتوا إلى ساحة المعركة لمحاربة المسلمين؛ وإنما لممارسة حرفهم مع أنهم كفار ومع أنهم في ساحة المعركة!

فمن رحمة الإسلام بالمرأة أنها لا تُقتل -لأنها ضعيفة ولا تباشر قتل المسلمين في الغالب- بل تُسبى.

والمرأة تُسبى حتى يتم فداؤها بأسيرات المسلمين أو العفو عنها وإعادتها للعدو بلا مقابل ﴿فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: 4].

ولاحظ قوله تعالى: حتى تضع الحرب أوزارها، يعني في أرض المعركة، ولاحظ إما منَّا بعد: أي تمَّن عليها بأن تُطلق سراحها بلا مقابل، وإما فداء: أي تفديها بالمسلمات اللاتي أسرهن العدو.

فلا يوجد في الإسلام سبي إلا من أرض المعركة، وهذه قاعدة هامة!

ولا تُسبى المرأة إلا لأنه يحرم قتلها، مع أنها جاءت في جيش العدو وأرادت استئصال شأفتك!

وقد فتح المسلمون بلاد الدنيا وملكوها ولم ينقلوا سكانها الأصليين سبايا إلى الجزيرة العربية فهذا لا يقوله عاقل، بل ولم ينقلوا ساحة المعركة إلى بيوت المدنيين الآمنين، بل إن هؤلاء المدنيين لم يجدوا عزهم وحريرتهم إلا في كنف الإسلام!

وُسبى المرأة ولا يجوز قتلها؛ لأنها كما قلنا حتى لو قاتلت فلا تباشر ذلك في الغالب بنفسها فعقوبتها أهون من الكافر الذي يريد قتل المسلمين ويباشر ذلك بنفسه، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: «ما كانت هذه لتقاتل».

لكن هل يجوز نكاح المسيبة؟

المسيبة لها عقد نكاح، أي يجوز نكاحها، كما الزوجة لها عقد نكاح، لكن شروط عقد نكاح المسيبة تختلف عن شروط عقد نكاح الزوجة، فالزوجة لها شرط الاختيار فيمن يتقدم لها.

أما امرأة مقاتلة جاءت لتقاتلك مع جيش العدو وتم سبيها، فهذه ليس لها شرط اختيار من يتقدم لها.

لكن الزوجة والمسيبة يتفقدان في الأطر العامة فلا تنتقل الزوجة إلى رجلٍ آخر إلا بطلاقٍ ومهرٍ جديدين، ولا تنتقل المسيبة إلى رجلٍ آخر إلا بإطلاقٍ وعقدٍ جديد.

والتعرض للمسيبة في حكم الشريعة يطابق التعرض للزوجة، فلو اغتصبها أحد يُقام عليه حد الزنا.

قال الشافعي: «وَإِذَا اغْتَصَبَ الرَّجُلُ الْجَارِيَةَ ثُمَّ وَطَّئَهَا بَعْدَ الْعَصَبِ وَهُوَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْجِهَالَةِ أُخِذَتْ مِنْهُ الْجَارِيَةُ وَالْعَقْرُ وَأَقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ الزَّانَا».. 253 الأم للشافعي الغصب.

وهل يجوز سبي نساء الكفار المقاتلين الآن؟

لو تم وضع قانون بحرمة سبي النساء والنزيم به المسلمون والكافرون - كما هو حادث الآن-، فهنا لا يجوز للمسلم مخالفة القوانين والعهود، إلا لو بدأ العدو الغاشم في المخالفة! وعليه تُحترم كل العهود والمواثيق التي تمنع السبي في الحروب الآن.

وفي فترة حرب البوسنة كان المجرمون الصرب يغتصبون المسلمات البوسنيات، ومع ذلك لم يُجز علماء المسلمين للمجاهدين في ذلك الوقت سبي نساء العدو.

ثم هل وجدتم رحمةً أعظم من أن تلتزم في مقاتلة عدوك بسلاحه هو، فلا يجوز لك أن

تقتله بسلاح فتاك يهلك الديار والعباد وإنما تقاتله بنفس سلاحه ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194].

والله أعلم!

لكن يبقى السؤال: هل يحق للملحد أن ينتقد مسألة الرق؟

في واقع الأمر قبل أن ينتقد الملحد مسألة الرق عليه أن يجيب عن الآتي:

1- الدولة الوحيدة الملحدة على وجه الأرض الآن هي كوريا الشمالية، وداخل هذه الدولة يتم تقسيم الناس رسمياً إلى سادة وعبيد، في نظام يُعرف باسم السونجن Songbun، وحسب هذا النظام يتم تحديد كمية الغذاء ونوع البروتين وكميته وطبيعة العمل للمواطن الكوري الشمالي ولأولاده من بعده بحسب طبقته داخل السونجن!

وهذا النظام معمول به منذ قرابة نصف قرن من الزمان -منذ انفصال الكوريتين- ولم نسمع أن ملحدًا أو علمانيًا تمرد على هذا الأمر أو انتقده! (1).

2- أليس التمرد على الرق هو تمرد صريح على الداروينية وعلى قانون كوني يحكم وجودنا وهو قانون البقاء للأصلح؟

3- أليس التمرد على الرق هو تمرد على الحتمية المادية؟

4- أليس الرق يساعد مباشرة على الانتخاب الطبيعي - عبر انتخاب الأقوياء والأكثر سيادة -، إذن لو كان الملحد ملحدًا، وكان الإلحاد صحيحًا وكانت الداروينية قضية حتمية، لأصبحت عودة الرق هدف كل ملحد، أليس كذلك؟

5- ما معنى الأخلاق؟ وهل تمت البرهنة عليها علمياً حتى يتبناها الملحد؟

6- الملحد ينظر للإنسان على أنه لطفة بروتوبلازمية ثلاثية الأبعاد، حدود الطبيعة هي حدوده وقوانين المادة هي قوانينه، فكيف تستنى له أن يستوعب الخطأ في الرق ثم ينتقده؟

(1) <http://en.wikipedia.org/wiki/Songbun>.

7- لا يوجد للأخلاق ترميز جيني - تشفير في الجينات -، إذن ليس لها مصدر مادي فكيف يتبنى الملحد نموذجاً أخلاقياً ينتقد من خلاله عملية الرق؟

والآن وقبل أن نختم هذا الموضوع الثري نريد أن نعرض لبعض الصور المشرقة للرق في دولة الإسلام!

حكّم المماليك -الرقيق- مصر والشام قرابة 600 عام، منذ عام 1240 إلى 1811 ميلادية. أي أن نصف تاريخ مصر والشام في الإسلام كان تحت سيادة المماليك، بل ولولا خيانة محمد علي وجريته الشنعاء حين قام بذبحهم في مذبحه القلعة الشهيرة، لظل المماليك سادة الدنيا.

وفي عهد المماليك كانت جميع المقاطعات والولايات يحكمها ممالك.

والشاهد من ذلك أن الإسلام لا يمنع الرقيق أن يكونوا سادة الدنيا، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «أوصيكم بتقوى الله.. والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً».

إذن أوصى رسول الله ﷺ بالسمع والطاعة للرقيق حين يحكمون بلاد المسلمين!

ومن عجيب ما يُذكر هنا أن قطز وبيبرس حين وصلوا لحكم مصر كانوا رقيقاً وظلوا رقيقاً زمناً طويلاً، إلى أن قدم التتار إلى بلاد الشام فاجتمع قطز بالأعيان والقضاة والأمراء، وطلب منهم جمع المال لتكوين جيش مصري عملاق. فقام الإمام العز ابن عبد السلام -رحمه الله- وطلبهم أن يقاتلوا أنفسهم حتى يقتدي بهم باقي المماليك، ففدوا أنفسهم بأموالٍ عظيمة- والمكاتب في الشريعة الإسلامية هي أن يدفع العبد مبلغاً من المال لسيده مقابل حريته، وهذا حق جوهرى من حقوق الرقيق في الإسلام: ﴿وَالَّذِينَ يَبْنُونَ الْكِنَبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فُكَّاتِهِمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: 33].

وبالفعل ظهر الجيش المصري العملاق!

لكن السؤال هنا: بالنسبة للرقيق الذين عاشوا في دولة الإسلام العادلة هل يحرصون على المكاتبه أو تعينهم أصلاً؟

إن قطز وبيبرس لم يقاتلوا أنفسهم ويتحولوا إلى أحرار إلا لتمويل الجيش لا أكثر!

فقد كان المماليك سادة الدنيا وكان جيش المماليك من أعظم جيوش الدنيا.

وقد هزم المماليك المغول في معركة عين جالوت عام 1260 م.

أيضاً السلطان المملوكي -العبد- قنصوه الغوري الذي حكم مصر والشام والحجاز، انتصر على البرتغال التي كانت تريد تطويق أفريقيا في ذلك الوقت، وهزمهم شر هزيمة في موقعة مالابار عام 1508 م.

وقد دافع السلطان قنصوه الغوري عن عدن وعن ديار الإسلام من هجمة المستعمر الجديد! وكان للمماليك جهود عظيمة في شق الترع ومشاريع عملاقة في بلاد المسلمين، ولم يكن في الدنيا جيش يضاهي جيش المماليك إلا جيش الخلافة العثمانية!

ولولا خيانة محمد علي وجريمته النكراء في حق المماليك -مذبحة القلعة-، ربما ما تجرأ المستعمر الغربي العفن على ديار الإسلام وعلى استعمارها ولله الأمر من قبل ومن بعد. أضف إلى ما سبق أن: الرقيق أيضاً هم سادة الآخرة، فأجرهم ضعف أجر السيد بنص الحديث كما بينا قبل قليل.

إذن المشكلة هي الصورة النمطية التي انطبعت في أذهان المعاصرين عن الرق، وليس الرق في حد ذاته.

وإلا فإن بلال بن رباح وعمار بن ياسر وزيد بن حارثة وأم أيمن وسمية بنت خياط، كلهم رقيق وكلهم عظماء الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وما قلل رِقهم من قيمتهم شيئاً.

وفي التابعين من الرقيق العلماء العدد الكبير، فمنهم المحدث العظيم نافع مولى ابن عمر وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد وعطاء ومكحول وابن سيرين والحسن البصري وسعيد بن جبير، أمتنا وسادتنا رضي الله عنهم أجمعين!

لكن هل الرق قضية تاريخية انتهى زمنها كما يزعم الملحد والعلماني؟

الذي يقول ذلك هو أجهل الناس بالتاريخ فاخْتَفَاء الرق رسمياً في القرن الماضي -عام 1905 - كان فقط لظهور المكائن - الآلات التي حلت محل البشر -.

وإلا فالرق كان وسيظل موجودًا ما وُجدت الحاجة إليه، ولا فرق كما فصلنا بين العمل الوظيفي وبين الرق إلا في المحتوى الزمني لكل منهما.

وسيعود الرق حال اختفاء المكائن كما تنبأ فرانسيس فوكوياما!

لكن طبعًا الملحد والعلماني عمومًا لا يعرفون لا تاريخ ولا فوكوياما فضلًا عن تبصر أحوال البشر ودورات الزمان!

لكن هل كان فلاسفة الإسلام ملحدين؟

صراحةً هذا السؤال يكرره الملاحدة كثيرًا، وهو يمثل خرافة من أسخف ما يكون؛

وقد رددت على هذا السؤال في كتابي كهنة الإلحاد الجديد وأنقل منه الآن شاهدًا:

لا يوجد في تاريخ أمة الإسلام ملحد واحد،

ومشكلة الملحد العربي أنه لا يعرف الفرق بين الإلحاد الاصطلاحي والإلحاد في اللغة..

فيظن أن كل شخص أُطلق عليه لفظة ملحد أنه مُنكر للصانع...!!

فالإلحاد في اللغة يشمل كل من يميل عن شرع الله..

أما الإلحاد الاصطلاحي الذي يعني إنكار الصانع فهذا لا يُعرف في تاريخ أمة الإسلام..

ولا يوجد في تاريخ أمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا ملحد واحد...!!

لا يوجد في تاريخ أمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا ملحد واحد...!!

يقول ابن رشد: «إن العرب كلها تعترف بوجود الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» (1).

ويقول الشهرستاني: «وشبهات العرب مقصورة على شبهتين.. إنكار البعث.. وبعثة

الرسول» (2).

(1) منهاج الأدلة ص 128.. من كتاب (العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية.. د. فرج الله عبد الباري أستاذ العقيدة والأديان.. دار الآفاق العربية.. ص 43).

(2) الملل والنحل 105.. (نفس المصدر السابق ص 43).

ويقول الشهرستاني أيضاً: «أما تعطيل الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد.. ولا أعرف عليها صاحب مقالة»⁽¹⁾.

ولذا «لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك»⁽²⁾.

بل وقد ذهب الآلوسي وابن كثير في تفسيرهما إلى أن الدهرية كانوا يؤمنون بالله لكنهم ينكرون البعث وهذا في تفسيرهم قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجنّة: 24].

وسنذكر فيما يلي الشخصيات التي وُصفت جهلاً وزوراً وكذباً بالإلحاد:

وليس معنى ذلك أن هذه شخصيات مُنزهة عن الخطأ بل بعضها له أخطاء شنيعة في العقيدة لكن هذا أمر لا علاقة له بالإلحاد - الذي هو إنكار الصانع - من قريب أو بعيد.

الفارابي:

وُلد سنة 260 هجرية وُلِّقَ بـ «المعلم الثاني» نسبةً للمعلم الأول أرسطو.. وهو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية... وصاحب كتاب «الآثار العلوية» والمنافع عن عقيدة التوحيد.. والذي قضى عمره زاهداً متقشفاً ليتفرغ لتأصيل فلسفة التوحيد، وواجب الوجود وحين مات صلّى عليه سيف الدولة ابن حمدان.. يقول الفارابي: «معرفة الحقائق القصوى كلها مصدرها الله والفيلسوف يتلقى الحقائق بواسطة العقل الفعال فتكون طبيعتها عقلية وليس حسية، أما الرسول فتأتيه المعارف مُنزلةً من عند الله بتوسط الملك جبريل»⁽³⁾.

ويضع الفارابي شرطاً جوهرياً في مدينته الفاضلة وهو الإيمان بالله الواحد الأحد لكل أبناء المدينة.. فكيف يُقال عن هذا أنه ملحد؟!.

ابن سينا:

وُلد سنة 370 هجرية، وكان والده شيعياً إسماعيلياً.. وُلِّقَ بـ «الشيخ الرئيس» وعاش

(1) نهاية الإقدام ص 123.. (نفس المصدر السابق ص 43).

(2) المصدر السابق.

(3) الفارابي المعلم الثاني.

متفائلاً في جميع مراحل حياته وكان يعتقد أن العالم الذي نعيش فيه أحسن العوالم الممكنة، وكان له تأثير شديد بالإسماعيلية في كتاباته ولذا يعتبره شيخ الإسلام -ابن تيمية- من الطائفة الإسماعيلية لا أكثر.

وكان ابن سينا يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، فقد كان متأثراً كثيراً بالفلسفة الباطنية عند الإسماعيلية لكن هذا شيء والإلحاد الذي هو كفر الصانع شيء آخر تماماً. بل إنه لما اعتلّ وتكاثرت عليه الأمراض في نهاية حياته اغتسل وتاب وتصدّق بما لديه من مال للفقراء، وأعتق غلماناً طلباً للمغفرة، وبدأ يخرم القرآن كل ثلاثة أيام⁽¹⁾.

ابن طفيل:

وُلد سنة 493 هجرية في قرطبة، وهو من قبيلة مُضر العربية، وهو الفيزيائي الطبيب العالم الفيلسوف، قاضي الأندلس.. صاحب رواية «حي بن يقظان» الشهيرة، التي تروي قصة طفل نشأ في جزيرة نائية بحضرة الحيوانات فاهتدى بفطرته إلى الله وظل يتعبد له... وقصة «حي بن يقظان» قصة فلسفية في غاية الرُقيِّ الفكريِّ تُصنّف في باب الإلهيات وإثبات الروح بالفطرة⁽²⁾.

هل هذا يُقال عنه أنه ملحد؟

ابن رشد:

وُلد سنة 520 هجرية.. فيلسوف وفقيه وقاضي وفيزيائي وطبيب.. إمام أهل الأندلس المالكي، شيخ فلاسفة الإسلام.. قاضي أشبيلية.. صاحب كتاب «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» وهو الكتاب الذي يشرح الجمع بين العقل والنقل.. يقول ابن رشد: «إن الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرّضية لها، وهما المصطحبتان بالطّبع، المتحابّتان بالجواهر والغريزة»... ويعتبر ابن رشد أن الفلسفة هي «النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات

(1) وفيات الأعيان.. لابن خلكان المجلد الثاني صفحة 157.

(2) <http://shamela.ws/index.php/book/9734>

إنما تدل على الصانع بمعرفة صنعها وأنه كلما كانت المعرفة بصنعها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم»⁽¹⁾.

ثم يأتي ملحد معاصر ويُصنف ابن رشد في قائمة الملحدين عنده.. والله المستعان!!

ابن الراوندي:

من أكثر الشخصيات عُموضا في تاريخ أمة الإسلام.. لا نعرف هل مات في الأربعين أم الثمانين، انتقل بين الديانات..

كان يهودياً وأسلم ليستعز بالدولة الإسلامية العباسية، ثم أصبح معتزلياً لأنهم الأقرب للخليفة، ثم هاجمهم، ثم التحق بالشيعة الباطنية، وألف كتاباً في تأييد الشيعة مقابل 33 دينار، ثم أصبح سنياً وألف كتاباً في التوحيد انتصاراً للسنة، ثم صار يهودياً مرة أخرى وألف كتاب البصيرة لنصرة اليهودية مقابل 400 درهم، ثم حاول الرد على اليهود فأسكتته اليهود مقابل 100 درهم أخرى.. ومثل هذا عبء على اليهود واليهودية لا أكثر!!⁽²⁾.

عبد الله بن المقفع:

وُلد سنة 142 هجرية.. فارسي زرادشتي اعتنق الإسلام.. واتصل بعم أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وكانت علاقاته السياسية سبباً مباشراً في قتله وتلويث سمعته من قبل حُساده بعد موته.. ولذا يقول وائل حافظ في تصديره لكتاب «الأدب الصغير»: «ابن المقفع كُتبه بين أيدينا تكاد تنطق قائلة: «وايم الله! إن صاحبي لبريء مما نُسب إليه»!. وليت شعري كيف ساغ لفلان وفلان وفلان ممن ترجموا للرجل أن يجزموا بذلك، وكلهم قد صَفِرَت يَدُهُ من البرهان؟ إن هي إلا تهمة تناقلوها بدون بيان. وقدّمَا اتهموا أبا العلاء المعري بذلك حتى قيض الله له من جهابذة المتأخرين مَنْ أثبت بالدليل الساطع والبرهان القاطع براءته».

(1) ابن رشد.. فصل المقال ص22.

(2) يوسف زيدان أستاذ الفلسفة ومدير مركز المخطوطات بمكتبة الاسكندرية (المصدر كتاب «وهم الإلحاد» د. عمرو شريف).

ولذا يقول د. عبد الرحمن بدوي: « ابن المقفع نُسبت إليه المعتزلة الكثير من الأقوال وهذا يرجع إلى الحسد»⁽¹⁾.

ابن زكريا الرازي:

وُلد سنة 250 هجرية.. عالم وطبيب فارسي ومن أشهر الأطباء في التاريخ.. وقد ابتكر خيوط الجراحة وصنع المراهم..

لم ينكر وجود الله وكان يعتبر العقل هبة الله ليتفكر به الإنسان.. وهو صاحب كتاب «إن للعبد خالقاً».. فكيف يُصنف في زمرة الملحدين؟

أما ما نُسب إليه في النبوات فيقول د. عبد الرحمن بدوي: «ابن زكريا الرازي كل ما لدينا عنه يرجع إلى ما يُورده الخصوم فضلاً عن ندرة هذه الآثار أصلاً»⁽²⁾

ولذا يُثني عليه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء ولم ينقل فيه مذمة واحدة يقول الذهبي: «أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي الطبيب، صاحب التصانيف، من أذكى أهل زمانه، وكان كثير الأسفار، وافر الحرمة، صاحب مروءة وإيثار ورأفة بالمرضى، وكان واسع المعرفة، مكباً على الاشتغال، مليح التأليف.. وله كتاب: الحاوي ثلاثون مجلداً في الطب، وكتاب: إن للعبد خالقاً»⁽³⁾!!!

جابر ابن حيان:

وُلد سنة 101 هجرية.. عالم مسلم عربي.. كيميائي ويُعد أول من استخدم الكيمياء عملياً في التاريخ.. وتُسمى باسمه فيقال: «علم جابر» ويُقصد به الكيمياء، وله في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق.

ويوصف طبّقاً لفرانسييس بيبكون أنه «أول من علّم علم الكيمياء»..

وهو أول من اكتشف الأحماض والقلويات وأطلق عليها هذا الاسم الذي ما زالت تعرف به في الغرب والشرق alkali.

(1) من تاريخ الإلحاد في الإسلام.. د. عبد الرحمن بدوي.

(2) من تاريخ الإلحاد في الإسلام.. د. عبد الرحمن بدوي.. ص 165.

(3) سير أعلام النبلاء: الطبقة السابعة عشر: محمد بن زكريا.

واستخدم المنهج التجريبي في أبحاثه.. وكان من أصحاب جعفر الصادق.. وكان صوفيًا
دراسًا للقرآن الكريم!!..

ولا أدري ما علاقة الرجل بالإلحاد!!..

الجاحظ:

وُلد سنة 159 هجرية.. من كبار أئمة الأدب العربي في العصر العباسي.. وكان فقيرًا فصار
يبيع السمك والخبز في النهار، ويكترى دكاكين الوراقين في الليل، فكان يقرأ منها ما يستطيع
قراءته...!!

تلمذ على يد إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي.. وله مقالات في أصول الدين.. وأشهر
مؤلفاته «الحيوان» و«البيان والتبيين» وكان مُحبًا للعلم والعلماء والأئمة وملازمًا لهم طيلة
عمره...

ومن مؤلفاته في العقيدة «الحجة في ثبوت النبوة»، و«الرد على اليهود»، و«الرد على الجهمية»⁽¹⁾
وما أدري كيف يوصف الرجل بالإلحاد...!!؟

أبو العلاء المعري:

وُلد سنة 363 هجرية.. شاعر وأديب عربي من العصر العباسي.. قال ابن فضل العمري:
«أخذ عنه خلق لا يعلمهم إلا الله، كلهم قضاة وخطباء وأهل تبحر واستفادوا منه، ولم يذكره
أحدٌ منهم بطعن، ولم يُنسب حديثه إلى ضعف أو وهن».

آمن المعري بالله إيمانًا فطريًا وعقليًا يجعله لا يرتاب في وجود الخالق:

أثبت لي خالقًا حكيمًا ولست من معشر نُفّاة

بل إن صلته بربه قوية وأعز عنده من الدر والياقوت:

وشاهدُ خالقي أن الصلاة له أجل عندي من دري وياقوتي

(1) <http://forum.alqum-a.com/t28149.html>.

انقطع عن الدنيا وفارق لذائذها، وأطلق على نفسه رهين المحسبين، وكان يصوم النهار ويسرد الصيام سرّاً لا يفطر إلا العيدين، ويقيم الليل ولا يأكل اللحوم والبيض والألبان ولا يتزوج، وكان يكتفي بما يخرج من الأرض من بقلٍ وفاكهة⁽¹⁾.

أثم بالزندقة بسبب رسالته في الغفران لكنها رسالة مزح كان يمازح فيها صديقه ابن القارح، وتظهر فيها مقدرة المعري اللغوية كما تبدو فيها مقدرته على السخرية والنقد...!! ولكنه وجد من يدافع عنه نافعاً هذه التهمة. ومن هؤلاء أبو فهر محمود شاكر والمحدث أحمد شاكر والقفطي وابن النديم، وسَمَّى الأخير كتابه: «كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري» وقال في مقدمته متحدثاً عن حُصَّاده وشائئيه: «ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنه عيوباً وحسناته ذنوباً وعقله حمقاً وزهده فسقاً، ورشقوه بأليم السهام».

ومن أحسن الشهادات في حقه شهادة الإمام الذهبي حين قال في سير أعلام النبلاء: «وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنسب وأيام العرب. وله في التوحيد وإثبات النبوة وما يحض على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة، شعر كثير والمشكل منه فله - على زعمه - تفسير».

الكندي:

وُلد سنة 185 هجرية.. عالم مسلم عربي.. برع في الفيزياء والطب والترجمة وهو رائد تحليل الشفرات.. ويلقب بـ «فيلسوف العرب»؛ نظراً لبراعته في التوفيق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية.. وفلسفته كانت في إثبات توحيد الله وفي الروح ويرى أن النبوة تفضل الفلسفة في أربعة أوجه: «في شموليتها وأنها من الله مباشرة وسهولة تلقيها من الله وسرعة تلقيها للناس العاديين بعكس الفلسفة الأكثر تعقيداً»...

فكيف يقال عن هذا أنه مُلحد؟

أبو حيان التوحيدي:

وُلد سنة 310 هجرية.. فيلسوف متصوف.. قال عنه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى «شيخ الصوفية وصاحب كتاب البصائر وغيره من المصنفات في علم التصوف... وكان فقيراً صابراً متديناً إلى أن قال: وكان صحيح العقيدة. قال الذهبي: كذا قال، بل كان عدواً لله خبيثاً، وهذه مبالغة عظيمة من الذهبي». انتهى.

قال ياقوت الحموي في «معجم الأدباء»: «أبو حيان التوحيدي... صوفي السميت والهيئة.. فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنةً، وفصاحةً ومكنةً، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدوداً محارفاً يشتكى صرف زمانه، ويبيكي في تصانيفه على حرمانه..»⁽¹⁾.

إذن لم يكن في تاريخ الإسلام ملحد واحد، فالإلحاد الذي هو إنكار الصانع يختلف عن الإلحاد الاصطلاحي المعاصر...

لا يوجد في تاريخ الإسلام ملحد واحد عبر التاريخ وعبر الجغرافيا.. ولم يُنسب الإلحاد الذي هو كُفر الصانع إلى واحد من أمة الإسلام!!

ولم يقل بالإلحاد الذي هو كفر الصانع واحد من جملة العقلاء ولا الفلاسفة ولا الأطباء ولا أهل الفلك ولا الحساب ولا الفيزياء ولا الكيمياء في تاريخ أمة الإسلام.. ولم يُحفظ سطر واحد فيه إنكار الصانع عن أمة الإسلام قاطبة...

وحتى ابن سينا الذي أكثر عليه الملاحدة، فغاية ما هو منسوب إليه عند الغزالي وابن تيمية وابن القيم، إنكار علم الله بالجزئيات بعلم جزئي بل بعلم كلي - ظناً منه أن هذا أقرب للتنزيه -، وهذا لا علاقة له من قريب أو بعيد بالإلحاد الذي هو إنكار الصانع، وحاشا لله أن تُخبل عقول هؤلاء الفلاسفة إلى هذا الحد من الجنون!!

وأنكر ابن سينا أيضاً المعاد الجسماني يوم القيامة: «فليكن هذا كافياً في مناقضة الجاعلين المعاد للبدن وحده، أو للنفس والبدن معاً... فالمعاد إذن للنفس وحدها»⁽²⁾.

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء الخامس عشر، حرف العين..

(2) الأضحوية، ص114، 126.

وهذه شنيعة كبرى في العقيدة لكن ما علاقتها بكفر الصانع، بل ربما نستدل منها على إثبات الصانع والإيمان بالبعث عند ابن سينا فهذه من بدهيات عقيدته والتي لـ ينفها عنه مَنْ كَفَرُوهُ...!!

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن ابن سينا ما اشتغل بالفلسفة إلا لتنزيه الله عن افتراءات الطائفة الإسماعيلية التي هي عائلته⁽¹⁾.

لكنه تأثر بالإسماعيلية أهل دعوة الحاكم في الإمامة⁽²⁾.

وبالمناسبة عندما تقرأ كلمة «الإلحاد الطائفة الإسماعيلية» عندما تقرأ هذه الكلمة عند السلف عليك أن تعلم أنها لا علاقة لها من قريب أو بعيد أو فوق أو تحت بكفر الصانع أيضًا... بل الطائفة الإسماعيلية اثني عشرية مؤمنون بالقرآن الكريم حتمًا وقطعًا، موحدون الله حتمًا وقطعًا، مثبتون وجود الله بداهة.. وإنما يقول بعضهم بشناعات كُفرية في العقيدة مثل إنكار المعاد الجسماني وإنكار علم الله بالجزئيات بعلم جزئي وغير ذلك.. وينسبون الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق - ولذا سُموا بالإسماعيلية - وبذلك انشقوا عن باقي الاثني عشرية الذين جعلوا الإمامة في موسى الكاظم... ولا أدري أيضًا ما علاقة هذا بالإلحاد الاصطلاحي المعاصر الذي هو كفر الصانع...!!

فلا بد لابد لابد من التفريق بين الإلحاد لغةً والإلحاد اصطلاحًا... ولذا يقول ابن القيم رحمه الله: «وَمَنْ أَثَبَّتْ مِنْهُمْ وجودَ الربِّ جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً غير مخلوقٍ، كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة»⁽³⁾.

إذن الإلحاد عند السلف لا علاقة له بالإلحاد الاصطلاحي المعاصر الذي يعني إنكار الصانع...!

وفي النجوم الزاهرة للتغري بردي قال وهو يتحدث عن ابن سينا:

« كان إمام عصره في الحكمة وعلوم الأوائل، بل كان إماماً في سائر العلوم. وتصانيفه

(1) شيخ الإسلام ابن تيمية... الرد على الرد على المنطقيين... ص 141.

(2) شيخ الإسلام ابن تيمية... نقض المنطق... ص 87.

(3) اجتماع الجيوش الإسلامية... ص 86.

كثيرة في فنون العلوم، حتى قيل عنه: إنه ليس في الإسلام من هو في رتبته. قال أبو عبد الله الذهبي: كان ابن سينا آية في الذكاء، وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول، وخالفوا الرسول - قلت: لم يكن ابن سينا بهذه المثابة بل كان حنفي المذهب، تفقه على الإمام أبي بكر بن أبي عبد الله الزاهد الحنفي - وتاب في مرض موته، وتصديق بما كان معه، وأعتق مماليكه، ورد المظالم على من عرفه، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة إلى أن توفي يوم الجمعة في شهر رمضان. قلت: ومن يمشي خلف العقول، ويخالف الرسول، لا يقلد الأحكام الشرعية، ولا يتقرب بتلاوة القرآن العظيم».

والله وحده الأعلم بحال ومآل ابن سينا... لكن غاية ما هنالك أن هذا شيء وإنكار الصانع شيء آخر تمامًا..

فِيرجى عدم الخلط.. لأن هذا غاية الملحد المعاصر ومنتهى مأربه وبالغ عزمه وأصل قصده والله المستعان!!..

لماذا لا يوجد نموذج إسلامي ناجح سياسياً

هذا السؤال المدهش يمكن أن يصدر عن إنسان لم يقرأ يوماً في كتب التاريخ كلمة واحدة!

فأطول حضارة في تاريخ البشرية هي الحضارة الإسلامية، وتم فيها مباشرة تطبيق مشروع الإسلام السياسي، وظلت 1200 عام تقود العام وتربع على عرش العالم بأكبر جيش وأكبر قائمة من العلماء والمفكرين، وأكبر وحدة سياسية واقتصادية ودينية عرفها التاريخ.

ربما يظن الملحد أن تاريخ العالم يبدأ بوصول الإنجلوساكسون في أمريكا، والبلاشفة في روسيا إلى قيادة العالم منذ مائة عام؟

إن موسكو كانت إحدى الولايات الخاضعة لإمارة القرم الإسلامية حتى عام 1850.

بل إن المجر وبولندا ورومانيا ويوغوسلافيا ونصف روسيا ومقدونيا واليونان وثلث فرنسا وبلغاريا والبوسنة والجبل الأسود وألبانيا ومقدونيا وصقلية وكريت ورودرس، كلها كانت ولايات عثمانية حتى القرن الثامن عشر.

وكانت الصيدلة والطب والفلك والميكانيكا والرياضيات والطبيعة والجغرافيا علوم عربية أصيلة ظهرت في حقبة الإسلام السياسي، وكلها علوم ما تزال تحمل الأسماء العربية الفصحى إلى اليوم، وكان الصاحب بن عباد لديه من الكتب ما يقدر بما كان في مكتبات أوربا مجتمعة، وكنت تجد في المساجد من قرطبة إلى سمرقند علماء لا يحصيهم عدد.

وكان جيش الخلافة العثمانية أقوى جيوش العالم قاطبة.

وظلت القيادة العسكرية والعلمية والفكرية والفلسفية حصرية لدولة الإسلام طيلة 1200 سنة.

هذا هو الإسلام السياسي وهذه هي دولته.

ثم يأتي أحد القمامة الملحدون ويقول: لماذا لا يوجد نموذج إسلامي ناجح سياسياً!!

الفصل الرابع

المتشابه في القرآن والكون

الفصل الرابع

المتشابه في القرآن والكون

معضلة الشر

يقول الله عَزَّوَجَلَّ في مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ؕ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿﴾ [آل عمران: 7].

شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَشِيئَتِهِ الْكُونِيَّةِ الْقَدْرِيَّةِ أَنْ يَوْجِدَ الْمُتَشَابِهَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَسْطُورِ - الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - وَأَنْ يَوْجِدَ الْمُتَشَابِهَ أَيْضًا فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْظُورِ - الْكُونِ وَالْخَلْقِ -.
فَمَا مَعْنَى الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَسْطُورِ، وَمَا مَعْنَى وِلَادَةِ أَطْفَالٍ مُشَوِّهَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْظُورِ؟

وما معنى البلاء والزلازل، وما معنى المجاعات والحروب؟

فلو ظننت أن الله من المفترض أن يأتي بالمحكم بدون أي متشابه فما عرفت مقصد الرسالة ولا غاية الاختبار ولا معنى استخدام العقل الذي هو مناط تكليفك ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10].

بل إن هذا الظن ينم عن عدم استيعابنا للقضية التكليفية الكبرى.

فقوام الدين كله على وجود نسبة متشابه ليميز الله الخبيث من الطيب!

حتى يتبع الفاجر الشبهة ويترك الحق الظاهر.

فالمتشابه موجود وشاء الله وجوده.... امتحانًا واختبارًا.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: 35].

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴾ [الملك: 2].

وبالتالي فالخير والشر موجودان لأننا في دار امتحان، وابتلاء، وليست الدنيا دار قرار، ولا خلود.

والجميع يتفقون على وجود الشر في هذا العالم، وليس ثمة مبرر لوجوده إلا في الإطار الديني.

ولو أننا افترضنا أن الحياة جاءت صدفة، والخلق جاء بمحض الطبيعة فساعتها وطبقًا لقوانين الاحتمالات فإن نشأة أبسط كائن على وجه الأرض تحتاج إلى مليارات الأكوان بحجم كوننا، لتمتليء بالكائنات المشوهة والوسيطه من أجل إنتاج كائن واحد سليم، فطبقًا لنظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept لا يُمكن لكائن حي مهما كانت بساطته أن ينزل إلى أقل من 200 جينة وفي عدد 6 يناير 2006 نشرت مجلة الطبيعة الشهيرة Nature أنه «لا يمكن أن نتجاوز حاجز 397 جين»، فإنتاج الطاقة وحدة يتطلب 6 جينات كحد أدنى، وإذا نقص جين واحد فالخلية لن تُزود بالطاقة، وهكذا كل وظيفة أساسية لها حد أدنى من الجينات، وقد وجد العلماء أن الميكوبلازما Mycoplasma - وهي أدق كائن حي موجود على وجه الأرض على الإطلاق - لديه 468 جين، والجينة الواحدة تحتوي على بروتينات مُركبة قد تصل من 1000 إلى 10000 حمض أميني.

وياحصائية بسيطة فإنه طبقًا لنظرية الحد الأدنى من الجينات فنحن بحاجة إلى مصفوفة من القواعد النيتروجينية تقترب من 400.000 قاعدة من أجل إنتاج كائن واحد بسيط جدًّا سليم، وهذا احتمالية نشأته 10 أس 200.000، أي أن الكائنات المشوهة ستملاً مليارات المليارات المليارات من الأكوان للخروج بكائن واحد سليم، حيث إن عدد الذرات في كوننا كله هي 10 أس 80 ذرة.

فها بالنا والشذوذ والتشوه ليسا إلا نوادر، ولا يقعان في الحُسبان، وشاء الله وجوده لأن الدنيا دار اختبار وابتلاء، والذين في قلوبهم زيغ سيتبعون هذا التشوه ويتشككون من خلاله، ويجعلونه أصلًا في كفرهم وإلحادهم.

يقول ابن الوزير اليماني: «فسبب الشك والكفر: هو النظر في المتشابهات، التي لم يحط البشر بها علمًا، ولا عرفوا تأويلها»⁽¹⁾.

إذن الإطار الديني هو الوحيد الذي يُقدم التفسير لمعضلة الشر.

لكن السؤال.. لماذا الإنسان يستوعب وجود الشر، ووجود التشوه، ووجود المتشابه؟؟

الشر أصلا غير مُستوعب وغير مُدرك إذ لو كان الإنسان ابن الطبيعة أو ابن المادة وتجري عليه قوانين الطبيعة الحتمية، فلن يدرك وجود الشر ولن يستوعب ماهية الشر ولا معنى كلمة شر، فهل تُدرك أكثر الحيوانات تطورا - طبقا للداروينية - معضلة الشر؟... فاستيعاب الشر يعني أننا لسنا أبناء هذا العالم، وأنا نبحت عن عالم كلي الخير وفي هذا الحجة الأولى والأقوى للدين..

إذن الشر، والمتشابه هما أكبر دليل على أننا لسنا أبناء هذا العالم.

وأن المقدمة الدينية هي الوحيدة التي تملك التفسير والمعنى والقيمة!

لقد قضت الحكمة الإلهية أن يُختبر الإنسان فيها هو دون ذكائه الفطري بكثير ومع ذلك فشل في الاختبار خلق كثير ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10].

فصل المقال في النسخ والمنسوخ

عندما أمر الله عَزَّوَجَلَّ خليله إبراهيم بذبح ابنه، وقبل أن تقطع السكين رقبة الغلام، نسخ الله الأمر ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: 107]، والحكمة من ذلك معلومة بدهة وهي تخلية قلب إبراهيم لله عَزَّوَجَلَّ، وبيان استحقاقه للقب الخليل، وامتناله للأمر الإلهي!

وعندما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ الشرائع ونسخها بالإسلام، وكان الإسلام أعظم الشرائع وأكملها وأتمها بناءً ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: 106]، كما قال الزركشي في تفسير الآية، كانت حكمة النسخ معلومة في ذلك كله.

فحكمة النسخ دقيقة فاصلة، فالأحكام الشرعية تأتي على قدر عقول الناس واستيعابهم، والإسلام هو اللبنة التي أكملت الشرائع كما قال الرسول ﷺ: «وَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ».

وداخل الإسلام جاء النسخ بدهة تبعاً لحالة المكلفين وقدرتهم، فتمَّ تحريم الخمر على مراحل ثلاث، ونُسخت الصلاة من خمسين إلى خمس، ونُسخت القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام. فلا أحد يستطيع أن ينكر النسخ أو أن يفترض عدم وجوده!

لكن نأتي للنقطة المحورية في بحثنا وهي هل جاء في كتاب الله آيات منسوخة؟
بمعنى أنها بقيت تلاوةً ونُسخت حُكماً!

صراحةً كل الآيات التي ذكر فيها أنها منسوخة إنما تُثبت حُكماً شرعياً على المكلفين في حالة معينة، والآيات التي قيل أنها ناسخة تُثبت حُكماً شرعياً آخر، عند تغيير الحالة الأولى إلى حالةٍ أخرى، وإذا رجعت الحالة الأولى رجع معها الحكم المنزل بإزائها.

وسنذكر بعض الأمثلة لمزيد إيضاح:

(1) آية الوصية للوالدين ﴿فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّهُ إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 181]، قيل: نُسخت بآيات الموارث وحديث لا وصية لوارث، لكن تبقى الآية معمولاً بها، إذ يجوز الوصية في حدود الثلث بل وأكثر من ذلك إذا وافق الورثة، ويجوز أن يكون الحث للوصية للوالدين إذا لم يرثا وكذلك الأقربين، في حال اختلاف الدين أو قتل الموروث مثلاً.

(2) أيضاً في أحكام القتال ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: 65] قيل نُسخت بـ ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَاعِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: 66] سورة الأنفال، وهذا الحكم تخفيف لا نسخ كما ذكره القرطبي في تفسيره.

(3) آية الصدقة ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: 12]، قيل نُسخت بـ ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ يَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 13]، لكن الأمر في الآية الأولى للندب، لا للوجوب بقريته قوله فإن لم تجدوا، وفي الآية الثانية تحيير!

والأمثلة كثيرة بنفس المعنى، فالوارد في القرآن لا ينسخ بعضه بعضًا نسخًا كليًا!
لكن قد ينسخ القرآن ما يثبت في السنة باعتباره تدرجًا في التشريع، كما أن السنة تنسخ
السنة لنفس المعنى!

إذن لا يوجد النسخ الكامل في القرآن بمعنى رفع الحكم كليًا مع بقاء التلاوة!، فالقرآن
صالح لكل زمانٍ ومكان، ويخاطب جميع البشر في كل الأحوال إلى يوم القيامة، وهو معجزة
الرسالة الخاتمة، وعليه فلا بد أن تدل آياته كلها على أحكام شرعية، تتناسب مع الأحوال
المختلفة، حتى يُحقق الشمول والمرونة التي تستلزمها خاتمة الرسالة المحمدية.

لكن هل يوجد نسخ للتلاوة مع بقاء الحكم، أي نسخ الآية القرآنية ورفعها من المصحف،
مع بقاء حكمها؟

استدل الجمهور على جواز نسخ التلاوة دون الحكم بالعقل والنقل، أما العقل: فإن نسخ
التلاوة دون الحكم لا يترتب على فرض وقوعه مُحال، وكل ما كان كذلك كان جائزًا، فإذا
أضفنا إلى ذلك رعاية المصالح في التشريع فهو حتمًا ذو فائدة وإن لم تظهر جليةً في وقتها!

أما الدليل النقلي: ما روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه قال: لولا أن يقول الناس زاد
عمر في القرآن لكتبت آية الرجم بيدي «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله،
والله عزيز حكيم». فإننا قد قرأناها.

لكن هناك نقطة هامة جدًا؛ إذ كثرت الأحاديث في هذا الباب فظن الظَّان أن هناك
الكثير من الآيات التي رُفعت، وقد تعرَّض العلامة الغماري لجميع هذه الأحاديث بالنقد
والرد مستخدمًا الصناعة الحديثية، وقد تقرر في علم الأصول أن القرآن لا يثبت إلا
بالتواتر، وما لم يتواتر لا يكون قرآنًا، والكلمات التي قيل بقرآنتها ليست بمتواترة، بل
هي شاذة والشاذ ليس بقرآن ولا تجوز تلاوته، وأغلبها لا يصح منه شيء بموجب الصناعة
الحديثية.

والله أعلم!

وألفاظ القرآن وآياته بالنسبة إلى المكلفين سواء، لكن الأحكام تتفاوت بالحكم السهل

خيّر للمكلف من الحكم الصعب وما كان خفيفاً فخير يته بسهولة وإن كان شديداً فخير يته بكثرة ثوابه ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ ﴾ [البقرة: 106].

وآية السيف مثلاً لم تنسخ آيات التخفيف بل هي من باب المنسأ ﴿ أَوْ نُنْسِهَا ۗ ﴾، فكل ما ورد يجب امتثاله في وقت ما لعله توجب ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وهذا ليس بالنسخ الكامل، فالنسخ الكامل هو الإزالة بحيث لا يجوز امتثاله أبداً، وهذا لا يوجد في كتاب الله منه شيء!

والخلاصة: فالنسخ يراعي طبيعة البشر القاصرة، وقدرتهم النسبية على تحمل أحكام الشريعة، فجاءت الشرائع بقدر طاقات البشر وبقدر طبيعتهم، ثم جاءت الشريعة الأخيرة الخاتمة كاملة مكتملة مهيمنة على ما قبلها من الشرائع، أما عند الله فليس هناك في كل ذلك نسخ أصلاً لعلمه أن تلك الأحكام والشرائع ستُنسخ!

فالنسخ في أصله رحمة من الله بعباده بقدر طاقتهم وسعة احتمالهم وتقبلهم الأمر الإلهي بالتدرج وبالسنن ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 106].

لماذا نزل القرآن بلغته العرب؟

اللغة العربية من أكمل اللغات ما عرفها التاريخ إلا كاملة - كما يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في بعض كتبه - حتى تعجب من ذلك أرنست رينان، وهي أوسع اللغات، وفي قاموس المحيط ستون ألف مادة يتولد منها قرابة سبعة ملايين كلمة، بينما المعاجم الإنجليزية بها مئات الآلاف من المواد؛ لأنها كلها كلمات لقيطة من لغات مختلفة يصعب التوليد منها فتظهر مواد جديدة على غير قاعدة.

ولا أحد يعرف مراحل نمو العربية بالطريقة التي تستطيع بها أن ترصد مراحل نمو بقية لغات العالم، فالعربية أُنِي بحثت عنها في أي تاريخ وجدتها كاملة بينما الإنجليزية مثلاً التي كان يكتب بها شكسبير منذ أربعة قرون لا تتجاوز ثلث الإنجليزية المستخدمة اليوم.

وتاريخ اللغة العربية كما يقول د. منقذ السقار حفظه الله في بعض مقالاته قريبٌ من 8

آلاف سنة، بينما العبرية 4 آلاف سنة - والقديم هو الأب والأصل-، واللغة العربية لغة ثرية بها ستون ألف مادة كما قلنا، بينما العبرية 2500، واللاتينية 700 جذر لغوي!
والعبرية 19 حرف بينما العربية 28 حرف.

اللغة العربية هي لغة من المستوى الأول، بينما العبرية سلالة آرامية والآرامية مستوي ثاني، والآرامية مُشتقة من اللغة العربية، وعندنا مخطوط سيناوي عمره 4 آلاف سنة وكان باللغة العربية.

واللغة العربية أفضل اللغات وأكثر اللغات وأثرى اللغات، أنظر مثلاً لكلمة أسد لها كم لفظة في لغات العرب؟

(الأسد- الغضنفر- الليث- السبع- القصور- الضرغام- الضيغم...) بينما في اللغات المعاصرة لن تجد لكلمة الأسد أكثر من اسمين كحد أقصى، مع أن الأسد ليس من حيوانات الصحراء ولا البادية.

اللغة العربية غنية في الإشتقاق، فمثلاً طويل tall، طويل طال يطول ذو الطول مستطيل طائل وطائلة.. ما لا نهاية، بينما بالإنجليزية tall ليس لها اشتقاق، فهي لغات فقيرة جداً في المنحى البلاغي.

أيضاً في الإنجليزية جيد good ليس لها إلا goodness، بينما في العربية جيد أجاد يجيد إجادة جودة جواد جود جواد، وهكذا.

ومن المميز في اللغة العربية أنها تختص بقصر الجملة مع الضبط والإيقاع البلاغي والرصانة في آن واحد، فمثلاً كلمة «أنلزمكموها» تُترجم بالإنجليزية إلى 7 كلمات Shall we compel you to accept it

لن أذهب I shall not go

- وإذا رجعت إلى ترجمة جوجل، ستجد في الغالبية الساحقة الترجمة العربية نصف حجم المحتوى الإنجليزي تقريباً.

فأسقينا كموه، لفظة واحدة بها حرف عطف، وفعل وفاعل ومفعول أول ومفعول ثانٍ.

وتتميز اللغة العربية بذاتية الحرف ورمزيته، فقد يمثل الحرف الواحد كلمة كاملة مثل: ع، ف، ق.

والحرف له رمزية في اللغة العربية ويمكن من حرفٍ واحد أن تفهم مراد صاحبك وهذا غير موجود في لغةٍ أخرى.

فاللغة العربية هي وعاء للكلمة الإلهية ﴿قُرْءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ﴾ [الزمر: 28]، فكلمات اللغة سمحت لها استيعاب القرآن⁽¹⁾.

لكن هل في القرآن شيءٌ من أشعار العرب القدامى ونعني بذلك امرؤ القيس، وأمّية بن أبي الصلت؟

شعر امرؤ القيس المشابه للقرآن هو شعر منحول من زمن العباسيين، حين كانوا ينحلون الشعر وينسبونه لبطاحلة الشعر العربي، بل إن طه حسين تجاوز الحدود فقال: إن كل شعر الجاهلية منحول، ولكن المدقق يعرف المنحول من غير المنحول، فشعر امرؤ القيس معروف بالبداءة والألفاظ المجذلة، أما الشعر المنسوب له والمشابه لآيات سورة القمر في أربع مواضع فهو كلام لئن حضري سهل لا يشبه بحال شعر امرؤ القيس!

أما شعر أمّية بن أبي الصلت فقد أدرك الإسلام وذهب للطائف أثناء غزوة بدر، وقال كلمته المشهورة: «إني أعلم أن ما يقوله محمدٌ حقاً»، والشعر المشابه للقرآن من قياسه هو على القرآن لا العكس؛ لأنه قاله في الفترة المدنية بينما الآيات المشابهة مكّية!

ثم كيف يُفوّت الكفار فطاحلة الشعر وموسوعته المتنقلة في زمن النبي ﷺ هذه القضية، دون تهيبح الدنيا بشأنها، ودون اعتبارها المسمار الذي يُدق في نعش الإسلام، إن تذاكي الكهنة الملحدّين المعاصرين هو غباء معرفي، وكسل مطالعة، وخُبث طويّة!

هل انبثق العقل من مادة كما يزعم الملحد؟

إذا انبثق العقل من المادة، دون استمداد من خالقٍ مُطلق، كيف نثق في أحكامه؟

(1) <https://www.youtube.com/watch?v=HQZsqCuDVHo>

وكيف يجعلنا نثق في مفاهيمه البديهية؟

ولو كان العقل نتاجاً مباشراً للمادة ونتاجاً مباشراً للمخ، لتبنى جميع البشر رأياً واحداً في كل قضية، فلو أضفنا حامض إلى قاعدي فالنتيجة ملح وماء، مهما تكررت التجربة أو تغيرت الظروف المحيطة!

فالعقل المادي الأداقي الحتمي، تختفي عنده النظرة الشخصية المستقلة، ويختفي عنده التمييز الذي هو السمة الفريدة للعقل، وتختفي عنده الذات الإنسانية، ثم يختفي الإنسان!

إن العلماء والبسطاء والمؤمنون والملحدون ينفقون أعمارهم أملاً في أن يتركوا بصمةً تُخلد ذكراهم، مع أن هذه مفارقة كبيرة، فالموت إذا كان يعني العدم فلماذا يُصر الملحد على ترك البصمة؟ لماذا يفترض العقل تصور ما ورأى بعد فناء المادة وبالتالي فناؤه، يحرص على ترك بصمة فيه؟

إن العقل ضيف جديد تماماً على الكون، إنه مُعطى التكليف ومعنى الوجود وغاية الخلق ومُفردة من مفردات الروح، وتبرير ترك البصمة!

إن أذكي الحيوانات على الإطلاق الشمبانزي، لو وقف أمام شجرة تهزها الريح لتسقط له الثمرة مليون سنة لن يأتي في ذهنه أن يهز الشجرة يوماً ما ليسقط هو بنفسه الثمرة، إن المخ عند الفرد مادي لا يُعطي مفهوم متجاوز أو معنى أو قيمةً للأداء أو العمل، والتحليل لديه أحادي!

إن أمخاخنا وأمخاخ جميع الكائنات متطابقة على المستوى الكيميائي والكهربائي، وأمخاخ الكثير من الثدييات أكبر من مخ الإنسان بكثير ومخ الحوت الأزرق أكبر من مخ الإنسان خمس مرات، ومخ الفأر بالنسبة إلى جسمه يبلغ خمس أضعاف الخاص بالإنسان، والتعقيد في الوصلات العصبية مهما اشدت فلن ينقل النبضة العصبية الكهروكيميائية إلى نبضة أخلاقية أو قيمة أو معرفية، إن العقل شيء لا علاقة له بحجم المخ ولا كثافة الوصلات العصبية، إنه مُعطى إلهي ليميز به الإنسان المُكلف!

ولذا فقد أثبت د. روجر سبيري Roger Sperry الحائز على نوبل في وظائف المخ أن الوظائف العقلية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالمخ المادي وهي فقط قد تستعمله كآلة.

يقول السير جون إكلز John C. Eccles الحاصل على نوبل في الطب: «أجدني مضطراً إلى القول بطبيعة غير مادية لذاتي وعقلي، طبيعة تتفق مع ما يسمونه الروح».

وقد وضع جون إكلز مع فيلسوف العلوم الأشهر كارل بوبر Karl Popper، كتاب يشي عنوانه بأبعاد القضية وعنوان الكتاب:

(«الذات والمخ التابع لها The Self and its Brain») (1).

الرد على شبهة - أضحوكة -

مصمم ذكي من كون آخر، شبهة اليوفو UFO

تلك الشبهة التي يروجها كهنة المعاطف البيضاء، والتي تتلخص في أن أحد الكائنات الذكية يزور كوكبنا وربما كان مصدر خلقنا!

سأل الإعلامي الأمريكي بين شتاين Ben Stein الملحد الشهير ريتشارد داوكينز Richard Dawkins عما إذا كان يرى مانعاً من أن يكون أصل الخلية الحية الأولى تصميمًا ذكيًا من عمل بعض كائنات اليوفو UFO التي زارت الأرض في زمانٍ سحيق، فقرر داوكينز أنه لا يرى ما يمنع ذلك، بل إنها تعد- على حد قوله- جديرة بالاهتمام!

لهذا لم يجد شتاين إلا أن عقّب على جواب داوكينز بتلقائية وفطرية تامة قائلاً: «إذن هو لا مانع عنده من قبول فكرة التصميم الذكي عموماً، وإنما يعترض على نسبتها إلى الخالق تحديداً!» (2).

إن افتراض كائنات ذكية، أو UFO أو أكوان أخرى، هذا الافتراض يفتح تسلسلاً - من الذي خلق تلك الكائنات الذكية؟ وهكذا - ولا يجيب عن السؤال!

ثم كيف لصاحب افتراض كهذا أن يعيب على الجواب الديني، بل إن الجواب الديني أكثر منطقية وتناسقاً مع نفسه، ويمتلك دعماً نقلياً مباشراً - النص المقدس-، ويمتلك مستند عدم

(1) بعض الفقرات من كتاب رحلة عقل، د. عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية، الرد على شبهة - أضحوكة - مصمّم ذكي من كون آخر، شبهة اليوفو (ufo).

(2) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين.. لأستاذنا أبو الفداء ابن مسعود، دار الإمام مسلم.. ص 365.
فيديو اللقاء على هذا الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=9M_ZF8r5c7w

المعارض- حيث لم تترك لنا تلك الكائنات تلك الدعوى العريضة، التي تُثبت قيامها بذلك -، أيضًا الجواب الديني أكثر عقلانية لعدم وجود التسلسل اللانهائي بداخله والذي هو مستحيل عقلاً، فالتسلسل اللانهائي تضطر فرضية اليوفو للتسليم به أو العودة للقول بالخالق الأبدي المستقل عن حدود الزمان والمكان.

فالجواب الديني يقدم للعقل المنصف ما لا تُقدمه الفرضيات الإلحادية الهاربة من فخ المعايرة الدقيقة للكون Fine tuning، والمعايرة الدقيقة لحظّة الخلق، والتشفير في الكائنات الحية Coding، وهي أمور تدعو للتسليم بخالق واعٍ حكيمٍ قادر.

ففرضية مُصمم ذكي من كونٍ آخر أو UFO أو غرباء زاروا الأرض، هذا ليس جواباً في حد ذاته وإنما هو إرجاء المطلب المعرفي الذي يرومه السائل إلى درجة من درجات تسلسل لا نهائي لا يوصلنا إلى جواب البتة!

فما فعل المُلحد بهذا في الحقيقة إلا أن أضاف في الطريق إلى إثبات العلة الأولى الفاعلة-الله-، افتراضاً متهافتاً لعلّة وسيطة لا يجد العقلاء من القرائن ما يوحي- ولو من بعيد - بوجودها أصلاً!

لكنه الهروب من التكليف الديني إلى دين بلا قيود ولا إزمات، إنه دين اليوفو دين الملاحظة الجديد!

إن مشكلة الملاحظة مشكلة نفسية بالأساس، تتمثل في كراهيتهم الدخول في مقتضيات إثبات ذلك الخالق الغيبي، التي هي وجوب الخضوع لأمره ونهيه وتألمه وعبادته!

ثم إن من مسلمات مُعطياتنا عن حدث الخلق الأول سواءً للكون أو الحياة؛ أن منظومة الخلق تلك جاءت بنواميس وقوانين كونية حتمية، فكيف يُقال: إن الغرباء الذين هم داخلون في جملة تلك النواميس وخاضعين لها، قاموا بكسر تلك النواميس والقوانين وأوجدوا عندنا حياة؟⁽¹⁾

لكن يبدو أن الإلحاد الجديد مضطّرٌّ إلى التسليم بفرضيات من هذا القبيل؛ لأنها الوحيدة المتاحة في مقابل الدين!

(1) المصدر السابق، ص: 366.

لكن هذه الفرضيات لا تحل المشكلة بل ربما مع الوقت تطرح تساؤلات فلسفية أعمق، وللمرء أن يتساءل لماذا الإقدام على فرضيات غاية في الغرابة والدهشة والبُعد عن التجريب والاختبار والرصد الإمبريقي كذلك الفرضيات؟

إن هذه الفرضيات هي فقط ترحيل للمشكلة إلى حيث نكون غير موجودين وانتهى الأمر على ذلك!

ثم إن عملية إبداع مصمم بهذا الذكاء هي عملية مدهشة للغاية، وتحتاج إلى قوانين خاصة هي الأخرى، وبالتالي ربما نكتشف أن الذين افترضوا هذه الفرضيات سيجاهون يوماً ما بإلزامات ماورائية أعظم بكثير مما لو كانوا تخلَّوا عن تلك الفكرة.. إننا ننتقل خطوة ما ورائية أعلى وأكثر عمقاً بهذه الفرضيات!

أضف إلى ذلك أن هذه الطريقة الفلسفية للهروب من المشكلة تُناقض شفرة أوكام Occam's razor وهي شفرة فلسفية، وطبقاً لهذه الشفرة فإن أبسط التحليلات لمشكلة معقدة هي الصحيحة، وينبغي اختيار أبسط نظرية تناسب حقائق المعضلة، لكن هؤلاء الملاحدة الجدد يختارون أعقد نظرية، فخالقوا المعقول والمنظور والمأمول!

إن التسليم لله هو نهاية قصة المصير الإنساني سواءً شئنا أم أبينا، إنه الاستجابة المثيرة للقضية الإنسانية الكبرى.

إن الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا محرّماته، وإنما من شيء يشمل هذا كله ويسمو عليه - من حقيقة التسليم لله - إنه استسلام لله، والاسم إسلام!

إسقاط أسطورة إله أسينوزا

كان أينشتاين يؤمن في أغلب فترات حياته بإله أسينوزا، حيث يعتقد أن قوانين الكون تؤلف سلطةً مُهيمنة على الكون، وأن الإله هو تلك القوانين وهو تلك السلطة المطلقة العجيبة.

وهذه الفكرة الحلولية قام بالتأصيل لها باروخ اسينوزا الباحث اليهودي في القرن السابع عشر واعتبر أن الجوهر هو الطبيعة والله معاً، فهو يتصور أن الطبيعة والله هما وجهان لنفس الصفحة.. وهذه الفلسفة استمدها اسينوزا من موسى بن ميمون العلامة اليهودي القرطبي،

الذي عاش في بلاد الإسلام طيلة عمره وانتقل من قرطبة إلى القاهرة، وتأثر بالمدارس الكلامية والفلسفة الصوفية في الحلول والاتحاد.

لم يُلحَد أينشتاين يوماً ما، وكان يعتبر فكرة الإلحاد فكرة سخيفة وتعود في الأصل إلى حماس الشباب في الهروب من الأدلجة الدينية، وكان يُصنّف نفسه بالفيزيائي المؤمن كما جاء في رسالة العزاء التي أرسلها إلى عائلة رفيقه الإيطالي ميشيل بيسو.

لكنه في المقابل كان يرفض فكرة الإله القومي اليهودي - إله الشعب المختار الذي لا يقبل أحداً من العالم إلا الذي جاء من نسل أبوين يهوديين -، ولذا تمردّ على ديانته اليهودية وقال كلمته الشهيرة «أؤمن بإله أسينوزا، الذي يكشف نفسه في التناغم القانوني في كل ما هو موجود».

إذن التناغم القانوني هو شرط هذا الإله وصفته الأصيلة التي لا يُعرف إلا بها!

ولذا اهتز أينشتاين بشدة عندما وصلته نتائج ميكانيكا الكم، لأن هذه النتائج تُفرض صخباً لا قانوناً متناغماً، ولذا وصف ميكانيكا الكم في خطاب له إلى صديقه ميشيل بيسو في ديسمبر عام 1925 بأنها «معادلات من صميم السحر الأسود».

وقد اعتبر أينشتاين أن ميكانيكا الكم تنسف فلسفة اسينوزا القائمة على التناغم القانوني في الكون، وأرسل رسالة إلى صديقه ماكس بورن في 4 ديسمبر 1926 قال فيها «الله لا يلعب النرد - God doesn't play dice».

ولم يتوقف أينشتاين عند هذا الحد، بل إنه في عام 1935 بمساعدة اثنين من العلماء وهما [بوريس بودولسكي] و[نathan روزين] Boris Podolsky and Nathan Rosen أو إختصاراً للثلاثة EPR قرر الثلاثة أن يضعوا حدًا لقفزات ميكانيكا الكم وقام الثلاثة بنشر ورقة بحث بعنوان: «هل توصيف ميكانيكا الكم للحقيقة يعتبر كاملاً؟».

Albert Einstein, Boris Podolsky, and Nathan Rosen, «Can Quantum-Mechanical Description of Physical Reality Be Considered Complete?» Physical Review 47 (1935), p. 777⁽¹⁾.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/EPR_paradox.

وفيها أوضح العلماء الثلاثة أن ميكانيك الكم تفترض أن الفوتونين الناتجين عن تحلل ذرة البوزيترونيم positronium، إذا انطلقا وسافرا وصارت المسافة بينهما حتى عشر سنوات ضوئية فإنه يمكن حصرهما بل وقياس زاوية الاستقطاب بدقة، وفي حالة أنه تم قياس زاوية الاستقطاب لكلا الفوتونين وتبين أن القياس متطابق، إذن لا بد أنهما توأصلا لحظياً حتى يعرفا أي زاوية من زوايا الاستقطاب سيتبعان، وهذا مستحيل لأنهما لو توأصلا لحظياً بمجرد وضعهما تحت الرصد فهما إذن توأصلا بسرعة أكبر من سرعة الضوء، وبالتالي انتقلت المعلومة بينهما بسرعة أكبر من سرعة الضوء، وهذا مستحيل علمياً طبقاً لنظرية النسبية الخاصة.

لذا فقد قرر أينشتاين أن نيلز بور باستنتاجاته تلك سيفتح الباب واسعاً لكل المتناقضات وأن ميكانيكا الكم بها خطأ جوهري.. فكيف يتواصل فوتونان لحظياً؟ كيف تنتقل المعلومة بينهما بسرعة أكبر من سرعة الضوء؟

كل هذه الحرب الشعواء من قبل أينشتاين مُستخدماً أسلحة العلم للدفاع عن إله أسينوزا.. وما أن جاء عام 1982 إلا وتبين معملياً وتجريبياً أن أينشتاين كان على خطأ، فقد أثبت الفيزيائي الفرنسي آلين أسبكت Alain Aspect وفريقه صحة ما ذهب إليه نيلز بور، فقد أثبتنا عملياً أن الفوتونات فعلاً تستطيع لحظياً أن تتواصل فيما بينها بغض النظر عن المسافات الفاصلة بينها هل هي عشرة أمتار أو عشر سنوات ضوئية أي أن المعلومة تسافر أسرع من الضوء... بل سرعتها آنية لحظية⁽¹⁾.

ومنذ سنوات قليلة تم تأكيد الأمر بأدلة تجريبية أخرى في مفاعل جيو 600 وفي أماكن أخرى من العالم.. فيما يعرف بمعضلة التأثير الشبهي عن بُعد.

لكن لماذا لم يستوعب أينشتاين ميكانيك الكم - مع أن نوبل التي حصل عليها كانت في ميكانيك الكم، بل إنه هو الذي صك كلمة كوانتم-.. لماذا يتمرد على تلك الفيزياء الوليدة لماذا كان يحاربها حتى وفاته -مع أنه يعلم بداخله يقيناً أن كل التجارب في مصلحتها -؟

مشكلة أينشتاين كانت في عقيدته.. عقيدة إله أسينوزا.. عقيدة الحلول والاتحاد.. عقيدة الإله الذي يحل في قوانين الطبيعة..

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Alain_Aspect.

لو كان أينشتاين آمن بالإله العظيم البائن من خلقه - المنفصل عن مخلوقاته - الإله الذي ليس كمثلته شيء الذي يعرف كيف يخلق ويختار بين الإحتمالات، وبالتالي فهو فعلياً لا يلعب النرد، لو كان فعل ذلك لما وقع في تناقض عاش فيه طيلة عمره، ولما توقفت أبحاثه العظيمة بيزوغ فجر ميكانيك الكم ولما مات في أمريكا بعد عقودٍ من فشلٍ يتلوهُ فشل في مسألة التوحيد بين القوى الأربع في الطبيعة.

لقد كان [نيلز بور] - أبو ميكانيك الكم - دوماً يقول لأينشتاين «إنك لن تستطيع أن تفرض على الله كيف يتصرف في العالم». لم يفهم أينشتاين هذه الحجّة لإيمانه العقيم بإله أسبينوزا. فمشكلة أينشتاين الحقيقية أنه كان يفترض العالم واجباً وقوانينه واجبة وليس احتمالياً ولذا كانت صدمته كبرى من ميكانيك الكم، ولذا كان يقول: «إنني دوماً أتساءل هل كان لله اختيار آخر غير خلق هذا العالم؟».

فهو كان يرى العالم واجباً لكن ميكانيك الكم أثبت أن العالم احتماليٌ ووجوده ممكن لا أكثر.. وهذا ينسف المنظومة الفلسفية عند أينشتاين في عقيدته بخصوص إله أسبينوزا.

ربما لو عاش أينشتاين للعام 2012 ورأى بعينه جائزة نوبل في الفيزياء تُمنح لعالمين في فيزياء الكوانتم لأبحاثهما في إمكان العالم واحتماليته لا أكثر، ربما ساعتها كان سيتراجع لكنه عاش في فترة رأى فيها بعيني رأسه النجاحات المتتالية لميكانيك الكم تحتاج العالم كله، ورأى إله أسبينوزا أسطورة تتبخر وأن العالم ليس واجباً وإنما احتماليٌ وكان من الممكن ببساطة ألا يخلقه الله، لكن سيطرت عليه دوغما وحدة الوجود حتى وفاته!

فسبحان الله القيوم الذي إذا أراد شيئاً كان ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: 82].

المحرك الأول عند أرسطو

المُحرِّكُ الأول عند أرسطو، أو الإله الذي خلق الكون ثم تركه، هذه آخر مغالطات الملحد التي يستخدمها بعد فشله في كل الأعيه وسفسطاته الاحادية وبعد إقراره بالمُسبَّب وتسليمه بحكمة الصنع والمعايرة الدقيقة للوجود!

ففكرة المحرك الأول عند أرسطو، هي انتقال من إشكال الإلحاد إلى إشكال الربوبية. وفكرة المحرك الأول أصبحت فكرة أسطورية الآن. فقد ثبت أن نظام حياتنا ووجودنا كله يعمل بطريقة تخالف القانون الثاني للترموديناميك، وهذا قانون كوني يحكم الكون بدءاً من الذرة إلى المجرة وهذا القانون ينص على أن كل شيء في الكون يتجه نحو البرودة ونحو التفكك ونحو الانهيار، وفي لحظة ما في المستقبل سيصل الكون إلى الموت الحراري thermal death of universe، لكن منظومة الحياة تسير على العكس من ذلك تماماً فهي تسير نحو التعقيد ونحو البناء والنمو المطردين، ولذا فمنظومة الحياة تسير عكس القانون الثاني للترموديناميك، ولذا لا بد من تدخل أعلى، تدخل مباشر كل قيمته ثانية - والقيمة ثانية هي أقل زمن ممكن لرصد حدوث تفاعل كيميائي حيوي-، فالتدخل المباشر هو الضمان الوحيد لاستمرارية الحياة، ولولا هذا التدخل ما كان للحياة أن تخطو خطوة واحدة للأمام، بل كان على كل شيء أن يتفكك مباشرةً لا أن يتعقد وينمو.

فالله الخالق وهو الحافظ للحياة، وتستمد الحياة منه باستمرار كيائها وقيمتها فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه، والحمد لله رب العالمين!

هل النسبية المعرفية لها وجود؟

هل النسبية تراكم احتمالي في الذات أم تراكم وجودي؟

هل النسبية تراكم معرفي أم تراكم فيزيقي؟

هل النسبية زخم احتمالي تصوري، أم كومة مادية؟!؟

هل النسبية شيء قائم بالذات - شيء معرفي إبستمولوجي -، أم شيء له وجود أنطولوجي

مادي؟!؟

هذا السؤال ينسف نسبية الأخلاق ونسبية المعرفة ونسبية المعطيات بوجه عام، ويؤكد مثالية الوجود ومطلقية الأخلاق، ويثبت انهيار المنظومة الإلحادية في تفسير الظاهرة الوجودية.

لو قال الملحد أن النسبية شيء له وجود أنطولوجي مادي، قلنا إذن لا يوجد قوانين ولا

علم ولا فكر وتكون حتى هذه العبارة « النسبية شيء له وجود أنطولوجي مادي » نسبية هي الأخرى، وساعتها يسقط التمايز ولا نعرف ما هو أسفل ولا ما هو أعلى ولا ما هو كبير ولا صغير، وبداهةً هذه سفسطة لم يقل بها حتى المجانين، فالعلم له قوانينه وللحياة كينونتها المستقرة وللعقل مبادئه، ولولا هذه الأساسيات ما حدث تقدم يُذكر في حياة البشر وما وُجد بشر أساساً!

ولو قال الملحد أن النسبية شيء له وجود معرفي إبستمولوجي فكري، قلنا هذه مصيبة أكبر من سابقتها لأنها تعني نسبية هذه العبارة أيضاً وعدم جديتها وتعني عدم جدوى الفكر أو جدوى نتائجه، وبالتالي كل أفكار البشرية لغوٌ فارغ، لكن البديهة المركبة في البشر على العكس من ذلك تماماً ألا وهي الاستقرار على النتائج الفكرية، ثم الانتقال منها إلى غيرها وهذا يعني وجود حقائق فكرية يمكن الوصول إليها والاستقرار عليها، ثم الانتقال منها إلى غيرها! إذن لا يوجد شيء يُسمى نسبية في هذا الوجود المادي ولا في الوجود الفكري الإبستمولوجي.

والذي يتخذ النسبية منهجاً له هو يعتبرها حقيقة مطلقة فوقع في التناقض الذاتي.

والاختلاف بين البشر ليس مرجعه النسبية كما يحاول أن يُصور لنا الملحد الكاهن وإنما مرجعه أن كل صنف من البشر يحرص أشد الحرص على ما يعتنقه لا أكثر.

إذن النسبية خرافة أسطورية يروجها ملحد ما كر ويصدقها ربوبي فاشل، ولا وجود لها إلا داخل افتراض جدلي يفتقد الوجود الأنطولوجي والإبستمولوجي معاً!

الفصل الخامس

أدلة الإيمان

الفصل الخامس

أدلة الإيمان

محاولة التشكيك في برهان السببية - العلية - عند الملحد هو إعلان حرب

قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور: 35 - 36].

يُقرّر القرآن الكريم أن العدم null لا يصنع شيئاً ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35]، وهذه بدهة عقلية مركوزة في الأذهان.

إن برهان السببية في هذا الإطار أعلى من القانون، بل وعليه تقوم جميع علوم الدنيا ومقاصد الغايات، ولولا هذا البرهان القبلي - أي الذي يسبق أي تجربة - لما سلّمنا بصحة تجربة ولا قضية ولا مبرهنة ولا فكرة، ولصارت جميع علوم الدنيا لغواً فارغاً، ولصار مهرجو السيرك أكثر مصداقية من العالم والفلكي والفيزيائي والمفكر، فلولا اليقين العلمي من نتائج التجربة - ونتائج التجربة هي إحدى مسلمات السببية والدليل على صحتها - ما قام علم ولا استقرت فكرة ولا استوعبنا قضية في الدنيا، وبما أنه يوجد علم وبما أنه توجد حقائق علمية وأسس نظرية يستقر عليها الإنسان ثم ينتقل منها إلى غيرها، يبقى برهان السببية دليلاً جوهرياً وأصيلاً على إثبات الموجد والخالق، وعلى صحة القضية التي نحن بصدها.

ولم يكفر بمبدأ السببية إلا الملحد وعليه قبل أن يكفر بالسببية أن يكفر اضطراراً بكل علوم الدنيا، وببدهيات عقله حتى يتسنى له أن يحيا في اتساق مع إلحاده.

فلا يوجد شيء يسير في هذا الكون بلا قانون، فالكل مُسخر تماماً، بمنتهى السببية من

المجرة إلى ما دون الذرة، وحتى التذبذب الكمومي يخضع لقانون وإطار كلاسيكي صارم، ولا يستطيع أن يتمرد على أسس الميثودولوجيا السببية.

ولذا عندما حاول بشر ما بعد الأنبياء في أزمنة الفترات أن يتمردوا على التوحيد النقي، وأن يُسقطوا تجسّدات الإله في الشمس أو في الكواكب أو في تصاريف الطبيعة، كان الرد القرآني مستهجنًا، وموضحًا تخريف هؤلاء بأن كل ما حولك في الطبيعة مُسَخَّرٌ ومُسَيَّرٌ في قوانين صارمة، فكيف تعبده ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ اللَّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

فلا يستحق العبادة إلا الخالق، ولا يستحق أن يكون له الخلق والأمر إلا الله، فتبارك الله رب العالمين، فالله هو المُسَيَّرُ لتلك الأجرام بالسببية، ومحاولة التشكيك في برهان السببية هي محاولة للقضاء على إمكانية قيام علم طبيعي ذو قوانين ثابتة وكلية وضرورية.

إذن نقد السببية هو نقد لكل علوم الدنيا وأصول القواعد وكميات البدهيات!

ولا أدري كيف لمُلحد أن يُعمل السببية في معمله ويُسلم بوجودها ويُسلم بيقينية مُعطياتها، ويُسلم بنتائج تجاربه، ويُعمل السببية في كل كبيرةٍ وصغيرةٍ في حياته الشخصية وفي بحثه وحاله وماله، ثم يوقف السببية في أصل كل هذه الأمور، ويفترض العدم مصدرًا وحيدًا للوجود ويُصر على ذلك!!

النقد

لكن البعض ينتقد برهان السببية ويقول:

(1) يرى ديفيد هيوم أن السببية هي اطراد تكراري غير مُلزم لا أكثر.

(2) الغزالي حُجة الإسلام يُنكر السببية.

(3) الخوارق تأتي في أصلها ضد السببية.

(4) التذبذب الكمومي Quantum Vacuum Fluctuations ما علاقته أصلًا بالسببية؟

الرد على النقد:

أسطورة ان السببية هي اطراد تكراري غير ملزم لا أكثر.

إذا أضفنا حامض مع قاعدي فإن النتيجة الحتمية هي ملح وماء ولو أعدنا التجربة مليار مرة، ولولا هذا التلازم ما قام علم ولا تأسست حياة، ولا استقر للناس معاش، والذي يدعي أن السببية هي إطراد تكراري غير ملزم فإن كلامه أيضًا هو مجرد اطراد تكراري غير ملزم، ولو كان لكلامه حقيقة فهو كلام خاطيء ولا يفيد معنىً تلازمياً، وإنما مجرد اطرادي تكراري، إذن أي فكرة تحارب السببية هي فكرة ذاتية الهدم، تهدم نفسها بنفسها، فنقد السببية هو نقد بلا قيمة، نقد فلسفي لا أكثر، لأنه لو كان صحيحاً فهو الآخر كلام مُطرد وليس إلا فكرة ذهنية.

ثم على أي دليل من خارجنا نحن مضطرون للتمرد على برهان السببية؟

فالذي يحارب السببية يحارب بدهيات العلوم والفكر والقواعد والقوانين والمبادئ والأصول بلا قاعدة ولا قانون ولا مبدأ ولا أصل!!

فكل العلوم والقواعد والأصول تؤكد صحة السببية، وليس ثمة استثناء، إذن نقد السببية هو نقد للعلوم والقواعد والقوانين والأصول.

إن إنكار السببية يؤدي إلى الشكّية المطلقة، وإبطال العلوم والدراسات بحجة أن كل شيء ممكن، ولو كان هذا الإنكار صحيحاً لما حدث تقدم في حياة البشر، وبما أنه يوجد تقدم في حياة البشر إذن ثمة قواعد نصل إليها ونستقر عليها ثم ننتقل منها إلى غيرها، إذن برهان السببية هو مُسلمة الوجود البشري بإطلاق!

والذي يريد أن ينتقد لمجرد النقد فعليه أن يأتي بدليل فلسفي أو تجريبي أو عقلي أو تجريدي أو نقلي يدعم موقفه وإلا فليصمت، فكما يقول الأصوليون إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعيًا فالدليل.

والذي يحاول أن ينتقد برهان السببية الذي استقرت عليه العقول، يصبح مثار سخرية حتى من علماء المادة قبل غيرهم. يقول [ستيفن هاوكنج] مستهزئاً بالفلسفة التي تدور في هذا الإطار

في كتابه الأخير التصميم العظيم ص 41 بنسخته الأصلية: «في عام 1277 قام أسقف باريس بوضع منشور من 219 هرطقة تجب إدانتها في أنحاء البلاد، وأحد هذه الهرطقات هي الإيمان بالسببية، وبتلازم قوانين الطبيعة، ولرتمض شهور حتى مات الأسقف بسبب تلازم أحد قوانين الطبيعة حين سقط عليه سقف الكاتدرائية بفعل قانون الجاذبية وبفعل السببية التلازمية!».»

إن الذي يحارب البدهيات هو مسفسط حتى الثمالة، ولا يفعل ذلك إلا في إطار السفسطة العقلية وفي قاعات الدرس بينما هو في واقع حاله يمارس الإيمان بالسببية في كل لحظة وبلا تردد!

أسطورة أن الإمام الغزالي رحمه الله - حجة الإسلام - ينكر السببية.

أما بخصوص الإمام الغزالي رحمه الله فهو ينكر السببية التي تجعل الجوهر في المادة وفي السبب والمسبب، رداً منه على الماديين والدهرية، فإنكار السببية في هذا الإطار هو لإثبات تدخّل أعلى، أي سببية لكن على مستوى كُلي وهو الله عزَّجَلَّ وهذا يتضح من كلام شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله حين قال: «إن الله يأتي بالأشياء بالأسباب وبدون أسباب وبضد الأسباب»، فهذا ليس نقداً للسببية بل هو تأكيد للسببية لكن على إطارٍ أعظم وأن قيود الطبيعة ليست شرطية!

وهل يوجد عاقل لا يستطيع الجمع بين إيماننا بالسببية كبديهة عقلية وبين كلام الغزالي رحمه الله؟

بل هل ثمة إنسان على ظهر البسيطة يؤمن بالله ويؤمن بالسببية كبرهان عقلي جوهرية، ثم يستهجن شيء من كلام الغزالي رحمه الله!!؟

إن نقد الإمام الغزالي ليس للسببية كبرهان عقلي وبديهة عقلية، وإنما نقد السببية كشيء جوهرية في ذات الأشياء!

فالإمام الغزالي ينفي ضرورة التلازم بين الظاهرة وأسبابها، ويُسند الأمر إلى تقدير الله إن شاء وقعت الظاهرة وإن شاء لم تقع!

وهذا المنهج تتبناه الفرق الكلامية بالمناسبة.

أما عن الخوارق:

فالخوارق هي توكيد للسببية؛ لأنها جاءت بتدخل إلهي في إطار نظام مؤسسي، والاستثناء المُقيد يؤكد القاعدة كما هو مُقرر عند الأصوليين، إذن الخارق يؤكد وجود مُسبب وهو الله، فلولا المُسبب ما وقع الخارق، وبالتالي فالخارق هو توكيد إضافي على صحة برهان السببية!

حُجة التذبذب الكمومي Quantum Vacuum Fluctuations، التي ناقشناها في الفصل الثالث من هذا الكتاب، هل تخالف مبدأ السببية؟

بخصوص مبدأ عدم اليقين عند [هايزنبرج]، فخلاصة الرد نقلها بتصريف من كتاب التصميم العظيم لستيفن هاوكنج ص 169 - 171 بنسخته الإنجليزية حين قال: «في حال مبدأ عدم اليقين لهايزنبرج يجب أن نعلم أنه يستحيل أن يوجد مكان يخلو من الطاقة ونقل الطاقة، ولا بد أن يحتوي على أقل قدر من الطاقة في هذا الفراغ، ويحدث أن تظهر وتختفي لحظياً جسيمات، لكن هذا الظهور والاختفاء محكوم بعالم الكوانتم المادي - له قوانين وأسس وأطر ضابطة- أي أننا لسنا في العدم بل في عالم مادي.. ولو صح أن هذه الجسيمات تحتوي على طاقة لانهاية لكان المفترض بمجرد ظهور الكون وظهور هذه الجسيمات لانهاية العدد والطاقة أن تؤدي إلى انكماش الكون على نفسه فوراً وانتهائه وهذا بداية ما لم يحدث».

الخلاصة: أن ظهور هذه الجسيمات لا يخالف قانون حفظ الطاقة، إذن يخضع لبرهان السببية في جميع تجلياته، لكنه لا يخضع للإطار الزمني، وهذا أول الإشكال وآخره، فالجسيمات يمكن أن تقتض طاقة من المستقبل فتظهر ثم تتلاشى دافعة القيمة التي قامت باقتراضها بالضبط لحظة التلاشي، لكن هذه المساومة واقتراض طاقة من المستقبل تحدث في الإطار المادي داخل حدود الزمان والمكان، فلولا الزمان المخلوق والموجود لما كان لهذا الاقتراض وجود ولا معنى! ولا جدال بين الفيزيائيين على أن العدم الكوانتي هو عدم موجود داخل حدود الزمان والمكان، والكون جاء من اللازمان واللامكان!

ولا جدال أن التذبذب الكمومي في جميع صورته يخضع لقانون وإطار كلاسيكي صارم، ولا يستطيع أن يتمرد على قوانين المادة ولا يستطيع كسر قانون حفظ الطاقة.

فالتذبذب الكمومي خاضع لقوانين متصل الزمكان space time continuum، ويدخل مع

المكان في نسيج متصل لا يمكن تجزئته أو تمزيقه - تجريدًا وليس أنطولوجيًا-، ولذا فالتذبذب الكمومي يحدث داخل هذا النسيج بقواعد النسيج وعندما يستلف طاقة من المستقبل، ففي هذه الحالة هذا مستقبل بالنسبة للراصد، لكنه جزء لا يتجزأ من النسيج الكوني وبالتالي استلاف طاقة لا يُحدث خرقاً في قانون حفظ الطاقة، لأن النسيج الزمكاني في لحظة حصوله على تلك الطاقة التي قام بإقراضها لحظة تلاشي الجسيمات لم يتغير شيء فيه، ولم يختل قانون حفظ الطاقة، ولم ينفصل الزمن عن الأبعاد المكانية الثلاثة.

ولا أجد حُجةً للأعيب الإلحاد المعاصر في الكفر بالصانع إلا من قبيل قوله تعالى: ﴿وَيُجَدِّلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: 56]، وبالتالي برهان السببية برهان جوهرى لم يتم كسره.

ولا يكفر برهان السببية إلا الملحد! ولذا فهو في حرب شعواء أمام العلم والعقل والبرهان الحتمي العليّ السببي، ومن أجل ذلك أنا أقول دائماً أن الملحد يستحق الخلود في النار بسبب غباوته قبل كفره وإلحاده، لإنكاره أعظم البدهيات تُراً - برهان السببية-، حيث إنه يفترض السببية كقانون في كل شيء ثم ينزعها بعد ذلك من أصل كل شيء، فهو يؤمن أن السببية أقوى وأعظم قانون في الوجود، ثم ينزعها من أصل كل الوجود ومن أصل كل موجود، فصار أضحوكة كل مرصود ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ٣٥ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: 35 - 36]!

الغائية والعلم

يزعم الكاهن الملحد أن معرفتنا بظاهرة ما تنفي حاجتنا إلى تفسيرها وبالتالي إلى مُسببها، وبالتالي كلما تقدم العلم كلما ضاقت الأمور المجهولة عندنا، ولذا يزعم الكاهن الملحد أن نسبتنا الشيء لخالقه هو من باب إله الفجوات لا أكثر!

في البداية؛ العلم هو وصف الظاهرة بغيّة تفسيرها.. فالعلم يفكر في كيف تتنفس الهواء وكيف يدخل الهواء إلى الرئتين، والحويصلات الهوائية، وطريقة تبادل غاز الأوكسجين مع غاز ثاني أوكسيد الكربون.. لكن لا يتعامل العلم مع أسئلة من قبيل: لماذا يتنفس الإنسان؟ وما الغاية من ذلك؟

العلم يُحلل جيداً ظاهرة النوم، ويحدد النشاط العصبي لمناطق مُعينة من المخ أثناء النوم، ويُقسم النوم إلى طورين رئيسين، هما طور حركة العين السريعة للنوم rapid eye movement، وطور انتفاء حركة العين السريعة للنوم non rapid eye movement.. لكن لا يتعامل العلم مع أسئلة من قبيل: لماذا ننام؟ ما الغاية من ترك النوم مع وجود دوافعه؟

فهذه أمور ليست علمية، لأن العلم لا يستوعبها، وليس لأنها غير مُهمّة.

بل نستطيع أن نقول أن الأمور التي لا يستوعبها العلم هي الأصل وهي الأساس وما يستوعبه العلم هو الشيء الظاهري التافه البسيط.!

هل معرفة طريقة عمل الدائرة الكهربائية في الكمبيوتر تنفي وجود مُسبب للكمبيوتر وغاية من صنعه لها؟

العلم يستحيل أن يخبرنا شيئاً عن صانع الكمبيوتر أو صانع العقل الإلكتروني أو صانع الإنسان الآلي لكن حتماً يخبرنا كل كبيرة وصغيرة في الطريقة والقوانين التي تحكم عملية انتقال المعلومات داخل البروسيسور... العلم يستحيل أن يخبرنا شيئاً عن عقل صانع الكمبيوتر أو غايته من صنع الكمبيوتر، لكن العقل بكل بساطة يستدل على غاية صانع الكمبيوتر وعلى عقله وهدفه حين قام بصنع الكمبيوتر بمجرد رؤية الكمبيوتر.. هذه بديهة عقلية لا علاقة لها بكونك ملحد أو مؤمن.

ألا يكون استبعاد صانع الكمبيوتر من المنظومة خطأً منطقيًا ومنهجيًا وإن كان علميًا لا دليل عليه...!!؟

ألا تتفق معي أنه يستحيل استبعاد صانع الكمبيوتر من المنظومة إلا عن طريق سفسطة جدلية عقيمة؟

والله أخبرنا في كتابه أن منظومة الخلق تسير بالأسباب وخلقها وسيّرها سبحانه بالأسباب.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: 99].

يصف الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله أن لكل موجود كالكتاب مثلاً عللاً أربع؛ العلة

المادية وهي الأصباغ والورق الذي صُنع منه الكتاب، والعلة الظاهرة وهي شكل الكتاب وهيئته، والعلة الفاعلة وهي المؤلف وصانع الكتاب والمنسق، والعلة الغائية وهي الغرض الذي من أجله تمت كتابته الكتاب.. والعلة الغائية تقع خارج نطاق العلم ولا يستطيع أن يُخبرنا بها إلا العلة الفاعلة⁽¹⁾.

ولما كان العلم لا يتعامل مع العلة الغائية تم إسقاطها من الحساب لكن الحقيقة أن العلة الغائية هي الأصل...!!

وقد ظهر سوفسطائيون ينكرون العلة الغائية اعتماداً على العلة الظاهرة وقد استهزأ سقراط بهم فقال أثناء محاكمته متهمكماً: «إنني جالس الآن هنا لأن جسمي يتكون من عظام وعضلات والعظام عندما تتحرك والعضلات في استرخائها وتوترها ذلك جعلني قادراً على ثني أطرافي، ولذا انا أجلس هنا في هذا الوضع المنحني...»⁽²⁾.

فاعلة الغائية لوضع سقراط هكذا هو أنه في محاكمة.

أما العلة العلمية المادية لوضعه هكذا هي شد العضلات والأوتار.

الغاية هي جواب لسؤال آخر لا يتعلق بالعلم... وأكثر الأسئلة أهمية وإثارة تقع خارج قدرات العلم فعلى سبيل المثال: ما معنى الخير والشر.. الصواب والخطأ... النجاح والفشل... المعنى واللامعنى... القيمة... الغاية.. مصدر القوانين... لماذا الآن وليس قبل ذلك..... ماذا قبل ذلك...

هذه أسئلة خارج نطاق العلم ليس لعجز العلم وقصر أدواته بل لأنها تقع خارج إطار العلم والمادة معا...!!

والإنسان لم يتبنَّ العلم إلا عندما علم أن الطبيعة تتبع قوانين ثابتة وإعداداً بعناية وعظيم صنع وروعة خلق، ولم يفعل العلم أكثر من إطلاق التسميات على هذه القوانين ثم حصده الجوائز نتيجة الكشوف العلمية... فالنظام المدهش والقابلية للتنبؤ والإنضباط والمصدقية والتي لولاها ما قام العلم... كل هذا يدعو للتساؤل:

(1) وهم الإلحاد.... د. عمرو شريف.

(2) محاوره فيدون 97.

من الذي يقف خلف القضية ككل.....!!

الله يقف وراء قصة العلم كلها

والخالق أراد منا أن نفهم الكون فخلق قوانين الكون ممكنة الاستيعاب..

وقضت حكمة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري

بكثير....

أدلة اليقين الديني هل يمكن حصرها في معيار واحد؟

مسألة الإيمان الديني والوصول إلى ضرورة يقينية بصحة الإسلام، هذه مسألة تجتمع عليها أدلة متكاثرة توجب في مجموعها يقيناً ضرورياً وتسليماً بصحة الرسالة الخاتمة، وسأنقل في نقاطٍ مختصرة شيئاً منها:

(1) دليل الفطرة المعدة والممهدة لتلقي الوحي الإلهي، فالفطرة هي خَلقة مُقتضية للتوحيد، يقول الشيخ حسنين محمد مخلوف شيخ الأزهر السابق في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56]، أي لئلا أُخلق الثقلين إلا مُهيئين لعبادتي بما رُكبت فيهم من العقول والحواس والقوى، فهم في حالة صالحة للعبادة، مُستعدة لها، فمن جرى على موجب استعدادة وفطرته آمن بي وعبدني وحدي، ومن عاند واستكبر اتبع غير سبيل المؤمنين.

(2) المعيار الجوهري في التسليم بصحة الرسالة هو صدق النبي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رآئته ثبوت النبوات ص 573: «ليست المعجزة هي الشرط الأُوحد للنبوة، فمدعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمبشرون قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن.... وكثير من الناس يعلم صدق المُخبر بلا آية البتة، وموسى ابن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم: إن الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات. وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وذهبت به إلى ورقة ابن نوفل قال: هذا هو الناموس الذي يأتي موسى، وكذلك النجاشي، وأبو بكر علموا صدقه علماً ضرورياً لما أخبرهم بما جاء به وما يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجب علماً

ضرورياً بأنه صادق، وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترن به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا مَنْ هو أصدق الناس أو أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني».

(3) موافقة صفة النبي الخاتم واسمه ونعته لما يجده أهل الكتاب موصوفاً في كتبهم، ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: 157]، وبسفر نشيد الإنشاد في التوراة وإلى اليوم إسم محمد بالعبرية.. الذي يترجمه النصارى في الترجمة العربية إلى مشتبهى الأمم، محمد نطقاً وكتابة في ترجمة The KJV Old Testament Hebrew Lexicon Original Word من اليمين إلى الشمال: dmxm وبالنطق اللاتيني تتطابق مع «محمد» Transliterated Word Machmad Phonetic Spelling... makh-mawd.

وفي الإنجيل إلى اليوم الباركليتوس القادم الذي بشر به المسيح والذي معناه باليونانية أفعال تفضيل من الحمد أي أحمد، والباراكليتوس ليس هو الروح القدس كما يُروج كهنة النصارى، لأن المسيح ذكر أن الباركليتوس لن يأتي حتى يذهب المسيح والروح القدس نزل على المسيح على هيئة حمامة قبل هذا الحوار الذي تنبأ فيه بقدم أحمد بسنوات.

(4) موافقة ما جاء في الرسالة لبديهيات العقل ومتطلبات النفس وحاجة الخلق، فأشبع الإسلام جوعنا الروحي وتألقنا الذهني، وانسابت مبادئه إلى القلوب من تلقاء نفسها انسياب البديهيات!

(5) الإسلام الدين التوحيدى الأنقى، الدين الشمولى الأوسع والأشمل، الدين الإيماني الروحي العملي المادي، الدين الذي يدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياتك حيث يكون أمرك كله لله.

(6) الإسلام الذي يوافق في عقيدته عقيدة جميع أنبياء العهد القديم فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، وإعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود وإبراهيم وموسى وداوود ويونس وهارون وعيسى.. فعقيدة هؤلاء جميعا هي عقيدة الرب إلهنا رب واحد بلفظ التوراة والإنجيل.. هذه العقيدة التي لا تعرف تثليث

ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى - انتزاع الروح القدس من الآب - ولا آلهة قومية.. يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163]، إذن فالإسلام ليس ديانة كالديانات وإنما هو أصل الديانات وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات، وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد.

(7) وقوع ما تنبأت به الرسالة على نحو عجيب عبر السنين والأيام!

إلى آخر ذلك من المعايير الكثيرة!

ولذا فمن الخطأ بمكان وضع معيار واحد في مسألة تحتل وتنضبط بعدة معايير، ولذا فقد استخدم القرآن الكثير من المعايير في إثبات صحة الرسالة وصحة التوحيد وضبط العبودية لله، وكذلك استخدم النبي ﷺ معايير كثيرة، فمن الناس من يريد معيار القوة العضلية مثل ركانة الذي صرعه النبي فأسلم وكان هذا شرطه، ومثل بعض اليهود الذي أرادوا أجوبة علمية على أسئلتهم، ومثل فطاحلة اللغة الذين جذبتهم لغة القرآن، ومثل السود الذين وجدوا في القرآن أفضليتهم بالتقوى وليست باللون، ومثل البدو والأعراب الذين يتبعون من غلب، ومثل العلماء الماديين المعاصرين الذين يجدون في الإسلام إجابة عملية للتساؤلات الكبرى في الوجود، وكل صنف من البشر يجد في الإسلام ضالته طالما تحرر من قيود الكبر وتقليد الآباء، ويوم القيامة ستبلى السرائر وتكون المحاكمة الكبرى بحسب معطيات الإنسان وطاقته وما وصله من رسالة، وهكذا تتعدد المعايير ولا نرتكن إلى معيار واحد في إقامة الحججة وهذه طريقة أعلم وأحكم وأسلم وأضبط.

ويمكن أن نتعاون سوياً في إضافة معايير جديدة لا قصرها في معيار واحد ثم نلزم البشر بما لم يلزمهم به الله فنشقى على الناس ونضيق عليهم واسعاً.

لكن دعونا نتدبر دليلاً على صحة الرسالة بشيءٍ من التفصيل ألا وهو: (صدق ما أخبر به القرآن الكريم).

لم تكن الظاهرة القرآنية مرغمة ببلاغتها فحسب، ولا مرغمة ببيانها لأصول الدين ومعتقد الأنبياء الأسبقين فقط، ولا توقفت على إصلاح تحريف المفتريين.

وإنما الظاهرة القرآنية تتخطى كل ذلك. وتتجاوز ما كُتب عنها وانفتحت له عقول الأولياء من مهج الإعجازات المتضمنة في الكتاب.

فأنت تقرأ في كتاب الله مغيباتٍ تحدث دون أن تتخلف.

وأخبار أقوامٍ لا يزيد بحث الزمان وتحريه إلا تصديقاً لوقوعها.

وتقرأ تحليلاً بديعاً لطبائع الأنفس وأهوائها وميولها وما يصدها ويردعها ويعيدها.

فتجد عبر سبك الأيام وخبراته وتراكم مشاهدة أحوال الناس تحقيقاً لكل ذلك!

ولو أردنا الشروع في بسط كل عجيبةٍ أتى بها القرآن لما كفانا الزمان.

نسأل الله أن يصفح عن العجز والتقصير. لكن عذرنا أن لحظة تُرشد لتقص. ونفحةٌ تُهيب

لتدبر. ومقدمةٌ تشد الهمم لمن يُكمل.

فاللهم اغفر وارحم!

وحسبنا هنا أن نرصد شيئاً آخر عرضته الظاهرة القرآنية بسلاسة. وجاء هذا الشيء

تضميناً لا قصداً لتحذِّ ولا إظهاراً لمعجز.

فقد عرضت الظاهرة القرآنية موت أناسٍ بأعيانهم على الكفر:

فحدث ذلك دون أن يُسلم منهم أحد. ولو أن واحداً منهم أسلم لانتهدت الرسالة من

فورها!

ومن هؤلاء:

□ أبو لهب ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: 3].

□ والوليد بن المغيرة ﴿سَأُصَلِّهِ سَقَرًا﴾ [المدثر: 26].

بل إن الظاهرة القرآنية أخبرت بأن الوليد ابن المغيرة قد رُزق ببنين كثير وأنه يطمع في المزيد. لكن كلا!

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهَدَاءَ ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ [المدثر:

[15 - 12].

يقول البغوي رحمه الله في تفسير الآية: «فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك».

وأخبر القرآن أن شدة عناد الوليد ابن المغيرة وبسبب منعه الخير وكثرة إثمه وافترائه على آيات الله عزَّ وجلَّ، بسبب كل ذلك سيُخْطَم بالسيف على أنفه فيُعرف بذلك!

﴿ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عْتَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴾ [القلم: 12 - 16].

قال ابن عباس: وقد فعل ذلك يوم بدر - خُطِمَ على أنفه بالسيف - (1).

بل لقد انتقلت الظاهرة القرآنية إلى منحى آخر عظيمًا. إذ أكدت منذ بداية الدعوة أن هناك سجالاً حربيًا سيجري بين حزب محمد ﷺ وحزب مشركي قريش.

وهذا قطع إعجازي بأن قريش لن تُسلم بسهولة ويسر كما ستسلم المدن البعيدة كيثرب وعمان واليمن والبحرين.

بل ثمة سجالات وسجلات ستجري. كل هذا في بدايات الدعوة. ولا أحد يستطيع التنبؤ بما سيكون بعد ساعات فضلًا عن عقود من الزمان.

فقد قال الله تعالى مخبرًا عن هزيمة قريش قبل الهجرة: ﴿ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ ﴾

[القمر: 45].

بل لقد تكررت هذه الآيات وهذا الوعيد في أغلب السور التي نزلت في بداية الدعوة.

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا

وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ [مریم: 75].

(1) انظر تفسير البغوي للآية..

أي سيهلك كفار قريش في معارك فاصلة ومن يموت منهم قبل ذلك فالساعة موعده.
 أي استشرافٍ للمستقبل هذا الذي يقطع بأن عناد هؤلاء سيطول حتى تكون الحرب؟
 أي استشرافٍ للمستقبل هذا الذي يضع الدعوة ككل تحت مقصلة نبوءة لو أسلم سادات
 قريش في الحقة المكية لسقطت النبوءة وانتهت الدعوة؟
 وكم من بوادي العرب وكم من القرى أسلمت سلمًا ودون حرب وفي يومٍ وليلة؟
 ماذا لو استيقظ كفار قريش وساداتهم وأعلنوا إسلامهم؟
 تخيل!

ثم انظر كيف جهّز كفار قريش الجيوش وعادوا القبائل ودفعوا أنفُس أموالهم ورجالهم
 لمحاربة الدعوة الناشئة، ولر يتفطنوا لمسألة كهذه -إظهار أنهم أسلموا كذبًا- تريخهم وتريح
 أبنائهم أبد دهرهم؟
 فإذا لم يكن القرآن موحىً به من عند الله فأى تأويلٍ آخر يمكن أن يطرحه الإنسان
 المتعقل لثقة النبي ﷺ بما سيحدث في مقبل الأيام؟

أيضًا تحدث الظاهرة القرآنية اليهود أن يتمنوا الموت فلم يفعلوا: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا
 إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت
 أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الجمعة: 6-7].

فما تمنوا الموت أبدًا -لأنهم يعلمون أنهم لو تمّنوه لماتوا من ساعتهم- مع الاقتضاء والمطالبة
 التي تدفع لجواب التحدي.

يقول القاضي عبد الجبار: «لا يتمنون ذلك مع خفته وسهولته ومع علمه ﷺ بشدة
 حرصهم على تكذيبه وفضيحته تعجب؟

ولم يقل: هذا من عندي. بل قال: هذا من عند ربي وإلهي وإلهكم الذي يعلم سركم
 وجهركم. وهذا أشد على اليهود من تحديه للعرب بمثل القرآن، وهذا مقام لا يبديه النبي ﷺ
 إلا مع اليقين.

وقد تحيرت الملحدة وأعداء رسول الله ﷺ لماذا لم يتمنَّ اليهود الموت زمن رسول الله ﷺ فيكذبه بذلك فيستريحون ويُرِحون»⁽¹⁾.

وأخبر القرآن بالانتصار يوم بدر قبل أن تبدأ المعركة والحسابات المادية في صالح الكفار قولاً واحداً ﴿إِذْ يُوحَىٰ رُبَّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره للآية: «وهذا خطاب... للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين».

وأخبر القرآن أن المنافقين سيكذبون على يهود بني النضير ولن ينصروهم، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ شَهِدٌ لِّكُلِّ بَنٍ ﴿١١﴾ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ﴾ [الحشر: 11 - 12].

وحدث ما أخبر به فإن يهود بني النضير أُخرجوا ولم يخرج المنافقون لنصرتهم بل تركوهم؛ وقوتلوا فلم ينصروهم.

ففي النهاية واجه يهود بني النضير وحدهم مصير خيانتهم ولم يتلقوا أي عونٍ من المنافقين! وكانت هذه بشارة -من القرآن الكريم- مستقلة بنفسها كما يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية.

وتنبأ القرآن بهزيمة الفرس وانتصار الروم في بضع سنين؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ لَّهُمْ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١﴾﴾ [الروم: ١] ﴿فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الروم: ٢] ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الروم: ٤] ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: 1 - 5].

مع أن التاريخ في ذلك الوقت كان يكتب نهاية إمبراطورية الروم. وقد سحقت حملات أبرويز الفارسية كل أمل للروم في النصر حتى أخذ أبرويز صليب الصلבות إهانةً للروم!

(1) تثبتت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار 411 بتصرف..

ومع ذلك وفي لحظة تاريخية فاصلة يفوق هرقل وينتصر على أبرويز في معركة فاصلة وتحقق الآية والمعجزة!⁽¹⁾

وأخبر القرآن أنه في يوم نصر الروم على الفرس سينتصر المسلمون أيضًا: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: 4].

وبالفعل فقد جاءت أخبار نصر الروم في غزوة بدر الكبرى!⁽²⁾

وأثلج القرآن صدور الصحابة الكرام وطمان قلوبهم بأنهم سيدخلون المسجد الحرام. وذلك بعد أن صدّهم المشركون عن البيت. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبِّيَا بِالْحَقِّ لِتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27].

يصف د. عبد الله دراز رحمه الله الحدث العجيب كالتالي: «مُع المسلمون من دخول مكة عام الحديبية، واشترطت عليهم قريش إذا جاءوا في العام المقبل أن يدخلوها عزلاً من كل سلاح إلا السيوف في الثُّرْب، فهل كان لهم أن يثقوا بوفاء المشركين بعقدهم وقد بلوا منهم نكث العهود وقطع الأرحام وانتهاك شعائر الله؟ أليسوا اليوم يجسسون هديهم أن يبلغ محله؟ فماذا هم صانعون غدًا؟ على أنهم لو صدقوا في تمكين المسلمين من الدخول فكيف يأمن المسلمون جانبهم إذا دخلوا عليهم دارهم مجردين من دروعهم وقوتهم، ألا تكون هذه مكيدة يراد منها استدراجهم إلى الفخ؟ وآية ذلك اشتراط تجردهم من السلاح إلا السيف في القراب، وهو سلاح قد يطمئن به المسلمون إلى أنهم لن ينالوهم بأيديهم ورماحهم، ولكنه لا يأمنون معه أن ينالوهم بسهامهم ونبالهم، في هذه الظروف المريبة يجيئهم الوعد الجازم بالأمر الثلاثة مجتمعة: الدخول، والأمن، وقضاء الشعيرة» ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّبِّيَا بِالْحَقِّ لِتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27]

(1) <http://www.angelfire.com/nt/Gilgamesh/sasanian.html>.

ولترجمة هذا الحدث العظيم إلى العربية يُنظر الرابط التالي: <https://goo.gl/GWGDyr>

(2) يُراجع تفسير البغوي للآية.

فدخلوها في عمرة القضاء آمنين، ولبثوا فيها ثلاثة أيام حتى أتموا عمرتهم وقضوا مناسكهم»⁽¹⁾.

وتنبأ القرآن بأنه سيأتي اليوم الذي يظهر فيه الإسلام على كل الديانات؛ قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33].

فجاء ذلك اليوم وظهر الإسلام على الدين كله!

بل إنه في اللحظات التي كانت تعاني فيها الدعوة الأمرين. تقرر أن الإسلام سيبقى إلى قيام الساعة: ﴿لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: 56].

ويبين القرآن أن رسول الله ﷺ سيعود إلى مكة بعد خروجه منها مهاجراً ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85].

ومعاد الرجل هي بلده.

وأن الله عزَّ وجلَّ سوف يغني قريشاً ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: 28].

وقد كان كل هذا!

وغير ذلك الشيء الكثير!

إن ظاهرة الإخبار القرآني للمغيبات التي تأتي بسلاسة، وتقع كما أخبر لهي تقطع في كل جانب من جوانبها بصدق صاحب الرسالة ﷺ.

الكشوف العلمية المتتابعة

لو نظرت إلى المجاز القرآني لوجدته بعيداً تماماً عن خيال العربي الذي ينشد في معلقاته وأشعاره الغزل ووصف المرأة والخمر، فالمجاز القرآني لوحة شاملة رائعة تختلط فيها الأنهار التي تجري في المروج الخضراء مع الظلمات التي في البحار اللجية.

(1) النبا العظيم، ص 48 - 49.

وداخل هذه الوحدة الأدبية تتوافر الدقة العلمية والدقة المعرفية لأنه كتابٌ موحى به من خالق السماء والأرض.

وفي إطار حديثنا عن الدقة العلمية. فالقرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد على وجه الأرض الذي يخلو من خطأ علمي واحد وهذا بحد ذاته أعظم إعجاز علمي على الإطلاق.

في المقابل أعطني كتيب أو مطوية صغيرة مكتوبة منذ مائتي عام فقط تصف أية مسألة علمية وسأخرج لك منها أخطاء صريحة.

فقد كتب أرسطو ثلاثة كتب علمية «في الطبيعيات، في السماوات، في الأرض» هذه الكتب الثلاثة لا توجد اليوم فيها جملة واحدة صحيحة علمياً، فقد كان أرسطو طبقاً لهذه الكتب يرى أن:

أسنان المرأة تختلف في العدد عن أسنان الرجل!

وأنة يوجد في صدر المرأة ثلاثة ضلوع فقط!

وأن وظيفة المخ تبريد الدم بينما وظيفة القلب تسخينه!⁽¹⁾

وكان أرسطو يرى أن المياه الجوفية تتكون نتيجة فجوة في قلب الأرض تنقل مياه المحيط إليها!

وما إلى ذلك من الخرافات العلمية التي تملأ كتبه، بينما يقول القرآن في هذه المسألة الأخيرة مثلاً: تكون المياه الجوفية- خلاصة ما توصل له العلم منذ عقود قليلة فقط، وهو أن المياه الجوفية مصدرها مياه الأمطار ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الزمر: 21].

فمصدر المياه الجوفية هو الينابيع المتكونة من الأمطار، وليس فجوة أرسطو التي في عمق القارة.

فمعجزة الضبط العلمي للقرآن الكريم هي أعظم معجزة علمية على الإطلاق!

(1) <http://chsi.harvard.edu/bok/06.html>.

وطبقاً للمبدأ البوكيلي Bucaillism - الذي قام بصكه موريس بوكاي منذ عقود قليلة- فإن القرآن الكريم بعد مراجعة علمية دقيقة هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد به خطأ علمي واحد رغم أن عمره 1400 عام⁽¹⁾.

مع أن القرآن كتاب إصلاح للمعرفة والسلوك في المقام الأول.

ولو ترحلت عن القرآن الكريم إلى غيره من الكتب فأنعمت النظر في منحي الدقة العلمية في تلك الكتب. لوجدت نصوصاً تقطع بالوضع -التحريف- في تلكم الكتب!

فلك أن تتخيل! لو أن نصاً واحداً من كتاب مثل الفيدا - الكتاب المقدس للهندوس- كان موجوداً في كتاب الله؟

وسأعرض الآن بين يديك شيئاً من نصوص كتب الأسبقين:

- تقول الفيدا أن: الأرض ثابتة لا تتحرك⁽²⁾.
- وخلق الله الأرض ثابتة⁽³⁾.
- والشمس تدور حول الأرض داخل عربة ذهبية يقودها سبعة أحصنة⁽⁴⁾.
- والثور يُثبت السماء⁽⁵⁾.

والياجور فيدا هي أحد الكتب الأربعة القانونية المقدسة لدى الهندوس

□ ويقول الفيشنو بارانا أن الشمس تبعد عن الأرض 800 ألف ميل، بينما المسافة علمياً 93 مليون ميل.

□ ويقول الآثارفا فيدا: وفي خضم الماء يدور القمر⁽⁶⁾.

(1) Bucaillism at wikipedia.

(2) الريح فيدا 1 12.

(3) ياجور فيدا 30.

(4) ياجور فيدا 33-43.

(5) ياجور فيدا 30.

(6) آثار فيدا 1 89.

وغيرها الكثير؛ فالحمد لله على الدين الخاتم المعصوم المحفوظ، الذي بلغه لنا أشرف الخلق محمدًا ﷺ، كاملاً غير منقوص.

ولو نظرنا إلى تقرير الظاهرة القرآنية لجانب العقيدة والتوحيد. فالقرآن هو منتهى الرقي في تنقية العقيدة التوحيدية من أية شوائب كفرية؛ يقول د. الطيب بو عزة: «يؤكد القرآن دائماً دور الكتب المقدسة في المسألة التوحيدية، ومع ذلك يؤكد القرآن دائماً على إخراج الذات الإلهية من نطاق الأنانية اليهودية - حيث الرب القومي لليهود -، والتعدد المسيحي - حيث عقيدة الثالوث الموغلة في التشويش والارتياب -، فالله رب العالمين واحدٌ أحدٌ ليس كمثلته شيءٌ وهو السميع البصير، ولذا فقد خرجت التعديلات اللاهوتية اللاحقة على اليهودية والمسيحية على يد توما الاكوييني وموسى بن ميمون كإفراز لقراءتهم المنشور الإسلامي في عقيدته الصافية بالله، والتي شوهتها معاصي اليهود والمسيحيين، فحاول الرجلان تنسيق ديانتيهما بما يتناسب مع المنشور الجديد الذي سيجذب كل أتباع الديانات إليه إذا لم يحدث تدخل سريع لمواربة الصدع ومحاولة التقرب من عقيدة الإسلام النقية، وإثبات أن كلتا العقيدتين الأخرتين بناؤهما الأصلي وعمادهما أيضاً على توحيد الله في الصيغة النهائية، فالتحسينات التي أدخلت على العقيدتين لم يكن منها مناص لإيقاف أفواج الداخلين في الدين الجديد»⁽¹⁾.

وفي الختام هل تبقى دعوى مدعٍ أن القرآن من صنع محمدٍ ﷺ؟

يقول دكتور محمد عبد الله دراز -رحمه الله-: «القرآن إذن صريح في أنه لا صنعة فيه لمحمدٍ ﷺ ولا لأحدٍ من الخلق، وإنما هو منزلٌ من عند الله بلفظه ومعناه ومن العجب أن يبقى بعض الناس في حاجةٍ إلى الاستدلال على الشطر الأول من هذه المسألة وهو أنه ليس من عند محمد.

في الحق أن هذه القضية لو وجدت قاضياً يقضي بالعدل لاكتفى بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه.

وأى مصلحةٍ للعاقل الذي يدعي لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب

(1) من وحي بعض مقالات د. الطيب بو عزة على منتدى التوحيد -بتصرف-

والمعجزات لتأييد تلك الزعامة، أي مصلحة له كي ينسب بضاعته لغيره ولو انتحلها لما وجد من البشر أحداً يعارضه ويزعمها لنفسه؟

بل وشهد الرسول ﷺ على نفسه بالعجز ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: 16].⁽¹⁾

إنها قضية عادلة، قضية محايدة، قضية يقتضيها العقل والمنطق ألا وهي: التسليم بأن القرآن الكريم موحي به من عند الله سبحانه.

«إن الله جميل يحب الجمال»

الكون الأنيق Nifty universe

المطلوب من الإنسان ذلك الكائن المادي الذي يقف على قمة السلسلة الحيوانية، والذي يمثل لطفة بروتوبلازمية ثلاثية الأبعاد أن يتعامل مع جمال الفراشة كما يتعامل مع خمائرها الهضمية.

أن يتعامل مع اللوحة البديعة حسب اللون وثن القماش والتباين اللوني الذي لا يرهق العين.. لا أكثر..!!

لكن الجمال أحد شروط الإنسان التي لا تنفك عنه، ولا قيمة للعمل مهما كانت فائدته إذا كان خالياً من العنصر الجمالي..!!

وأصبح الجمال أحد شروط النظرية الفيزيائية.. والمعادلة الأكثر جمالاً وبساطة ورونقاً هي الأكثر صحة وإتقاناً.

وقد اقتنع [هايزنبرج] بمعادلات ميكانيكا الكم بسبب جمالها.. بل ويرى [بول ديراك] أن « جمال المعادلة يثبت صحة النظرية أكثر من تجريبيها..! »⁽²⁾

فالجمال هو السمة الغالبة، والتجارب قد تخطيء لكن الجمال قلماً يخطئ..!!

(1) النبأ العظيم ص 21.

(2) العلم في منظوره الجديد.. روبرت م. أغروس وجورج ن. ستانسيو.. إصدارات عالم المعرفة.. ص 45.

ولذا عندما قدّم [هيرمان فيل] herman weyl نظريته في القياس وجد أنها لا تنطبق على الجاذبية، لكن نظرًا لجمالها كان متأكدًا أن لها مكانًا في فيزياء الكون، وبالفعل بعد زمن ثبت أن نظريته متعلقة بديناميك الكم الكهربائي QED.

بل والمدهش الآن أن العلماء ينصرفون بشدة عن نظرية الأوتار الفائقة؛ لأنها تفتقد الرونق الجمالي والشكل المريح في جميع معادلاتها.. ولذا قال هايزنبرج لأينشتاين: « جمال المعادلة ليس اقتصادًا في التفكير، ولكنه شيء لصيق بطبيعة الكون نفسه»⁽¹⁾.

إن العالم الفيزيائي العبقري هو الذي يؤمن بجمال الكون ثم ينطلق في أبحاثه من خلال هذه الحقيقة.. وتاريخ الكشوف العلمية هو تاريخ الجمال... فالعالم والفنان ينشدان الهدف الجمالي نفسه مع اختلاف الأدوات.. فالكل يقتنع أن الكون جميل وقوانينه جميلة ولذا يقول [كارل فون ويزاكر] carl von weizacker «البحث عن القوانين الجميلة التي تحكم كوننا لا يُفسر سبب العثور عليها بانتظام وباستمرار»⁽²⁾.

إن الجمال جوهرى فيما دون الذرة وفوق الذرة وفي المجرّة.. ولا ينفك الجمال عن الطبيعة ولا الكون ولا معادلات الكون ولا قوانين الرياضيات التي أنشأ الله بها الكون..!!
لكن يبقى السؤال: العربات البشعة تنقل الركاب أيضًا.. فلماذا تُصر الطبيعة على فلسفة الجمال في كل شيء.. لا مبرر لهذا الأمر إلا لأن الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خالق هذا الكون البديع - جميل يحب الجمال... خالق الكون بمنظومة رياضية عالية الإتقان جميل يحب الجمال...!!

قال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»⁽³⁾.

إن متطلبات التخليق الضوئي لا تكفي لتفسير جمال أوراق الأشجار التي تُعدُّ كل منها لوحة فنية مستقلة..

جمال الذرة، جمال ندف الثلج، جمال ورقة الشجر، جمال صوت العصفور، جمال القمر.. كل كائن يحوي فلسفة جمال، سواء كان هذا الكائن جمادًا أو نباتًا أو حيوانًا..

(1) المصدر السابق..

(2) المصدر السابق..

(3) صحيح مسلم.

ولو كان الجمال صدفويًا لكان نادرًا أو غير موجود، لكنه أصل الفيزياء والكيمياء والعلوم والكائنات..

لماذا الجمال موجود بالتلسكوب وبالعين المجردة وبالميكروسكوب العادي وبالميكروسكوب الإلكتروني؟ لماذا تحرص الطبيعة على الجمال؟ لماذا نحن نستوعب الجمال وندركه؟

عندما تُشرف ورقة القيقب على السقوط يكون لونها تحفة جمالية، لونها عميق الحمرة وعروقها زرقاء وأطرافها ذهبية في لوحة فنية متكاملة مع أنها تستقط، وليس ثمة فائدة بيولوجية للأمر... ولذا يقول [ماكس بورن]: «العالم الحقيقي يؤمن بجمال الطبيعة».

ومهما كان الإنسان بسيطًا فإنه يحرص على تناسق وجمال أدواته وأن يُزرکش يد منجله.. عظمة الجمال وجلاله، وفلسفة وجوده، يحملان توقيع الخالق الجميل مُحب الجمال في كل شيء في بلورة الندى وريش الطائر وعشب الحقل وأمواج البحر... الجمال هو عنوان الحياة.. وما ظهر الفساد في البر والبحر إلا بما كسبت أيدي الناس!!!!

كيف تبرر أيها الملحد ماديا توقف الرسالات فجأة في بني إسرائيل؟

ما المبرر المادي لانقطاع النبوة فجأة في بني إسرائيل، منذ قرابة ألفين وخمسمائة عام إلى يومنا هذا؟

ما المبرر المادي لتوقف أسفار التوراة فجأة بعد سفر ملاخي النبي آخر أسفار التوراة.

سفر النبي ملاخي وهو آخر أسفار التوراة يتحدث في آخر فقرة من فقراته عن نبي عظيم قادم للأرض، وفجأة توقفت التوراة منذ قرابة 2500 عام إلى يومنا هذا ما الذي حدث؟

لماذا فجأة ولأول مرة في تاريخ بني إسرائيل تتوقف النبوات والأسفار والرسالات؟

ما المبرر المادي لهذا الحدث المعجز والمستمر إلى الآن؟

أيها الكاهن الملحد! ألا يكفي هذا الدليل المادي لإثبات أصل ظاهرة النبوة.. ألا يكفي استخدام هذا الدليل لإثبات أن النبوة ظاهرة فوق المادية فوق الفيزيائية لا تخضع لرغبات البشر أو نزوات الجموع؟

من المعلوم أنه في بني إسرائيل ما كان يهلك نبي إلا خلفه نبي، ولم يمر يوم من أيام إسرائيل إلا وفيها نبي، حتى وهم في أحلك اللحظات أثناء السبي البابلي والسبي الآشوري، وهم في قمة المجد في عهد داوود النبي، بل ربما كانت توجد مجموعة من الأنبياء في نفس الفترة كما ورد في صموئيل الأول 10:10 بل وورد في سفر الملوك الأول 18:4 أنه كان يوجد مائة نبي في نفس الفترة، فلم يمض يوم في تاريخ أمة إسرائيل إلا وفيهم نبي يسوسهم أو يقود أجنادهم أو يؤسس لهم شرائع دينهم، ولذا قال النبي ﷺ: « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ».

موسى وهارون وعزرا وداوود ويونان وأخنوخ وأرميا وحزقيال ودانيال وزكريا و... وملاخي.

وفجأة توقفت النبوة بعد ملاخي النبي

فجأة بدون سابق تمهيد

فجأة بدون سابق مبرر

فجأة بدون سبب مادي

توقفت ظاهرة النبوة فجأة في بني إسرائيل.

وإلى يومنا هذا لم يأت نبي بعد ملاخي.

ما السبب المادي لتوقف ظاهرة النبوة فجأة في بني إسرائيل؟

لو كانت النبوة ظاهرة كسبية أو مزيفة فما المانع أن تتكرر بنفس الاضطراب والاستمرار مع الحاجة الملحة لهذه الظاهرة، خاصة في النكبات المتكررة التي تعرض لها بنو إسرائيل وبالأخص مثلاً بعد هدم الهيكل الأخير عام 70 ميلادية.

لقد تنبأ ملاخي بظهور إيليا النبي من جديد - أي نبي عظيم سيجدد الشريعة والميثاق ويعيد الناس لشريعة موسى - وفجأة توقفت النبوات في بني إسرائيل وتوقفت الرسائل وتوقفت الصحف والأسفار.

وفجأة انتقلت ظاهرة النبوة من بني إسرائيل إلى أمة أخرى بعد أن تكرر تحذير الرب لبني

إسرائيل من انتقال الرسالة والخيرية من أمتهم إلى أمة أخرى، كما ورد في سفر التثنية 32: 21 وهو نفس ما أثبتته الإنجيل: «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكَوَتَ اللَّهِ يُنَزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ»⁽¹⁾.

لقد تقرر انتقال ظاهرة النبوة والخيرية من بني إسرائيل إلى أمة أخرى تعمل بأثمار الرسالة الإلهية.. أليس المسلمون الآن هم الوحيدون على وجه الأرض الذين يعملون بأثمار الرسالات السابقة؟

المسلمون الآن هم أقل شعوب العالم ارتكاباً للفاحشة.. تعاطياً للمخدرات.. أصحاب أنقى أديان التوحيد على وجه الأرض كما يقول جوستاف لوبون.

في المقابل ضواحي تل أبيب تُرتكب بها جميع أنواع المحرمات والفواحش كما يقول الصحفي الإسرائيلي أمنون روبنشاين وحفلات الشواذ تُقام سنوياً أمام حائط المبكى.

بل إن معدلات ارتكاب جريمة أكل لحم الخنزير لا تختلف في إسرائيل عن أي دولة أوروبية، مع أن أكل لحم الخنزير أسماه الرب في التوراة رجاسة الخراب - أكثر شيء نجس على وجه الأرض-، بل إن المسيح -عليه السلام- أخبر في الإنجيل أنه متى أكل اليهود لحم الخنزير في بيت المقدس سيفنى اليهود عن آخرهم: «فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ليفهم القارئ، فحينئذ يهرب الذين في اليهودية الى الجبال والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً. والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه وويل للجبالي والمرضعات في تلك الأيام»⁽²⁾.

إنها نبوءة عن نهاية اليهود قبل يوم القيامة مباشرة بمجرد إظهار رجاسة الخراب- تدينس المقدس بلحم الخنزير - وسيكون هذا على يد المسلمين إن شاء الله.

أيضا نقطة أخرى جوهرية؛ ما الفرق الآن بين عقيدة اليهود وعقيدة النصرى وعقيدة الوثنيين البدائيين؟ كلهم ابتعد عن التوحيد فصار إله اليهود إله قومي وصار إله النصرى مثلث الأقانيم لا يعرفون هل يتوجهون في صلاتهم إلا الآب أم إلى الابن المنتحر على الصليب أم إلى

(1) إنجيل متى: 21: 43.

(2) إنجيل متى: 24: 15.

الروح القدس الذي لا يعرفون ما مصدره هل جاء من الآب أم جاء من الابن أم جاء من كليهما معًا.

وابتعد الجميع عن عقيدة أنبياء العهد القديم التوحيدية الصافية النقية، تلك العقيدة التي أسس لها نوح وإبراهيم ويعقوب وإسحاق وموسى وما تلاهم من أنبياء: «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ»⁽¹⁾.

وكما جاء في الإنجيل: «فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٌ»⁽²⁾.

أو بلفظ القرآن ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: 117].

ما المبرر المادي لانقطاع النبوة المفاجئ في بني إسرائيل منذ قرابة ألفين وخمسمائة عام إلى يومنا هذا؟

انهيار الدالة الموجية

يتساءل الكاهن الملحد: هل كل هذا الكون من أجل الأرض التافهة البسيطة؟

هذه المعضلة الفلسفية جاءت إجابتها مؤخرًا على يد مدرسة كوبنهاجن - أكبر مدرسة فيزيائية في العالم - حين تحدثت تلك المدرسة عن تفسير انهيار الدالة الموجية!

في البداية؛ من منظور فيزياء الكم فإن الكوانتا المرصودة quanta - مثل فوتونات الضوء - لا تظهر كجسيم إلا حين النظر إليها، وعندما لا تنظر إليها فإنها تتصرف كموجة، وهذا ربما يفوق كل السحر الذي ينتجه البشر!

يقول الفيزيائي الشهير نك هربرت Nick Herbert: «هذا الأمر يجعل الإنسان بعض الأحيان يتخيل أن خلفه وهو يسير، يتحول العالم إلى موجه من الذوبان الكلي ويتحول العالم

(1) سفر التثنية: 4: 6.

(2) إنجيل مرقس: 12: 29.

من خلفه إلى حساء الكوانتم، لكن وما إن يلتفت خلفه ليرى الحساء إذا بالأشياء تتجمد والأشجار والأحجار وتعود لطبيعتها العادية والمألوفة.

إننا بهذا المنطق نعيش داخل أسطورة مثل أسطورة ذلك الملك الذي لم يعرف في حياته ملمس الحرير، لأنه ما إن يلمسه يتحول إلى ذهب وهذا بطريقة مماثلة يشبه أن الانسان لن يستطيع أن يختبر حقيقة جسيم الضوء لأن كل شيء نلمسه يتحول إلى مادة»⁽¹⁾.

ولذا يرى هايزنبرج أن الملاحظة تؤثر على الظاهرة فالظاهرة والملاحظة غير منفصلتين إحداهما عن الأخرى.

وكانت هذه الرؤية صادمة لأحد عباقرة ميكانيك الكم وهو شرودينجر ولذا صاح ذات مرة بيأس تام قائلاً «إذا كنا سوف نلتزم بتلك القفزات الفيزيائية اللعينة إذن فأنا نادم على أنه كان لي علاقة بنظرية الكم». فأجابه بور قائلاً «لكنك قد فعلت الكثير للنظرية»⁽²⁾.

ونتيجةً لذلك طرح شرودينجر لغزه الشهير بقطة شرودينجر، حيث توضع قطة داخل صندوق ويتم توجيه سيل من الإلكترونات إلى قنينة غاز سام، وطبقاً لمدرسة كوبنهاجن فإن سيل الإلكترونات لن يتحول إلى حقيقة تعمل حتى ينظر إليها مراقب، وهنا فقط يقرر الإلكترون أن يتحول إلى جسيم ويكسر القنينة ويقتل القطة، أما في غياب المراقب فلا يُتصور إلا أن القطة حية وميتة في آن واحد!!

هذه الرؤية المخيفة للعالم من حولنا التي تقرها مدرسة كوبنهاجن، تقرر أن العالم لا يتحول إلى حقيقة موجودة إلا إذا حضر في أذهاننا ووعينا، ويتخلى عن وجوده إذا غبنا عنه، وبالتالي فلا بد أن يكون هناك كائن أزلي أحضر الكون بهذه الصورة إلى أذهاننا، وجعل الكون شيئاً ظاهرياً لا قيمة حقيقية له في ذاته، وإنما هو مُسخر كلياً لوجودنا ووعينا بوجوده، ونصير نحن مركز هذا الوجود فعلياً، ومركز تسخيرهِ وقيمتِهِ، ولا تصبح له قيمة في ذاته أو معنى في ذاته، وبذلك تنهار الفلسفة المادية، وتتداعى كل نظيراتها الفلسفية، ولكن قليل من يتدبر

(1) Nick Herbert, «How Large is Starlight? A Brief Look at Quantum Reality,» Revision 10, no. 1 (Summer 1987), pp. 31-35.

(2) الاحتمالات المثيرة للنظرية الكمية تأليف:- ليونيد بونوماريف ص 228.

وقليل من يدرك أنّ الحياة الدنيا مجرد وجودٍ غروري ظاهري لا أكثر ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمْ تَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [الجاثية: 35].

فالحياة الدنيا مجرد وجودٍ ظاهري قشري لا قيمة له في حقيقته ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴾ [الروم: 7].

رحلة البروتين معجزة الهيئة

الآن ننتقل إلى قضية علمية عجيبة وهي رحلة البروتين داخل الخلية:

في البداية؛ البروتين هو مُركب وظيفي بيولوجي وحدة بنائه الأساسية هي الأحماض الأمينية، وهو يتكون من سلسلة طويلة جدًا من هذه الأحماض الأمينية، وهناك أكثر من 200 حمض أميني في الطبيعة، لكن لا يوجد في سيتوبلازم الخلية إلا 20 منها - كثير من الحموض الأمينية غير المُستخدمة في تخليق البروتين تُستخدم في عمليات الأيض الغذائي -.

والأحماض الأمينية في الطبيعة آمنة وأيسر كأنهما مرآة، وعلى الرغم من التماثل التام ونفس معدل تواجد الأمين هو تواجد الأيسر وكلاهما يدخل في تفاعل كيميائي بامتياز، إلا أن اختيار البروتين يكون أيسر فقط؛ لأنه الاختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي، بينما الأمين لن يسمح بذلك ولذا فجميع البروتينات يسارية على الإطلاق - حتى أدنى الجراثيم -.

ويوجد في أبسط بكتريا على الأرض ألفا نوع من البروتينات على الأقل..

ولابد أن ترتبط الحموض الأمينية بروابط صحيحة، ولابد من حساب زوايا الربط وأنواع الذرات وعددها، وهذه تسمى الروابط الببتيدية ذات القيمة الهامة في فاعلية البروتين فيما بعد. لو لم تظهر روابط ببتيدية وظهرت مكانها روابط تساهمية مثلاً أو روابط هيدروجينية فحسب - وكلها توجد في الطبيعة - فإن البروتين سيتحول إلى سلسلة غير مؤثرة ولا عمل لها.

الآن توجد 3 معضلات أمام الصدفة الداروينية البلهاء:

(1) اختيار 20 حمض أميني فقط من أكثر من 200 حمض موجودة في الطبيعة.

(2) الأحماض الأمينية تكون يسارية left-handed.

(3) أن تدخل الأحماض الأمينية في السلسلة المطلوبة، لإنتاج البروتين بنفس الترتيب المثالي المطلوب، مثلاً بروتين الجلوبيين داخل الهيموجلوبين يتكون من 600 حمض أميني لو اختل حمض أميني واحد مكان واحد فهذا يعني مهمة قاتلة وهي عدم نقل الأوكسجين، وهذا مرض لا شفاء له لمجرد اختيار حمض أميني مكان حمض في سلسلة من 600 حمض أميني.

هذه معضلات ثلاث تجعل من تخليق أبسط بروتين بالصدفة مستحيلًا.

فهذه اختيارات واعية إما أن تنشأ فجأة أو لا تنشأ، لا يوجد تدرج في الأمر ولا يحتمل التدرج... فسبحان الخالق المدبر ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: 5].

ويوجد داخل جسم الإنسان ملايين البروتينات لكل بروتين وظيفة محددة للغاية وشكل محدد للغاية ونسق محدد للغاية.. فهرمون الإنسولين بروتين وسم الثعبان بروتين وإنزيمات الهضم بروتينات والأجسام الدفاعية بروتينات والكولاجين بروتين.. وأيضا وظائف الخلية تقوم بها بروتينات غاية في التخصصية وأقل تغيير في الشكل أو النسق يؤدي لنتائج كارثية.

بروتين الكولاجين يحتوي على 1055 حمض أميني وهو يختار حمض الجليسين الأميني في سلسلته الطويلة كثيرًا؛ لأن هذا الحمض يجعل التواء الكولاجين صلب وبالتالي يجعله يؤدي الوظيفة المطلوبة وهي المقاومة في الأنسجة والأربطة، فهناك وعي وتخطيط في الاختيار.

يحمل الهيموجلوبين مثلاً يومياً 600 لتر أوكسجين إلى 100 تريليون خلية، وهو بروتين عملاق لذا تتخلص الكرات الحمراء التي تحملها من النواة والسيتوبلازم؛ لأن وظيفتها حمل الأوكسجين لا أكثر، ويتم التنظيف عبر كرات الدم البيضاء.. أيضاً يتخذ الهيموجلوبين الشكل المسموح به لحمل الأوكسجين لا أكثر فهو مُعَدُّ بعناية لغاية وهدف لا يتخلف عنه.

طلب إنتاج بروتين:

جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي من البروتين توجد مشفرة في نواة الخلية داخل شريط الـ DNA بنظام التشفير الرباعي CGTA هذا التشفير يملأ 1000 مجلد بواقع 500

صفحة لكل مجلد - 3 مليار حرف - كلها موجودة في مساحة 1 على 1000 من المليمتر مُلتف على نفسه 100 ألف لفة.

التشفير الرباعي:

المعلومات الرقمية على نظام التشفير في شريط DNA مُشفرة بنظام التشفير الرباعي CGTA التشفير الرباعي الموجود في شريط الـ DNA والذي يحمل كل المعلومات الخاصة بالبروتينات التي سيحتاجها الكائن الحي طيلة عمره، تُمثل لُغزًا من أكبر الألغاز في الوجود، وهنا يتبادر اللغز العجيب من الذي قام بالتشفير أولاً ثم قام بفك التشفير بعد ذلك؟

فالتشفير عملية في غاية الذكاء والإعداد للمستقبل والضبط بعناية، وتخزين المعلومات ونقلها وحفظها واستخدامها بعد ذلك عند الحاجة..

المهم أن بداية رحلة تخليق البروتين تكون كالتالي:

يصل إنزيم بوليمرز إلى نواة الخلية حاملاً طلب النسخ على RNA الرسول ويجد الحروف المطلوبة داخل شريط الـ DNA.

طريقة العثور إنزيم بوليمرز على المعلومات المطلوبة لتصنيع بروتين واحد، هي مثل محاولة العثور على بضعة سطور في موسوعة مكونة من 1000 مجلد، ويفتح إنزيم بوليمرز شريط DNA كالموسوعة ليُخرج البيانات، وهذا الفتح السريع ربما يؤدي إلى الحرق لكن الأمر مُعد بعناية والتنظيف والتبريد أولاً بأول لا يتوقف.. ويقوم الإنزيم بفتح الجزء اللولبي من الـ DNA ويبقيه مفتوحاً حتى يتم استخراج كافة المعلومات - المُشفرة - لتصنيع البروتين ولا يتم فتح أي أجزاء أخرى لا حاجة لها... وأي قفزة خاطئة أثناء النسخ أترك حرف أو زيادة حرف قد تسبب نشأة بروتين مشوه مما يعني الإصابة بالسرطان؛ فمثلاً الجين المسئول عن سرطان الثدي يوجد به 8 آلاف قاعدة نيتروجينية وفي واحدة منها توجد G بدلا من T وهنا يحدث السرطان بنسبة 85%.. لأن البروتين المنتج مشوه.

وأحد أشهر أسباب التشوه تكمن في التعرض للإشعاع والبنزين والمواد الكيماوية والمسرطنة.

بعد الحصول على الشفرة من الـ DNA، فإن المسافة التي يقطعها RNA الرسول إلى الريبوزوم - مكان تصنيع البروتين - في أثناء عودته هي مسافة طويلة نسبياً ويكون عُرضة للتشوه لذا يكون مُحاطاً دائماً بإنزيما الحماية والأمان.

بمجرد وصول الشفرة - شفرة تصنيع البروتين إلى الريبوزوم - مصنع البروتين - تظهر مشكلة جوهرية فلغة المعلومة في الـ DNA هي لغة الكودون المُكون من 3 حروف - قواعد نيتروجينية - في حين لغة الحمض الأميني هي لغة من 20 حرف 20 - نوع حمض أميني - ولأجل ترجمة لغة الكودون إلى لغة الحمض الأميني فإنه يوجد في الريبوزوم قرابة 100 جزيء يختص بالترجمة.

بعد وصول النسخة إلى الريبوزوم - المصنع - يقوم RNA الناقل بنقل الأحماض الأمينية من السيتوسول إلى الريبوزوم لتبدأ عملية التصنيع طبقاً للشفرة الموجودة.

ستتحول الآن هذه الشفرة إلى كائن ثلاثي الأبعاد يقوم بوظيفة يُسمى البروتين.

إذن داخل الريبوزوم - مصنع تخليق البروتين - تنتقل الأحماض الأمينية الموجودة في السيتوسول إلى الريبوزوم عن طريق RNA الناقل.

الآن يُشترط للبدء في التصنيع فيتامين سي وبعد الإنزيما المتخصصة... أي عبث أو خلل أو قصور في هذه الإنزيما يعني خلل للبروتين، وبالتالي خلل للجسم كله، إنها عملية معقدة غير قابلة للاختزال ولا للتطور إما تظهر فجأة أو لا تظهر، وبعد طباعة الكود وتخليق البروتين يصبح بلا قيمة ولا هدف لأنه سلسلة طويلة غير مبرمجة للقيام بأي عمل.

ليتحول البروتين من مجرد سلسلة طويلة من الأحماض الأمينية إلى بروتين وظيفي مُبرمج للقيام بعمل لابد أن يدخل مرحلة الطي والانشاء والانحناء؛ ليأخذ الشكل المناسب الخاص به، وهنا ندخل ضرب لا نهائي من الاحتمالات يزيد على مليارات الاحتمالات، فهو يمكن أن يُنتج مليارات الأشكال والمطلوب شكل واحد فقط، وصورة ثلاثية الأبعاد معينة أي شكل آخر غير مقبول، وفي اللحظة التي يصل فيها للشكل المطلوب نستطيع أن نقول إننا حصلنا على البروتين الوظيفي.

وشكل البروتين أمر قطعي في وظيفته، مثلاً لابد أن يلتف بروتين الميوسين إلى شكل

يشبه سلك سماعة الهاتف؛ لأنه سيغذي الشعر والعضلات، وبالتالي سيتعرض للشد والجذب والتفكك ثم الالتحام... وهذه العلاقة التي تُنتج بروتيناً مُبرمجاً تحتاج إلى وقفة أخرى.

بروتين الفيبرين في شبكة العنكبوت يملك خاصية الالتفاف مع شدة القوة في نفس الوقت، وإلا لانقرض العنكبوت.

الانحناء بشكل خاطئ في جهة واحدة أو في حمض أميني واحد يؤدي إلى بروتين غير فعال.

كل هذه الوظائف والمهام والرسائل وعملية تخليق البروتين كاملة لا تتجاوز ثواني معدودة داخل الخلية وخمسين خلية لن تشغل النقطة الصغيرة في نهاية الجملة.

إذن لإنتاج بروتين فعال فإننا بحاجة إلى:

1- 300 جزيء ضخيم يكون بينهم على الأقل 80 ريبوسوم

2- 20 جزيء لإحضار الأحماض الأمينية

3- العشرات من الإنزيمات

4- 100 إنزيم للعملية النهائية - التشطيب-

5- 40 جزيء RNA - مهندسين -.

الآن ما هي احتمالية تكوين بروتين مثل بروتين الكولاجين بالصدفة؟

يوجد في الطبيعة أكثر من 200 حمض أميني مُختلف ويوجد في سيتوبلازم الخلية 20 حمض أميني والمطلوب من RNA الناقل أن ينقل لنا في كل مرة حمض أميني يتوافق مع الترتيب الخاص ببروتين كبروتين الكولاجين، وبما أن سلسلة بروتين الكولاجين تتكون من 1055 حمض أميني إذن الاحتمالية لتخليق بروتين الكولاجين بالصدفة تصبح 10 أس 527 والأمر لن يتوقف عند ذلك، فلا بد أن تكون السلسلة عسراء - فالأحماض الأمينية في الطبيعة أيمن وأيسر وقلنا أن الإختيار لا يقع إلا على الأيسر فقط؛ لأنه الإختيار الوحيد الذي يسمح بالشكل الثلاثي الأبعاد للبروتين بعد ذلك في مرحلة الطي بينما الأيمن لن يسمح بذلك - وهنا يصبح 10 أس 527 مضروباً

في 2 ليصبح 10 أس 1054 وهذا هو الجنون الرياضي.. فاحتمالية الشيء إذا زادت على 10 أس 50 فإنها تساوي الصفر رياضياً.

وهناك حساب آخر لاحتمالية تخليق بروتين بالصدفة قام به العالم دوغ اكس المحاصل على الدكتوراة في البيولوجيا الجزئية من كالتيك؛ حيث قام بحساب تكوين جزيء بروتين صغير وظيفي يتكون من 150 حمض أميني، وقال: لديك فرصة من اثنين من كل جانب ليتكون لديك الحمض الأميني المناسب، ثم بعد ارتباط حمضين أمينيين بالصدفة ويكونان هما المطلوبين في هذا المكان، يصبح لديك فرصة من أربعة لارتباط حمضين أمينيين بالحمضين المتكونين وهكذا إلى أن يترابط 150 حمض أميني وهنا وصلنا للاحتمال 10 أس 74 فكل مرة يصبح الاحتمال مرفوعاً إلى ضعف القوة.. وبعد أن يتكون البروتين تصبح لدينا معضلة التناظر اليساري - الحمض الأميني الأيسر فقط هو المطلوب- إذن هنا سيكون الاحتمال 10 أس 164 هذا احتمال تكوين بروتين وظيفي بسيط.

هل حدث في تاريخ البشرية أن يأتي عاقل ونُطّلع على هذه المعطيات ثم نقول له الحياة نشأت بالصدفة ويصدقنا؟ لا يوجد عالم جاد يعتقد أن الحياة نشأت عن طريق الصدفة.

وللذين يجهلون لغة الرياضيات ولا يعرفون ما معنى 10 أس أي رقم..

فهذه بعض المعلومات لتوضيح الأمر:

عدد الذرات الموجودة في الكون كله 10 أس 80.

مضى على الانفجار الكبير 10 أس 16 ثانية فقط.

جميع الأحداث التي حدثت منذ بداية الكون هي 10 أس 139 فمثلاً عندما أكتب الآن

هذه الكلمات حدث بداخلي أنا وحدي آلاف الاحداث.

لذا من أجل إنتاج بروتين واحد بسيط وظيفي نحن بحاجة إلى برميل يوجد بداخله خليط من الأحماض الأمينية، بشرط أن يكون حجم هذا البرميل مليارات مليارات مليارات أضعاف حجم الكون، ويأخذ فترة من الوقت مليارات مليارات مليارات أضعاف عمر الكون.... كل هذا من أجل إنتاج بروتين وظيفي بسيط.

ولو استخدمنا مليارات المليارات من الكمبيوترات بسرعات مذهلة لمحاكاة هذه الاحتمالات فلن يكفيها عمر الكون كله لإنتاج بروتين واحد بالصدفة.

هذه الاحتمالية المدهشة ولم ندخل بعد في باب احتمالات طي البروتين وهو الباب الأوسع المهم بعد إنتاج البروتين يتم نقله إلى مكان عمله ليأخذ دوره ووظيفته.. عملية النقل ووسيلة النقل، ومعرفة كل بروتين ووظيفته ومساندته بالإنزيمات في رحلته كل هذه الغاز لم تتكشف للعلم بعد.

لذا يشعر الإنسان بالحياء من ارتكاب ذنب استخدم فيه آلاف البروتينات خلقت بمنتهى الحكمة والإتقان وبديع الصنعة، فكل نظرة وكل همسة وكل حركة تستغرق بروتينات مسيرة داخل جسدك لتنفيذ أوامرك، هذه البروتينات جاءت بنظام تشفير رباعي غاية في الإتقان والحفظ والأمانة في النقل، فالبروتين يلزم الإنسان بالخضوع جبراً للخالق القاهر القادر العظيم في خلقته وصنعتة ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

إن عملية عملاقة كتخليق البروتين تجري كل لحظة في كل خلية، بدون صخب ولا ضوضاء ولا نفايات وبمنتهى الدقة والعناية والحسابات المستقبلية وبطريقة معقدة لا تقبل الاختزال، تجعل الإنسان ينحني أمام جلال روعة صنع الله وبديع خلقه.

أي نقص أو تقصير أو خلل في طريقة تصنيع البروتين يعني عدم الوجود، فالضبط بعناية والحساب للمستقبل والخلق المباشر أعجوبة من أعاجيب الخلق وحسن الضبط ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7].

ولذا تعترف مجلة الـ AMERICAN SCIENTIST العلمية المتخصصة بأن الجواب عن طريقة تخليق البروتين يجب أن يكون خارج آراء داروين؛ لأن الوضع المذكور يشكل دليلاً قوياً يستلزم خلقاً مباشراً⁽¹⁾.

يقول الكيميائي الشهير [ميشيل بيتمان]: كما هو معروف أن عدد الذرات في الكون هو 10 أس 80 وقد مضى منذ الانفجار العظيم 10 أس 17 ثانية واستمرار الحياة يحتاج إلى نحو

(1) AMERICAN SCIENTIST 59 p.298.

2000 من الإنزيمات الأساسية، إذن عدد الاحتمالات لتكوين إنزيم واحد فقط أكبر من 10 أس 20 أما احتمال تكوينهم جميعاً فيصبح 10 أس 4000 وهذا مستحيل الحدوث حتى لو كان الكون كله سائلاً عضوياً⁽¹⁾.

«الله له كل صفات الكمال»

روعة الخلق الإلهي في لحظة البدء

إن قوانين الفيزياء التي ظهرت في أول ثانية من نشأة الكون هي نفسها التي تحكم عالمنا اليوم، هذه القوانين تم ضبطها بعناية Fine Tuned، وإلا فإن أي خلل أو أي تغيير في أي من الثوابت الكونية سيفرز كوناً مُجهضاً وسيظل بيضة كونية Cosmic egg.

يقول علماء الفيزياء أنه عند اللحظة 10 أس - 43 من الثانية وهي لحظة لا يمكن استيعابها لقصرها الشديد ظهر كل شيء فجأة وظهر الكون، ففي جزء من مليون من مليون من مليون من مليون من الثانية ظهر الكون من أصغر من ذرة إلى أكبر من مجرة.. كما يقول [اليكس فليينكو] عالم الفيزياء الفلكية جامعة كاليفورنيا.

ففي اللحظة صفر عندما لم تكن هناك مادة أو زمن، نشأ الكون ووحدات بنائه في إطار مُخطط عظيم، وفي أقل من ثانية كان حجم الكون أكبر من مجرة درب التبانة بملايين المرات. لقد ظهرت كل الطاقة فجأة وتكوّن النظام المثالي والقوانين الثابتة والثوابت الكونية المدهشة في لحظة الخلق العظمى والإبداع الأدهش على الإطلاق.

(1) Micheal Ptman Adam and evolution 1984 p.148.

مصادر المقال:

- 1- معجزة البروتين.. المؤلف: هارون يحيى.
- 2- <http://en.wikipedia.org/wiki/Protein>
- 3- <http://en.wikipedia.org/wiki/Collagen>
- 4- http://en.wikipedia.org/wiki/Protein_biosynthesis
- 5- موسوعة الرد على الملحدين العرب.- لنفس المؤلف.-
- 6- [/http://www.proteinatlas.org](http://www.proteinatlas.org)
- 7- <http://www.cdc.gov/nutrition/everyone/basics/protein.html>

روعة الخلق الإلهي في جسدك:

أيضاً بنيتك الجسدية بثوابتها الهرمونية الغاية في الضبط دليل رعاية إلهية!

مثلاً هرمون الألدوستيرون الذي يغذي جميع البشر على وجه الأرض يملاً هذا الهرمون ملعقة شاي فقط لا غير.. تحيل تقسيم ملعقة شاي على جميع سكان الأرض وأي زيادة في النسبة عن 2 جزء في المليون - النسبة هي واحد جزء في المليون - تعتبر زيادة قاتلة..!!

كذلك هرمون الأدرينالين الذي يضبط الإنفعال ومواجهة المخاطر، يوجد بنسبة مقاربة، ولو زادت نسبته قليلاً لتوترت عضلة القلب وتحولت حياة الإنسان إلى جحيم.

هذه فقط شذرات تُغني عن الطرح الطويل وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد العظيم الخالق المبدع - وقد خصصنا الفصل القادم من هذا الكتاب للحديث فقط عن روعة الخلق.. فالله لا يُعرف وجود شيء بغيره.. ثم يتساءل ملحد أين الله؟

هل مسألة وجود الله محل نزاع؟ هل الموجد محل نزاع أم الموجود؟ هل هناك عاقل يتردد في المسبب؟، هذه بدهة عقلية مركوزة في الأذهان فهي أعلى من القانون وعليها تقوم علوم الدنيا ومقاصد الغايات.. فما بالننا وقد ثبت التدخل الإلهي والعناية الإلهية في كل شيء بدءاً من الذرة وحركتها والإلكترون ومداره والكون وأفلاكه والإنسان وخصائصه والخلية وتكوينها والبروتين وتصنيعه والحياة والوعي بها..!!

إن البشرية كلها عبر الزمان وعبر المكان لم توجد بها قرية ولا نجع بغير إيمان بالله ولا يُعرف تاريخ الإنسان إلا في إطار الدين والإيمان بوجود الله، ولم توضع فلسفات العالم ومحارات عقول العالم إلا من أجل التأسيس للدين... والمنطق منذ أرسطو إلى يومنا هذا يدور في إطار وجود الله كفضية بديهية.. يقول المؤرخ الإغريقي [بلوتارك]: «لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد». وجود الله قضية أزلية محسومة.. وصراع الأنبياء مع أقوامهم لم يكن حول وجود الله وإنما حول عبادة الله...، وإذا كانت [كارين أرمسترونج] التي كانت تُعد لفترة مضت من أكبر مُنظري الإلحاد في العالم تؤسس الآن لصحة الأسطورة في أصلها، فإنه ما من أسطورة سادت أمة من الأمم إلا وقالها الأصلي صحيح.

الله الذي لا يُعرف وجود شيء بغيره كما يقول فيلسوف الفيزياء اللاديني [جون ويلر]:
« الحقائق لا توجد حقائق قبل أن نكتشفها.. فكل شيء خلفك سراب وهم ولا يتحول لحقيقة
إلا بعد الرصد ولولا رعاية خاصة ورصد من خارج حدود الزمكان كل فيمتو ثانية لما كان
هناك شيء».

إن الكون خيرٌ شاهدٍ كلَّ يوم على عظيم الخلق وروعة الصنع وملكوت يسبح بحمد الله
كل أن... ولا يشذ عن هذا التسبيح إلا كافري الإنس والجن... فالكافر هو شذوذ في ملكوت
يسبح بحمد الله ويخضع له ولا يتمرد.

والفرق بين الإسلام وبقية أديان الأرض أن الإسلام يقرر العبودية لله الواحد، بينما البقية
تقرر إشراك آلهة صغرى في الموضوع، وصراع الأنبياء مع أقوامهم لم يكن حول وجود الله
وإنما حول عبادة الله...

إذا ظمأنا للماء فهذا أكبر دليل على وجود الماء، وكلنا نظماً للعدل والحق والخير، فهذا يعني
وجود العادل الحق كلي الخير.....

إن قلب كلِّ ملحدٍ نابضٌ بوجود الله رغماً عنه.. ولذا يقول الملحد زياد الرحباني: «أمريكا
مع السنّة وروسيا مع الشيعة، أما الملحدون فلهم الله!»!

وفولتير أشهر ملحد عبر كل العصور في أواخر حياته قام ببناء كنيسة بالقرب من قصره
نقش على مدخلها «يارب اذكر عبدك فولتير». إنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على
هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين.

الفصل السادس

أُسماء الله الحسنى تتجلى في عصر العلم

الفصل السادس

أُسماءُ الله الحسنى تتجلى في عصر العلم

مقدمة

واقع الأمر أننا جميعاً نؤمن بقانونية الكون وباستقرار سننه، وإلا ما قام علم ولا نشأت معرفة ولا ظهر قانون فيزيائي ولا صحّت معادلة، وما عرفنا شيئاً عن الرياضيات التجريدية! فالعقل يوجب بفطرة مسبقة ذاتية مستقلة داخله A-Periori وجود النظام والقانونية في الكون، وهذا ما يُكسب العلم معناه، ويُبرر الكد والجهد المبذولين فيه!

ويقرر العقل وجود السببية في كل ظاهرة استقرائية متكررة، - مثل غليان الماء عند درجة معينة- ويُرجع ذلك إلى قانون، والقانون يعني عجز الماء عن الغليان بذاته بلا قانون، فالقانون والسببية يعينان العجز والحاجة، وهذه ضرورة عقلية تقتضي إثبات علة أولى - خالق- خرجت منها سائر العلل والأسباب في الكون ولا تحتاج إلى علة أو سبب، ومجرد افتراض العبثية أو الفوضوية أو حاجة تلك العلة الأولى لعلة أخرى هو تشكيك في كل معطياتنا العلمية وفي صحة القانون في حد ذاته، وغياب النظام الكوني، وتشكيك في العقل ذاته!

فالسببية مرادفة للعجز والفقر، ولما كان كل شيء تحكمه السببية كان معنى هذا عجز كل هذه المخلوقات وفقرها، ودلالاتها على الواحد القهار!

ولذا فقانونية الكون،- السببية- هي أحد أهم مظاهر فقر كل شيء، وعجزه، وغنى الله عزَّوجلَّ وحده، ولذا فهو الصمد الذي يستمد منه الكون قانونيته وسببته، وهو القيوم بذاته المقيم لغيره ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: 255].

وفي هذا الفصل تتفتح أعيننا على شيء من نعم الله التي لا تُحصى..

نظرة بيولوجية قاصرة على اسم الله المقيت

من أسماء الله الحسنی، (المقيت)، وهو الاسم المذكور في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ [النساء: 85].

والمقيت هو الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات وأوصل إلى كل موجود رزقه بحكمته فهو الحافظ للشيء والمقدر له والحفيظ عليه.⁽¹⁾

وقد تأسس الكون كله وفق هذا الاسم الجليل من أسماء الله الحسنی، فإذا سألنا عن الشواهد عليه، فستجيبنا الطبيعة من خلال الكثير من الشواهد، وأحد أمثلة تلك الشواهد نظام المناعة والأجسام الدفاعية وهو نظام مجهري عجيب يُحصن أجسادنا ويدافع عنها كل لحظة.. فمثلاً عند دخول مادة غريبة أصغر من جزء من مليون جزء من المليمتر مثل الفيروس، فإنها كافية لتدمير جميع الأنظمة.. لذا خلق الله جيوشاً دفاعية وجعل خمس بروتينات البلازما في دم الإنسان خلايا دفاعية⁽²⁾.

وفي الوقت الذي تتكبد فيه ميزانية الدول أكثر من رُبع دخلها من أجل الإنفاق على التجهيزات الدفاعية، نكتشف أن الله المقيت أنعم علينا بتجهيزات دفاعية هي الأقل كلفة - إنفاق طاقة الجسم على الأجسام الدفاعية مقارنةً بباقي الوظائف الحيوية -.. والجلد أثقل الأعضاء وزناً، وأكبرها حجماً، وعلى بُعد أقل من عُشر مليمتر واحد من عمقه تقبع أفضل أنظمة التعقيم في العالم وأكفؤها أداءً، وأدقها هدفاً، وأقلها كلفةً، وأصغرها حجماً، وأعلاها تخصصاً، وأقلها مخلفات، في عالم كامل يموج بالحيوية، ومع ذلك فهو خالٍ تماماً من الضوضاء!

بل إن أكبر مُحْتَبَرَاتِ العالم تحاول جاهدةً توفير استغناء وقتي عن هذه الأنظمة في بعض العمليات الكبرى، وتعجز عن ذلك تماماً فتوفر بديلاً لذلك كبسولة تعقيم عملاقة، بمصاريف باهظة، ومخلفات كثيرة، يوضع داخلها المريض لوقت قصير جداً، كنظام حجرٍ صخّي، ليس لمقاومة الميكروبات، فهذا لا طاقة لها به، ولكن فقط لمنع دخول تلك الميكروبات، فهذه الكبسولات للتعقيم لا أكثر⁽³⁾.

(1) راجع في بيان دلالات هذا الاسم تفسير ابن جرير سورة النساء آية 85.

(2) <http://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK26884>.

(3) Davidson's principles and practice of medicine..immunology chapter.

لكن كيف يتسنى للخلايا الدفاعية antibodies أن تظهر وتستعد لمعركة لا تعرف متى تبدأ، ولا كيف تبدأ، ولا لماذا تبدأ؟ ولا علم لها بكيفية تسليح الخصم ولا نوعيته، ومع كل ذلك تظل هذه الخلايا الدفاعية كامنة غير نشطة بانتظار الغازي، أيًا كان تسليحه أو حجمه، فهي لن تفر من المعركة مهما كانت الظروف.

إن عالم الحروب الذي نعرفه يقتضي إعدادات خاصة، وساحات حرب، وأسلحة موجهة، ومُضادات لأسلحة الخصم يعرف شكلها وإمكاناتها مُسبقًا، ونجد مثيلاً لهذه المعارك الطاحنة التي تدور رحاها يوميًا، ونحن أرض تلك المعركة دون أن نشعر بأحداثها، أو ندرك قتلها، إنها الحرب الجرثومية أو البيولوجية التي تخوضها دفاعات الجسم ضد الجراثيم المعتدية، وبإلقاء الضوء على هذه المعارك نعرف أن هذا النظام الدفاعي المعجز الذي رَوَدَ الله به خلقه يستطيع إنتاج 100 مليون سلاح مُختلف من الأجسام المضادة، في حين أن أقوى جيوش العالم لا تمتلك ما يزيد عن عشرة أنواع من الأسلحة، وهذا النظام الدفاعي يمتلك ذاكرة عجيبة فهو يقوم بتخزين المعلومات عن الخصم لتجهيز أنظمة دفاعية جديدة في حال تكرار المعركة! ومن العجيب أن هذه الذاكرة في الأجسام الدفاعية تظل مرافقة للكائن الحي طيلة عمره⁽¹⁾.

الغز الكبير هو كيف تستعد الأجسام المناعية للمستقبل؟ إذا كانت حروب اليوم تُنفق مليارات الدولارات للتسليح وتدريب الجيوش وابتكار الخطط الحربية والاستراتيجيات القتالية، فكيف تفعلها أجسامنا المناعية منذ البدء؟ ولا إجابة إلا أن الله يُقيت لخلقها بعنايته وكلاء، فهو الحفيظ عليهم، ويُقدّر لهم ما يحفظهم ليستشعروا عظيم فضله.

والأجسام الدفاعية ليست عبثية، ولا صُدْفوية، بل إنها مُنظمة ومُقسّمة، بحيث لا يأخذ أحدها دور الآخر، فمثلاً:

الجسم الدفاعي E أو IGE هو جسم دفاعي «استخباراتي»، ويقا تل دائماً في الصفوف الأمامية، ويُرسَل لباقي الأجسام الدفاعية الرسائل بانتظام عن أية محاولات اختراق أو تهديد، ويتميّز بحساسيته البالغة⁽²⁾.

(1) <http://en.wikipedia.org/wiki/Antibody>.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Immunoglobulin_E.

أيضاً هناك الجسم الدفاعي A أو IGA، وهو «مارينز الأجسام الدفاعية» وصاحب المهام الخاصة، فينتقل من لبن الأم إلى الرضيع بكثافة في الأيام الأولى بعد الولادة، لتوفير تغطية مناعية شاملة للرضيع، ويختفي بعد أن تظهر الأجسام المناعية الخاصة بالرضيع بعد أسبوعين، وكأنه يعلم وظيفته مسبقاً ولا يتخلف عنها، بل إن هذا الجسم الدفاعي يقوم بوظائف فدائية خاصة، فينتقل إلى خارج الجسم في الدموع واللُعاب، مُعرضاً نفسه للهلاك بعد لحظات، كل هذا التفاني المطلق والتضحية العظيمة لأجل احتواء الجراثيم المنتشرة في تلك البيئات⁽¹⁾.

أما عماد الخلايا الدفاعية فهو الجسم الدفاعي G أو IGG، وهو «كتيبة المشاة والمدركات والمدفعية»، ويجري عبر الدم ليواجه الميكروبات مُقبلاً غير مُدبر، ويدخل مشيمة الأم نحو الجنين لتوفير الحماية للجنين أولاً بأول⁽²⁾.

كل هذه الأجسام المناعية مصدرها تجاوير العظام، وتخرج منها لثمّاس مهامها بمنتهى التخصصية، والكفاءة، والقصد والغاية.

وخارج تلك الصفوف الدفاعية، تقف قشرة الجلد الخارجية، والمعروفة عند علماء الطب بالكيراتين keratin، ويعمل الكيراتين كحائط صد يبلغ سُمكه عُشر المليمتر، وهو بروتين ليفي يدخل عملية انتحار جماعي، ويفقد الحياة يُشكل الأظافر، والشعر، والقشرة الخارجية للجلد، ويتجدد كل فترة قصيرة... ويبدأ الكيراتين القديم بالتساقط من الجسم مع الأجسام الغريبة الغازية، ويقوم بمهمته تلك على أكمل وجه بمنتهى التسليم والكفاءة⁽³⁾.

هذه الأنظمة الدفاعية على قدر من التعقيد لا يسمح بالاختزال أو التدرج في الظهور، فالنظام الدفاعي في الأصل بروتين يخرج من نواة الخلية بانتظام عبر أنظمة تشفير غاية في التعقيد، حيث توجد شفرة تصنيعه داخل نواة الخلية الحية، وبعد عملية التصنيع يدخل الجسم الدفاعي في عمليات طي واثناء وانحناء ليُناسب الوظيفة المحددة التي سيقوم بها فيما بعد.. حيث يأخذ الشكل المناسب والطيّات المناسبة التي ستسمح له فيما بعد أن يُمسك الميكروبات بإحكام بين تلك الطيات ويُمارس عليها مهامه، والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة الآن: من أين

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Immunoglobulin_A.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Immunoglobulin_G.

(3) <http://www.britannica.com/EBchecked/topic/315321/keratin>.

لذلك البروتين الذي يتكون من ذراتٍ غير عاقلةٍ من الكربون والأوكسجين والنيتروجين، من أين له أن يُحدد وظيفة المستقبل التي سيقوم بها، ويُحدد مؤهلات تلك الوظيفة، ويُحدد الشكل المطلوب منه بالضبط، كي يقوم بوظيفته على أكمل وجه؟

ولذا يتساءل عالم الكيمياء [جيمس تاور]: هل يوجد للصدفة مكان في أنظمة بالغة التعقيد غير قابلة للاختزال أو التدرج على ذلك المستوى الجزيئي؟⁽¹⁾.

والسؤال الأكثر غموضاً: كيف تم تشفير المعلومات المطلوبة لبروتين الجسم الدفاعي داخل نواة الخلية الحية قبل أن يحدث فك التشفير في مرحلة لاحقة؟

إنها عملية خلق مباشر ومُنظَّم غاية في الإتقان والروعة، تُلقِي بظلالها على قول أحكم الحاكمين: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

ولا يملك الإنسان أمام تلك المنظومة الدفاعية العملاقة إلا التسليم لله، والشكر على عظيم نعمائه، فكل هذا التخطيط صممه الله وحده؛ لأنه يُقيت لعباده ما يُصلحهم وينفعهم: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا﴾ [النساء: 85].

رؤية فيزيائية قاصرة لعلو الله وجبروته في ومضت من خلقه

علّمنا الفيزياء أن للقوى الأساسية الأربع التي تحكم كوننا بدايةً مُحددة، وهذه القوى هي: القوى الجاذبية Gravitational Force، والقوى الكهرومغناطيسية Electromagnetic Force، والقوى النووية القوية Strong nuclear Force، والقوى النووية الضعيفة Weak nuclear Force. وقد ظهرت هذه القوى مع أول الهيجزات Higgs - الجسيمات الأولية - في أول ثانية من الانفجار الكبير⁽²⁾.

تختلف هذه القوى فيما بينها اختلافاً جذرياً في قوتها، وفي عملها، ومجال تأثيرها، فتعمل القوى النووية القوية والقوى النووية الضعيفة في مجال الجسيمات تحت الذرية، وتعمل القوى الجاذبية والقوى الكهرومغناطيسية في مجال الذرات نفسها⁽³⁾.

(1) Chemist J. Tour Challenges Darwinism.. video source.

(2) <http://www.britannica.com/EBchecked/topic/222177/fundamental-interaction>.

(3) <http://www.worldscientific.com/worldscibooks/10.1142/8647>.

وهناك تناسب بالغ الدقة بين هذه القوى وإلا لتناثرت مادة الكون فور تكونها، أو لانكشيت على نفسها للأبد، وتختلف هذه القوى فيما بينها من حيث الشدة اختلافًا شاسعًا، فإن النسبة بين القوى الكهرومغناطيسية والجاذبية هي 1:10 أس 40، وهو فرق شاسع لا يمكن استيعابه⁽¹⁾.

كذلك الفرق بين القوى النووية القوية والقوى الجاذبية، هو أيضًا فرق مهول للغاية، ولو افترضنا أن الأرض التي تجذب الإنسان بقوى الجاذبية، قامت بجذبه بالقوى النووية القوية، فإن وزن الإنسان على الأرض سيُعادل مائة مليون نجم!⁽²⁾

لكن السؤال الآن: ما الذي يجعل القوى الجاذبية بهذا الضعف الشديد، والقوى النووية القوية بهذه القوة الشديدة؟ مع أن هذا الفارق الرهيب في موازين القوى ليس من شروط ظهور الجسيمات الأولى، ولا من مُعطياتها...!! إنه الإعداد الإلهي بالعناية الفائقة التي لا تتخلف ولا تتأخر عن مواعدها، فسُبْحان العليّ القهار.

يقول [ماكس تيجمارك] Max Tegmark عالم الكونيات الأمريكي: «إذا كانت القوى الكهرومغناطيسية أضعف مما هي عليه بـ 4% فقط، لانفجرت الشمس فور تكونها، وستصبح نفس النتيجة إذا زادت القوة الكهرومغناطيسية عما هي عليه، إن ثوابت الطبيعة تبدو مُعدّة بعناية عند مستوى ما، وإذا كانت القوى النووية الضعيفة أقل مما هي عليه الآن لن يتكون الهيدروجين، وبالتالي سيظل الكون مجرد غبار كوني، وإذا كانت أقوى قليلًا فإن جسيمات النيوتريـنو neutrinos ستعجز عن مغادرة المستعرات العملاقة - السوبرنوفا Supernova- وبالتالي لن تنتقل العناصر اللازمة للحياة خارج المستعرات العملاقة - النجوم المنفجرة-»⁽³⁾.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Strong_interaction.

(2) Lee Smolin.. The Life of the Cosmos.

(3) Max Tegmark writes:»For instance, if the electromagnetic force were weakened by a mere 4%, then the sun would immediately explode. If it were stronger, there would be fewer stable atoms. Indeed, most if not all the parameters affecting low-energy physics appear fine-tuned at some level, in the sense that changing them by modest amounts results in a qualitatively different universe.If the weak interaction were substantially weaker, there would be no hydrogen around, since it would have been converted to helium shortly after the Big Bang. If it were either much stronger or much weaker, the neutrinos from a supernova explosion would=

إنها ثوابت على أقصى حد من الإعداد بعناية، وحساب للمستقبل، والضبط السابق للأحداث...!!

وقوى الجاذبية لو كانت أقوى قليلاً مما هي عليه الآن لما استغرقت حياة الشمس التي ستتكون بعد ذلك أكثر من عشرة آلاف سنة⁽¹⁾. فهذا ضبط غير قابل للاختزال أو للتأجيل، فسبحان بديع السماوات والأرض..!!

وإذا انتقل المرء من المنظومة الذرية إلى المنظومة دون الذرية the sub_atomic particles، فسيتكشف أن كتلة الجسيمات دون الذرية تشكلت في استقلالية تامة، ومع ذلك تختلف الكتل فيها بينها اختلافاً جذرياً، بما يسمح بتشكيل أنوية الذرات، وبدون ذلك لانهار الكون على نفسه فور ظهوره، فكتلة الإلكترون Electron mass تمثل 0.2 % من كتلة النيوترون Neutron mass، وهذه هي الكتلة القياسية لتكوين الذرة⁽²⁾.

ولو كانت كتلة البروتون Proton أثقل مما هي عليه الآن بـ 0.2% فقط، فإنه سينحل إلى نيوترونات Neutrons، وبالتالي سيعجز عن الإمساك بالإلكترونات التي تدور حول النواة وسينهار النموذج الذري، ولو كانت النسبة بين كتلة البروتون إلى كتلة الإلكترون أقل قليلاً مما هي عليه الآن، فلن تظهر نجومٌ مستقرّة، ولو كانت أعلى قليلاً مما هي عليه الآن فلن تظهر الأنظمة التشفيرية في خلايا الكائنات الحية DNA - لأن الأنظمة التشفيرية تعتمد على توازن ذرات الكربون التي تُشكّل القواعد النيتروجينية في أنظمة التشفير، وذرات الكربون تحتاج إلى توازن كتلة البروتون مع كتلة الإلكترون حتى يصبح الكربون ذرة مستقرّة -.. وبالتالي لن يظهر الكائن الحي⁽³⁾.

= fail to blow away the outer parts of the star, and it is doubtful whether life-supporting heavy elements would ever be able to leave the stars where they were produced.."

source: space.mit.edu/home/tegmark/multiverse.pdf

(1) <http://home.earthlink.net/~almoritz/cosmological-arguments-god.htm>.

(2) <http://en.wikipedia.org/wiki/Electron>.

(3) Max Tegmark writes:» If the protons were 0.2% heavier, they would decay into neutrons unable to hold onto electrons, so there would be no stable atoms around. If the proton-to-electron mass ratio were much smaller, there could be no stable stars, and if it were much larger, there could be no ordered structures like crystals and DNA molecules".

source: space.mit.edu/home/tegmark/multiverse.pdf

وعندما تلتحم ذرتان من الهيدروجين فإن 0.7 % من كتلة الهيدروجين تتحول إلى طاقة، لو كانت هذه الكتلة هي 0.6 % بدلا من 0.7 %، فإن البروتون لن يلتحم بالنيوترون، ولظل الكون مجرد هيدروجين فحسب، ولما ظهرت باقي العناصر، ولو كانت الكتلة المتحوّلة إلى طاقة هي 0.8 % بدلا من 0.7 %، لأصبح الالتحام سريعا للغاية، الأمر الذي سيؤدي إلى اختفاء الهيدروجين فوراً من الكون، فتستحيل معه الحياة، فالرقم يلزم أن يكون بين 0.6 % و0.8% (1).

ولو تدبّر الإنسان هذه المعاني، وهذه التوازنات الدقيقة في عالم الكون، وفي العالم الذري، وفيما دون الذرة، سيُدرك بجلاء معنى اسم الله العلي الجبار، الذي جَبَر مخلوقاته وأخضعها لإرادته ومشيتته، وأخرجها من بين احتمالات لا نهائية، إلى حتمية واحدة مثالية Fine-tuning of universe، حتمية لا تحيد عنها ولا تطيش.. بعد أن أخرجها من الإمكان إلى ما كان!.

واسم الله الجبار عائد على اسمه العلي، فهو جَبَر مخلوقاته بعلوه وعظيم قدرته، سبحانه العلي القدير: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: 23].

﴿غِبَارِ الطَّلَعِ﴾ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 99].

انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ. إن في ذلكم - أيها الناس - لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يصدقون به تعالى ويعملون بشرعه. (2).

فقد استخدم تعالى حُجَّة الخلق وبديع الصُّنع لاتباع الشرع.

(1) Martin Rees,.. Just Six Numbers.

(2) التفسير الميسر.

والذي يتدبر أحوال المخلوقات، ويتفكر في روعة الموجودات يحصل له من الوقار واليقين والإيمان بالحى القيوم الذي يحفظ لخلقه قوتهم ومعاشهم، ويُدبر لهم بحكمته أرزاقهم فيُخبت قلبه وتخضع جوانحه ويُسلم لله بالخلق والأمر.. ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54].

غبار الطلع أو حبوب اللقاح؛ هو لقاح الأزهار يعلق في الشعر الذي في جسم النحلة وينتقل عبر الهواء والرياح، ويعلق في الحشرات والحيوانات المختلفة حتى يصل إلى هدفه ويقوم بتلقيح الأزهار، يبلغ في أكبر أحجامه خمس مليمتر، وهو يحمل تعبئة كاملة للجينات بشكل مثالي وهو مُحصن بقوة لحماية هذه الجينات، ومُحاط بأقوى مادة عضوية طبيعية على الإطلاق وهي الأكسين وهذه المادة تتحمل الحرارة والضغط والسفر البعيد.

لكن كيف يحمل الهواء مادة صلبة بهذا الشكل ويسافر بها بعيداً لتصل إلى الأنابيب الدقيقة في أنثى النبات التي تقطن في أماكن مختلفة نائية ليحدث التلقيح؟

هذا السؤال يمثل أحد الألغاز التي ما زالت محيرة لعلماء النبات، ولا تكمن الإجابة عليه في ضخ كميات كبيرة من غبار الطلع؛ لأنها مهما كثرت ستظل خواصها تمنعها من الطيران فوق النبات!

يحاول العلم تقديم تفسير جزئي من خلال خاصية التركيب الديناميكي الهوائي لشكل حبة اللقاح، وأيضاً من خلال كون مخاريط الإناث أكثر اتساعاً من مخاريط الذكور وشكلها المخروطي يُسهل عملية دخول غبار الطلع..

لكن أيضاً سيبقى السؤال: كيف تصل كل حبة غبار طلع إلى فصيلتها نفسها دون غيرها على الرغم من وجود عدد ضخم من حبات غبار الطلع في الهواء؟

ولا ندري كيف للمصادفة أن تؤسس لمنظومة تزاوجية بهذا التعقيد الذي ما زال يحير العلماء، كيف يحدث التواصل..؟ ثم كيف تنشأ أنظمة ذكورية وأنثوية ورياح وغبار طلع كل هذا في نفس التوقيت؟

ومن الهام أن نعلم أن مخاريط الزهور ظهرت بشكلها فجأة في الطبيعة كما تُقرر الداروينية نفسها فحتى المتحجرات أثبتت الظهور المفاجيء لها.

بعض حبات غبار الطلع مُزودة بجيوب هوائية تتيح لها أن تسافر 300 كيلو متر في الهواء، وحوّلها آلاف الأنواع من حبات غبار الطلع لنباتات أخرى مُختلفة لكن دون أن تحدث أي فوضى بينها ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر: 22] ويوجد في أرجل النحلة الخلفية جيوب تسمى سلة اللقاح تقوم النحلة بتجميع ما علق في جسمها من هذه الحبوب في تلك الجيوب.

تُرى ما العلاقة التي تسمح للحيوان أو للحشرة أن يكون مسئولاً مُباشراً عن تلقيح النبات؟ وكيف نشأت هذه العلاقة؟ وكيف استفاد منها النبات؟ وما الثمن الذي يدفعه النبات للحفاظ على مورثاته التي ينقلها إلى الأجيال التالية؟

لقد اتبعت النباتات منذ البدء استراتيجيات مثالية لتوجيه الحيوانات التي تحمل غبار طلعتها... فالإشارات اللونية للنبات تدل الحيوانات والطيور على الثمرات الناضجة، كما ترتبط كمية الرحيق بجاهزيتها للتخصيب... ويعرف النبات الكائن الحيواني الأصحح للتلقيح فيُفرز روائح عطرية تجذب هذا النوع من الكائنات⁽¹⁾.

والنباتات التي يتواجد غبار الطلع في مركزها تجذب الحشرات بلونها فقط ولا تُتيح الرحيق إلا لمن يدخل إلى المركز.

هنا الحشرة حصلت على الرحيق ولم تعلم بالدور الهام الذي تقوم به - التلقيح -، أيضاً الزهرة كائن غير عاقل فكيف لها عمل هذه المقايضة وكيف لها معرفة ما تطلبه الحشرة بالضبط، وكيف تُزين نفسها بألوان جذابة لتجذب الحشرة إليها إذا كانت غير عطرية؟

لا إجابة صدفوية ولا عشوائية في الأمر إنها قدرة الخالق العظيم الذي بث في الأرض من كل دابة، وأودع فيها طريقة كسب رزقها وقوام حياتها وحفظ نسلها، فسبحان الخالق البارئ المصور سبحانه الله العظيم... ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: 24].

بل إن بعض الزهور مثل زهرة الأوركيدا تتخذ صورة تُطابق تماماً أنثى النحل فيأتي ذكر النحل محاولاً تلقيحها فتلتصق حبات غبار الطلع في رأسه، ويقوم بالعملية نفسها في أوركيدا أخرى فيقوم بالتلقيح المثالي دون أن يدري، ولا مجال للحديث عن عامل التدرج أو الداروينية في الأمر.

(1) معجزة النبات، هارون يحيى.

بل إن الأكثر إثارة لكل عاقل أن زهرة الأوركيدا تُفرز نفس الرائحة الخاصة بأنثى النحل - فيرميون أنثى النحل - وليس شكلها فقط ، كل هذا وهي كائن لا يعي من أمره شيئاً، ولا يُدبر من أمره شيئاً، وتعيش في توازن بيئي مثالي مع غيرها من الكائنات فلا تطغى عليها فسبحان فاطر الخلق مُودع عجيب الصنع في كل شيء.

وبعض الزهور تأخذ شكل أنثى الدبور تماماً كبديل للرحيق الجاذب للذكور، هذه الأمور تناقض منطق التطور ذاته القائم على التدرج، فهذه الزهور إما تظهر فجأة ومعها الدبابير ولها نفس شكل أنثى الدبور أو لا تظهر، ثم إن خواص الفكر والإدراك واتخاذ قرار هي خواص في قمة العقلانية ولكنها لا تستطيع أن تُغير من واقعها شيئاً حتى لو أدركت وفكرت وعقلت... فما بالنابح حساب الزمن - زمن التلقيح - والشكل والحجم الخاص بالحشرة التي ستُقلد شكلها، وانتاج غبار طلع بالكمية الكافية وحساب خاصية التصاقه بجسد الحشرة، وضغط كل المورثات في حبة غبار الطلع الصغيرة وتحصينها بجدار سميك مع خفة الوزن في نفس الوقت؟ كل هذه الحسابات هي آيات للعاقل يخشع بسببها للخالق العظيم المُبدع.. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

وحبوب اللقاح من الداخل مخزنٌ غنيٌّ بالفيتامينات والبروتين والماء والسكريات والدهون والإنزيمات وفيتامين ب1 وب2 وب3 وب5 وب9 وب12، ومن المعلوم أن فيتامين ب5 من النوادر في الطبيعة، كل هذا إلى جانب شفرة الجينات الكاملة المسجل عليها كل معلومات إنشاء شجرة عملاقة فيما بعد... كل هذا تحمله حبوب اللقاح التي يزن 14000 منها جراماً واحداً⁽¹⁾.

الله القيوم والكون المقهور لعظمته من منظور فيزيائي

الله القيوم الذي قام به خلقه، فهو سبحانه القيوم بذاته الباقي على صفاته المقيم لغيره والمانح صفات خلقه، فهو الذي منح الإنسان فطرته، ومنح الحيوان غريزته، ومنح الإلكترون

(1) <http://en.wikipedia.org/wiki/Pollen>.

البيضة الكونية Cosmic egg، ولا بد في تلك المرحلة الحرجة أن يكون عدد الجسيمات بالشكل المطلوب وبالنسبة المطلوبة، فلو زاد عدد البوزيترونات عن عدد الإلكترونات فإن الذرة لن تظهر ويتوقف الكون عند البيضة الكونية Cosmic egg مرةً أخرى».

ولو تساوى عدد الإلكترونات والبوزيترونات فإن الناتج طاقة مجردة ويتحول الكون إلى مجرد ظاهرة طاغوية جوفاء.

أيضاً لا بد أن تتساوى أعداد الإلكترونات والبروتونات في تلك اللحظة المثالية..

أيضاً لا بد أن يكون الجسيم بنسبة أعلى من الجسيم المضاد حتى لا يتحول الكون إلى ظاهرة إشعاعية سرايية مجردة.

إنه الخلق المباشر وحده الذي يتيح تلك التوازنات والنسب والخروج من العدم إلى الوجود، فسبحان بديع السماوات والأرض القيوم في كل آن.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة: كيف قررت الجسيمات ماهية الذرات التي سوف تُكونها وبأية كميات؟

لماذا لم تقم كل البروتونات والنيوترونات بتكوين ذرة هيدروجين واحدة وانتهى الأمر؟

إذن الخلق لا بد أن يستتبعه إعداد بعناية Fine Tuning وهذه الكلمة دخلت إلى الفيزياء عن طريق الفيزياء وليس عن طريق الدين .

فالكون منذ اللحظة الأولى مُعدُّ بعناية فائقة، فمثلاً إذا كانت نسبة الكتلة بين البروتون والإلكترون أقل قليلاً مما هي عليه لما استقرت الشمس ولما ظهرت الحياة..، وإذا كان البروتون أثقل مما هو عليه الآن بنسبة 0.2 % فقط فإنه سيتحلل فوراً إلى نيوترون وسيعجز أن يُمسك بالإلكترونات، وستنهار الذرة قبل أن تتكون، وينهار الكون بأجمعه فور تكونه⁽¹⁾.

إن قوانين الفيزياء التي ظهرت في أول ثانية من نشأة الكون هي نفسها التي تحكم عالمنا اليوم، هذه القوانين تم ضبطها بعناية وإلا فإن أي خلل أو أي تغيير في أي من الثوابت الكونية

(1) عالم الكونيات الأمريكي ماكس تيجمارك Max Tegmark.

سيفرز كونا مُجَهِّضًا، ولذا يقول [ستيفن هاوكنج]: «لو كان معدل التمدد بعد ثانية واحدة من الانفجار العظيم أصغر حتى ولو بمقدار جزء واحد من مائة ألف مليون مليون جزء، لانهار الكون قبل أن يصل إلى حجمه الحالي»⁽¹⁾.

وهناك سؤال ربما لم يطرحه أحد على نفسه من قبل ألا هو: ما الذي جعل الزمن يتحرك للأمام في لحظة الخلق الأولى؟ فالزمن طبقًا للنسبية هو أحد الأبعاد الأربعة التي تُحرِّك الكون بكل ما فيه ويُشكل مع المكان النسيج الكوني المعروف بالزمكان، ومن خلال نظرية ميكانيكا الكم اكتشفنا أن تحرك الزمان للأمام هو أحد الاحتمالات وليس واجبًا يفرضه قانون ما... الآن السؤال: ما الذي يدفع الزمن للتحرك للأمام؟ ولماذا لم يتوقف ويتوقف معه المكان ويقتصر الكون على بيضته الأولى..؟

بل إن توقف الزمن لحظة الخلق أقرب فيزيائيًا من تحركه للأمام، فطبقًا لشفرة أوكام Occam's razor فإن أبسط التحليلات لمشكلة معقدة هي الصحيحة، وينبغي اختيار أبسط نظرية تناسب حقائق المعضلة، ونسيج زمكاني في غاية التعقيد يتحرك بسرعة الضوء هو بدهة أبعد عن منطق شفرة أوكام من بيضة كونية مستقرة لحالها.

إننا أمام لحظة خلق فريدة، خَلَقَ اللهُ الكونَ العظيمَ، وأودَعَ في كل جزئية من جزئياته أعاجيب الخلق وبديع الصنع، ولم يطلب من الإنسان إلا التسليم أمام الواحد القهار الذي جبر الكون على قوانين ونواميس لا تتخلف ولا تتبدل.

فقد قضت حكمة الله العُظمى أن يُختبر الإنسان فيها هو دون ذكائه الفطري بكثير..، قضت حكمته العُظمى أن يُختبر الإنسان في التسليم لله بالخلق والأمر، وأن يستقيم لله كما تستقيم له كل نواميس الكون، فالعبد العاصي هو شذوذ في كون يُسبح الله وينحني لآلائه الكبرى.. ومع ذلك فما زال يفشل في هذا الاختبار البسيط الكثير من الخلق.

فسبحان الحي القيوم الذي لا إله إلا هو

(1) ستيفن هاوكنج.. موجز تاريخ الزمن ص 121.

التخصّصية الوظيفية

تقع في قلب الخلية الحية نواة الخلية، وهي مُكوّن معرفي The Know How، والمكون المعرفي هو قاعدة معلوماتية Data Base، يُشفر داخلها كل ما تحتاجه الخلية، ويحمل الجرام الواحد منها معلومات يمكن أن تملأ مليون مليون قرص مضغوط CD، وتتواصل الخلية مع بقية خلايا الجسم بحسب وظيفتها ومكانها، والعمل المطلوب منها بالضبط، وعلى أساس ذلك تتخذ الشكل المناسب لعملها بحيث تقوم بوظيفتها على النحو الأمثل والأكفأ، مثلاً محور الخلية العصبية Axon يحمل نبضة كهربية يقوم بتوصيلها إلى الخلايا التالية له حتى تصل النبضة إلى العضلة فتقوم بوظيفتها، ولذا يحيط بهذا المحور غلاف عازل Myelin Sheath، يقوم بعزل المحور عما حوله لأنه يحمل نبضات كهربية، أيضاً كرات الدم الحمراء تأخذ شكل كروي حتى تسرع حركتها في مجرى الدم، وتقوم بتفريغ نفسها من كل العضيات وتفريغ نفسها حتى من النواة - وهذا يعني أن الحياة لا علاقة لها بالنواة- لتفريغ فقط لحمل الأوكسجين وبذلك تتسع الكرية الواحدة لـ 280 مليون جزيئة هيموجلوبين، لو قلّ عدد الكرات الحمراء إلى النصف فقط يموت الكائن الحي، ولو اتخذت أي شكل بخلاف الشكل الكروي فإن الإنسان يعاني من الأنيميا الحادة مدى الحياة، خلايا الكيراتين تتخذ شكل مُعين ثم تقوم فجأةً بمهمة انتحارية وتقرر أن تموت لتشكل الشعر والأظافر، أما القرنية التي تُشكل أنقى وأدق عدسة في العالم بالإشتراك مع عدسة العين فإنها لا تحمل أية أوعية دموية لتغذيتها حتى لا تؤثر على الرؤية، وإنما تتغذى من دموع العين، وتحصل على الأوكسجين من الهواء مباشرةً، أما شبكية العين التي تقوم خلاياها بتحويل الرؤية البصرية إلى نبضات عصبية بحيث يُعيد المخ ترجمتها - ولا ندرى استناداً على أي مرجع يُترجم المخ هذه المعلومات، وما هو مصدر معلوماته الأسبقية التي تتيح له فهم النبضة وترجمتها الترجمة الصحيحة التي تؤدي إلى استيعاب الرؤية البصرية، وكيف يدرك ما حولنا ليستوعبه بمجرد رؤيتنا له؟-، ثم كيف تتحدد قدرات الحواس ويتم تحجيمها بحسب ما يطلبه الكائن الحي، فلو تصورنا مثلاً أن للإنسان حاسة شم مثل الكلب فإنه كان سيعيش أسوأ وأتعس لحظات حياته بمجرد وجود رذاذ من البول على صنوبر عربة إطفاء على بعد مئات الياردات عنه، فكل شيء موجود بقدر ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القدر: 49]، أيضاً ما المبرر لتتجمع ملايين الخلايا لتكوين صمام مخرج الجهاز الهضمي مع أنه ليس

قضية حياتية، ولو كان الأمر عفويًا فصمام كهذا لا معنى له، فكل ما سيحصل هو أن الكائن لن يتحكم في خروج الفضلات ولكنة لن يموت، بل إن هذا الصمام يتمتع بميزة من أعجب ما يكون إذ ينقل للمخ إحساس يختلف بحسب المادة الموجودة خلفه، فيعرف الإنسان ما يحتبس بداخله هل هو ريح أم براز، فيقرر التصرف الأنسب بطريقة تليق بكائن خلق في أحسن تقويم، إن التخصصية في الشكل والوظيفة والهدف والإنتاج آية على روعة الخلق وبديع الصنع، فلا توجد تخصصية بلا تشفير داخل نواة الخلية، ولا يوجد تشفير بلا مكوّن معرفي، ولا يوجد مكوّن معرفي بلا وعي وخلق وقدرة وإرادة أبدعت الإنسان في أحسن تقويم، ثم يأتي هذا الإنسان ويتسائل أين الله، أعطني شاهدًا؟ إن الذي يستطيع أن يبتلع سداجة الإلحاد، يستطيع بعدها أن يبتلع أي شيء.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت: 20]، سبحانه ربنا سرنا فنظرنا.

الله هو الأول والآخر.. نظرة في فيزياء الكوانتم

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: 3].

الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، ومدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن.

ثم ختمت الآية بما يفيد إحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلية، ومن العالم العلوي والسفلي، ومن الواجبات والجائزات والمستحيلات، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

فالآية كلها في شأن إحاطة الرب- سبحانه- بجميع خلقه من كل وجه، وأن العوالم كلها في قبضة يده كخردلة في يد العبد، لا يفوته منها شيء، وإنما أتى بين هذه الصفات بالواو مع أنها جارية على موصوف واحد؛ لزيادة التقرير والتأكيد⁽¹⁾.

(1) شرح العقيدة الواسطية.. محمد خليل هراس.. ص122.

قبل اكتشاف فيزياء الكوانتم كانت هناك فلسفة ذات صيت في أوربا تنادي بأن الكون واجب الوجود.... وبما أن الكون موجود إذن هو موجود وليس هناك احتمال آخر بديل لوجوده... وهذه الفلسفة كانت أكثر إلحادًا من الفلسفة اليونانية القديمة التي كانت ترى أن الله هو المحرك الأول لا أكثر.

بعد ثورة فيزياء الكوانتم التي قادها [نيلز بور] و[ماكس بورن] و[هايزنبرج] في أوائل القرن العشرين تبين أن العالم تحت الذري يخضع لعدد لا نهائي من الاحتمالات وأن كوننا هو الاحتمال الوحيد الصحيح..

فمثلاً اكتشف العلماء أن النسبة بين الإلكترون والبروتون هي 1: 10 أس 37

وهي النسبة الوحيدة التي تسمح بتشكيل الذرة وبالتالي ظهور الكون.

وللذين لا يعرفون لغة الرياضيات فإن 10 أس 37 هي قيمة تُمائل وضع دولار أمريكي وسط حزمة من الدولارات تمتد ملايين الأمتار، واختيار أي دولار آخر من بين هذه التريلونات تريليونات الدولارات يعني خطأً عملية تمامًا.

فاختيار أي دولار يخالف هذا الدولار يقابل اختيار أي ثابت كوني يُخالف ذلك الثابت الكوني المحدد وبالتالي يعني انهيار الكون قبل أن يبدأ.

وأيضاً كلاً من الإلكترون والبروتون يحمل شحنة كهربية وفقاً لخصائصه، وهذه حقيقة ظهرت بعد الثانية الأولى من خلق الكون، وهي حقيقة اختيارية احتمالية وليست واجبة الوجود، وأدنى تغيير في شدة هذه الشحنة من شأنه أن يؤدي إلى انطلاق الإلكترونات بعيداً عن النواة أو وقوعها داخلها، وفي كلتا الحالتين سيؤدي ذلك إلى استحالة وجود الذرة وبالتالي استحالة وجود الكون، ومع ذلك فمنذ الثانية الأولى من خلق الكون قامت البروتونات بجذب الإلكترونات بالقوة المطلوبة بالضبط لتكوين الذرة.

إذن خروج الكون هو خروج اختياري ثم كان على أعلى درجات الإعداد بعناية.

ولذا يرى [ليونارد سوسكايند] أستاذ الفيزياء النظرية بجامعة ستانفورد والمؤسس لنظرية الأوتار الفائقة أن مُعطياتنا عن الثوابت الكونية - مثل النسبة بين الإلكترون والبروتون -،

تقف كلها على حافة سكين وكلها مُستقلة عن بعضها البعض، وفي الوقت نفسه تتلاقى لتسمح فقط بإحداث الحياة، وتغيّرُ أيُّ مُعطى من هذه المعطيات التي نشأت مستقلة ليرى يمكن يسمح لها بالتلاقي فضلاً عن إمكانية إيجاد حياة أو حتى منظومة كونية⁽¹⁾.

والآن لو افترضنا أننا نرغب في رؤية الذرات الموجودة داخل رأس دبوس صغير - مثلاً - فإننا بحاجة إلى تكبير رأس الدبوس بحيث يصير بحجم الكرة الأرضية وفي تلك الحالة لن يتجاوز حجم الذرة كرة قدم صغيرة.. لماذا الذرات بهذا الحجم المدهش؟

إذا افترضنا أننا نرغب في رؤية النواة داخل الذرة فإننا بحاجة لتكبير كرة القدم السابقة لتصير بحجم ملعب كرة قدم كبير وفي تلك اللحظة فلن يتجاوز حجم نواة الذرة حبة غُبار صغيرة للغاية.. فحجم نواة الذرة يساوي جزء من عشرة بلايين جزء من حجم الذرة.. ومع ذلك توجد كتلة الذرة كلها في النواة 99.5 %

والآن التساؤل الهام: كيف تكون كتلة ملعب عملاق كلها موجودة فقط في حبة غُبار منه والباقي فراغ تام؟

إن هذا النظام الذري بهذا الشكل وهذا التوازن بين كتلة النواة في مقابل حجمها داخل الذرة هو النظام الوحيد الذي يسمح بتشكيل الكون وبعدها التفاعلات الفيزيائية. هذا الأمر لا يُمكن استيعاب حدوثه بالصدفة أو الحُبط العشوائي إنه تديبرٌ وإحكامٌ وعجيبٌ صُنِعَ.

كان هناك أحد العلماء يدعى فيكتور ستينجر Victor Stenger، وكان مشغولاً تماماً بهذه الثوابت الدقيقة والتوازنات العملاقة، فقام ببرمجة أنظمة كمبيوتر، وعمل محاكاة بإدخال تعديلات على بعض الثوابت السابقة ولكنه اعترف في النهاية أنها ثوابت على أقصى حد من الإعداد بعناية⁽²⁾.

وهذه الثوابت توجد مجتمعة فلو نقص أحدها ما كان هناك كون، هذا فضلاً عن أرقامها المنضبطة تماماً إنه أمرٌ مُعقدٌ للغاية.

(1) موقع إدج العلمي المتخصص.

http://www.edge.org/3rd_culture/smolin_susskind04/smolin_susskind.html.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Victor_J._Stenger.

وذات مرة استطاع فيكتور ستينجر Victor Stenger أن يخرج بصيغة لأحد الأكوان مع بعض التعديلات الطفيفة على الثوابت الفيزيائية، واضطر من أجل ذلك لتغيير ثابت طول بلانك فصار أكبر مليارات المرات من حجمه الطبيعي، وظن أنه أخرج صيغة كون جديد مع بعض التضحيات - التضحية بثابت طول بلانك -، لكن بعد التدقيق في تلك الصيغة تبين أن زيادة طول بلانك ستؤدي إلى انتقال ظاهرة التداخل والحيود التي تحدث بين الموجات لتحدث بين الجسميات والأجسام الكبيرة، وبالتالي فإن الأرض المتشكلة حديثاً سترتطم بالقمر والمريخ في كل لحظة، ويرتطم المشتري بزحل، ويرتطم عطارد بالمجموعات النيزكية القريبة منه، وتتحول المجموعة الشمسية إلى غابة من الارتطامات العملاقة التي تفتت الكواكب والأفلاك نتيجة ظاهرة التداخل والحيود تلك..

ولو افترضنا أنه نشأت حياة في هذا الجو القاتل فإن الكائن الحي ستتداخل خلاياه في خلايا كل كائن حي مجاور، وستتداخل أعضاء الكائن الحي في أعضاء كل كائن مجاور وستتحول الحياة إلى جحيم لا يُطاق..

لقد أثبت لنا Victor Stenger دون قصد أن الكون ليس مُعدّاً بعناية لنشأته فحسب بل لنشأة حياة مستقرة فيما بعد.

إن الكون خرج من بين احتمالات لا نهاية لها، ولم يكن واجب الوجود بل كان احتمالياً، ولم يكن الله هو المحرك الأول بل كان سبحانه هو الأول والآخر والظاهر والباطن...، لقد انفتحت أعيننا بفضل ميكانيكا الكم على لمحة من فيوضات نعم الله علينا...، وعلمنا أن الله على كل شيء شهيد ومُدبر وحكيم وعليم فسبحان الله ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: 9].

الجين الأناني

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيءَ آيَاتِ اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَانِي أَتَنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّاهُمْ بِبَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 56].

الكبر هو أول ذنب عُصي الله به، وهو أصل دين الملحد، وهو سوق الشيطان وقوام بضاعته، وعليه ينصب رأيته.. وقُلَّ من انتصر على نفسه وتواضع للحق متى ظهر واستعلن.

نذكر هذا الكلام ونحن في معرض الحديث عن الكبر الذي يمنع صاحبه من التسليم للحق، ويدفعه دفعاً للإغراق في الأسطورة، بدلاً من الرضوخ للبيّنات.. وإذا توجّه المرء بنظره إلى القرن التاسع عشر حيث العلوم البيولوجية في مهدها، وحين كانت الخلية في عهد داروين مجرد تكوين هلامي - بقعة سوداء - تحت الميكروسكوب، أو لطخة بروتوبلازمية Protoplasmic Blot على حد تعبير البعض، وكان من السهولة بمكان تمرير صدفوية نشأتها من أجل التأثير على عامة الناس الذين لا يُفكّرون في مثل هذه الموضوعات.

وبعد أن أظهرت الميكروسكوبات الإلكترونية في خمسينيات القرن الماضي آلاف العُصَيَات المتخصصة specialized organelles داخل كل خلية، وبعد ثورة اكتشاف الحمض النووي، صار الحديث عن صدفوية الخلية ضرباً من الجنون.

وملامح النظام الإلهي في الخليّة الحيّة ظاهرة، فالخلية الحية تحتوي على مُركبات مُعقدة غير قابلة للاختزال، فعلى سبيل المثال: يوجد إنزيم متخصص في فك شفرة الحمض النووي لتخليق البروتين، وهذا يستدعي وجود الإنزيم والحمض النووي معاً، والأمر لا يقبل التطور أو التدرج⁽¹⁾.

ومن المعلوم في علوم البيولوجيا الجزيئية Molecular biology أن لحظة البدء في عمليّة فك التشفير لها علاقة برسالة تأتي إلى ذلك الإنزيم ليقوم بفك الشفرة Decode وهذه الرسالة مُحمّلة على الـ RNA الرسول Messenger RNA.. إذن لابد أيضاً ان يتواجد RNA الرسول منذ البدء.

ومن ملامح التنظيم الإلهي أن هذه العمليّة - عمليّة فك الشفرة - بحاجة إلى نظام تبريد، لا نقول: تحدث في مصانع عملاقة، ولكن في نواة خلية لا يزيد حجمها عن 6 ميكرو متر - الميكرومتر واحد على مليون من المتر -، وهذه التقنيّة الحيويّة مهمّة حتى لا يحترق شريط الحمض النووي أثناء هذه العمليّة السريعة⁽²⁾.

إذن هذه عملية مُعقدة غير قابلة للاختزال Irreducible complexity، والتعقيد غير القابل

(1) <http://www.proteinsynthesis.org/protein-synthesis-steps/>.

(2) المصدر السابق.

للاختزال: هو نظام مُكوّن من العديد من الأجزاء المتفاعلة المترابطة مع بعضها بشكل جيد، والتي تسهم في الوظيفة الأساسية للنظام، بحيث إن إزالة أي جزء من هذه الأجزاء سيؤدي إلى توقف النظام عن العمل.. مثال ذلك: تروس الساعة فلا بد أن تتواجد التروس معاً وفي وقت واحد وإلا لن تعمل الساعة فهذه منظومة غير قابلة للاختزال.

وبالمثل هذه العمليات المعقدة المترابطة داخل نواة الخلية إما أن تنشأ مرة واحدة أو لا تنشأ..، فالافتقار لوظيفة واحدة يؤدي إلى توقّف عملية تخليق البروتين بالكامل، وبالتالي لا يوجد ذلك الكائن الحي⁽¹⁾.

وكل هذا يجري باستمرار في خلية حجمها 1 على 50 من حجم النقطة في نهاية هذه الجملة. وللإنسان أن يتساءل قبل كل ذلك: ما مصدر التشفير داخل الحمض النووي؟ فالتشفير عملية واعية غائية عقلانية، تهدف لتخزين المعلومات، لاستخدامها في المستقبل!.

كل هذه الأمور المعقدة غير القابلة للاختزال تجعل الحديث عن صدفوية نشأة الخلية مجرد لغو فارغ، ولذا يقول [ويليام ستوكس] William Stokes العالم الدارويني: « لو أحضرنا مليارات الكواكب مثل كوكب الأرض، وامتلأت كل هذه الكواكب عن آخرها بالأحماض الأمينية، وانتظرنا عليها مليارات السنين، فلن نحصل على بروتين واحد⁽²⁾».

إذن إنتاج بروتين واحد طبقاً لويليام ستوكس William Stokes يتطلب مليارات الكواكب ممتلئة بالأحماض الأمينية، فما بالنا والخلية الحية يوجد بها آلاف البروتينات المتخصصة، التي تعمل معاً في منظومة متكاملة، وليس مجرد بروتين واحد⁽³⁾.

لقد أثبت العلم بوسائله المتطورة مدى تعقيد الخلية، واحتياجها إلى قانون متكامل ومتوازن، وهذا بطبيعة الحال يقود إلى الإيمان بالله- تعالى - الخالق البارئ المصور .

لكن مَنْ قال بأن كل عالمٍ في الطبيعة موضوعي ومنصفٍ ينقاد لما تدلُّ عليه التجارب والبحوث؟ ويتعامل معها بحيادية؟ بين أيدينا مثالٌ لمُحدٍ شهير هو [ريتشارد داوكينز] Richard

(1) المصدر السابق.

(2) The Origin Of Species Revisited.. W.R.Bird P.305.

(3) <http://en.wikipedia.org/wiki/Protein>.

Dawkins، وهو عالم بيولوجي إلا أنَّ قناعاته الإلحادية جعلته يتبنّى أمورًا غير منطقيّة فرارًا من أية إلزيمات تفرضها عليه الحقائق العلميّة، فاضطر للتأسيس لفلسفة الجين الأناني في كتاب يحمل نفس الاسم SELFISH GENE، وافترض في كتابه هذا أفكارًا غارقة في الأسطورة، والدجل، والشعوذة، من أجل إفراز حل بديل لمعضلة الخلق المباشر، فافترض أسطورة الجين الأناني الحريص على ذاته، وعلى الانتقال من جيل لآخر⁽¹⁾.

وكان داوكينز لا يقبل فكرة الإله، والخلق المباشر، فافترض أسطورة الجين الإله.. وبالفعل هو يتحدث في كتابه عن مركزية الجين في الطبيعة، وكان الجين بيده مقاليد الأمور، وأنَّ الكائنات الحية مُسَخَّرَةٌ للجين، وتقوم بنقل الجين للأجيال التالية لا أكثر، وهذا إدخال للأسطورة في العلم من أجل سحب البساط من تحت ناقدَي الداروينية⁽²⁾.

وللإنسان أن يتساءل: ما الذي يدفع رجلًا علميًا بيولوجيًا مثل داوكينز لهذا التصرف الشاذ علميًا؟ فهذه مسألة لا توجد نظرية علمية تدعمها، ولا فرضية، ولا حتى أكذوبة تؤيدها، فما الذي يدفع ريتشارد دواكينز نحو هذا النفق المُظلم؟⁽³⁾.

ومن دواعي السفسطة أن يتساءل المرء: إذا كانت الجينات بهذه المركزية في الطبيعة، ما الذي جعل الكائنات الحية تنتقل من مرحلة التكاثر اللاجنسي Asexual reproduction، الذي تحافظ فيه الجينات على نفسها تمامًا - حيث تنتقل من الأم إلى الأبناء كما هي - إلى مرحلة التكاثر الجنسي Sexual reproduction، الذي تعجز فيه الجينات أن تُحافظ على نفسها بل تصير تابعة لاختيارات الإنزيمات أثناء عملية التلقيح ولا تنتقل كاملةً أبدًا إلى الأبناء؟⁽⁴⁾.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجمانية: 23].

بل إن داوكينز لم يكتف بذلك في كتابه، فحاول تبرير وجود العقيدة الدينية عند جميع شعوب الأرض، حتى يخرج من مأزق التسليم بالغريزة الدينية، فافترض داوكينز وجود شيء يُدعى الميمات Memetics، وطبقا لتعريفه: فالميمات هي وحدة التناقل الثقافي بين الأجيال..

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/The_Selfish_Gene.

(2) <http://science.jrank.org/pages/10160/Meme-Criticism-Memetic-Theory.html>.

(3) المصدر السابق.

(4) http://en.wikipedia.org/wiki/Asexual_reproduction.

أي هناك ميم الدين، وميم العادات، وعن طريق هذه الميمات ينتقل الدين بين الأمم جميعاً. وبداهة لا يوجد في تاريخ العلم التجريبي شيء يُدعى ميمات.. فالميمات ليست عُضيات، ولا جسيمات، ولا ذرات... وإنما افتراض نظري مُجرّد⁽¹⁾.

ولا ندري إلى الآن كيف خمن داو كينز وجود مثل هذه الميمات أصلاً؟ وكيف أمكنه ربط الميمات المُعينة بالأوضاع الفكرية المُحددة؟ ثم كيف يتطرق داو كينز المادي إلى أشياء غير مادية لا توجد على الصبغيات-الجينات-؟ إننا بحق لا نجد مُبرراً واحداً يسمح لداو كينز بالترويج لتلك الأساطير باسم العلم.

ولعل البرهان العلمي الحاسم في إبطال قضية الميمات، كان الحصول على خريطة الجينوم البشري، التي تم الانتهاء منها في عام 2001، فقد تبين مدى خرافة الميمات، والجين الأناني، حيث لم يعد للمسألة سندٌ جينيٌّ - صبغيٌّ - تعتمد عليه، وأصبحت أثراً بعد عين⁽²⁾.

بل إنه تم تنفيذ تلك الخرافة عملياً حتى قبل عمل خريطة الجينوم البشري، على يد أخصائي علم نفس واجتماع، وعلم أعصاب الدماغ، فقد أثبت العلماء أن دجل داو كينز في كتابه الجين الأناني مجرد سلسلة من الافتراضات اللامنطقية، والتي أدت في الأخير إلى نتيجة مجنونة مُفادها أن البشر عبارة عن آلات نسخ للأفكار أو الميمات.. وكأن الإنسان تحت رحمة هذه الميمات⁽³⁾.

بل وللفسططي الذي في مستوى سفسطة داو كينز أن يتساءل: إذا كان الأمر كله ميمات فلماذا ظهر الملحدون؟

وإذا كانت الميمات ثابتة عبر كل العصور، فما مصدرها؟، أليس هذا دليلاً آخر يمكن أن يستخدمه المتدينون في إثبات غريزة التدين؟

أيضا أليست هذه الميمات حُجة لوجود دليل الفطرة مادياً؟

لكن السؤال الواقعي، والمنطقي في القضية: لماذا الملحد يدعم الأسطورة ويرفض العلم؟

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/The_Selfish_Gene.

(2) Dawkins' GOD: Genes, Memes, and the Meaning of Life... Alister McGrath.

(3) Benitez-Bribiesca, Luis (2001): Memetics: A dangerous idea. p. 29.

أيضاً لماذا يؤسس الملحد لفلسفة الميئات والحين الأناني، ويرفض الخلق المباشر، والتدين الغريزي؟

إن الميئات والحين الأناني ما هي إلا نظريات أسطورية بمقياس العلم يدعمها الملحد ريتشارد داوكنز.. وهكذا عندما يبتعد الإنسان عن الإله يفقد البوصلة، ويضل الاتجاه، ويتخبط في هلاوس من الأساطير ينسب لها المركزية، وشيئاً من القداسة، عسى أن يجد فيها بديلاً يحل مكان الإله... يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنُهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: 20].

الذرة آية من آيات الخلق

على عمق كادريليون جزء من المتر من المادة «لكادريليون وحدة قياس أطوال يُعادل 10 أس - 15 من المتر» يوجد عالم الإلكترونات electrons، وهو عالمٌ فسيحٌ جداً، يدور فيه الإلكترون حول نواة الذرة بسرعة 1000 كيلو متر في الثانية⁽¹⁾.

ويدور الإلكترون في مدارات ثابتة ومنفصلة، ولا تتخلف عن بعضها البعض أبداً، وبالتالي لا يحدث التصادم!!..

إنها عملية خلق واع؛ لأن الإلكترونات متطابقة تماماً، ومع ذلك تدور في مدارات مختلفة، وتتبع مسارات ثابتة دون إخفاقٍ ولا اصطدام.

وهذه السرعة الخاصة بالإلكترون - 1000 كيلومتر في الثانية -، هي السرعة المثالية التي تُتيح للإلكترون الالتفاف حول النواة دون السقوط فيها.. لأن الإلكترون سالب الشحنة، بينما بروتونات النواة protons موجبة الشحنة، وهذا يستدعي التجاذب بينهما، لكن هذه السرعة الهائلة تتيح عدم التجاذب، وبالتالي عدم انهيار الذرة!!..

إن النموذج الذري يخضع لنظام بديع، لا يتخلف ولا يفسد.. مع أن المليمتر الواحد به تريليونات الإلكترونات⁽²⁾.

فسبحان الخالق البارئ المصور.. ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْبَارِئَ الْمُصَوِّرَ﴾ [الحشر: 24].

(1) <http://www.britannica.com/EBchecked/topic/183374/electron>.

(2) <http://www.newton.dep.anl.gov/askasci/phy05/phy05351.htm>.

والنموذج الذري يقتضي أن يكون عدد البروتونات معادلاً لعدد الإلكترونات حتى تستقر الذرة، وبالتالي يستقر الكون كله، كل هذا يجري في عالم غير واع، المليارات منه لا تملأ النقطة في نهاية الجملة⁽¹⁾.

وداخل العالم الذري نجد أن كل شيء يتحرك بتوازن مُتقن، فالبروتونات متشابهة الشحنة المُفترَض فيها أن تتنافر داخل نواة الذرة، ومع ذلك هي تغلب على هذه المعضلة بالقوى النووية القوية strong nuclear force فتتماسك ولا تتنافر⁽²⁾.

ويوجد سبعة أغلفة إلكترونية حول نواة الذرة، ولكل غلاف عدد مُحدد من الإلكترونات التي لا تتغير أبداً.. وهذا النظام ينطبق على كل الذرات في الكون، فالكون مبني بخطّة واحدة، ومن خامّة واحدة.

كل هذه الحسابات الدقيقة للتوازن الذري تجري كلّ لحظة في كل جزء من مليارات الأجزاء من جسدك، ومن الطاولة أمامك، ومن شاشة الحاسوب التي تُطالع من خلالها الآن، ومن عقلك الذي تستوعب به هذه الكلمات، ومن بصرك، ومن لسانك، وجميع أجزاء الكون تكشف لنا عن تدبير مالك الملك العظيم الخلق صاحب الحكمة والإرادة المطلقة الذي لا يترك ولو ذرة واحدة عاطلة في الكون، بل الكل (الكون) يدور ويُسبّح بحمده آناء الليل وأطراف النهار: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44].

ومن العجيب أن ما نراه من تنوع الألوان والمواد والعناصر، وبل كل طاقة، وتفاعل يجري في الكون هو مجرد تغير في مستوى الإلكترون، وفي سرّياته، وفي شكل الذرة وارتباطها بغيرها من الذرات، لتشكيل جزيئات ومركّبات، من خلال الارتباطات الأيونية Ionic bonds أو الكيميائية Chemical bonds أو التساهمية Covalent bonds، تُجرى خلالها أنواع من المقايضة على الإلكترونات بين الذرات المتعاقدة، أو تتقاسمها في أغلفتها الخارجية، من أجل القبول بالترابط مع الذرات الأخرى⁽³⁾.

(1) <http://en.wikipedia.org/wiki/Atom>.

(2) <http://aether.lbl.gov/elements/stellar/strong/strong.html>.

(3) <http://www.ndt-ed.org/EducationResources/CommunityCollege/Materials/Structure/bonds.htm>.

وحتى اليوم يواجه العلم هذه الترابطات بتعميمية شديدة؛ لأنه لم يعرف بعد: لماذا تسلك الذرات هذا السلوك العقلافي الرشيد؟

ولماذا تتقيد الذرات بهذا المبدأ التعاقدى الصارم لمقايضة الإلكترونات، أو تقاسمها؟
ولماذا تقبل الذرة هذا التعاقد، وترفض تعاقدًا آخر؟

بل ويتحدث العلم عن مُعجزة الرفض، حيث ترفض الذرة أن تتعاقد مع ذرة ماء، في حين تقبل التعاقد مع أخرى⁽¹⁾.

ولولا هذا الرفض لأصبحت الحياة مستحيلة، لأن الذرة لو قبلت كل تعاقد فإن مادة أصابعك ستتفاعل مع لوحة المفاتيح وستلتصق بها، وسيظهر مُركبٌ جديد منهما، ومادة الماء ستتفاعل مع الكوب ويظهر جُزيء جديد، ومادة مكتبك ستتفاعل مع السيراميك وتنشأ مادة جديدة، وهكذا إلى ما لا نهاية، وهذا يعني استحالة الحياة، فرفض التعاقد يُعادل في إعجازه قبول التعاقد.

وإذا جال الإنسان بناظره إلى صيغة العقد بين الذرات، لتكوين المُركبات والجزيئات، سيكتشف أن التعاقد يكون إلى أجلٍ مُحدد، فمثلاً: التعاقد بين الهيدروجين والأكسجين لتكوين جُزيء الماء، هو تعاقد هيدروجيني Hydrogen Bonding، حيث يتفكك هذا التعاقد ثم يترابط مُجددًا مليارات المرات في الثانية الواحدة، مما يُتيح الخاصية السائلة العجيبة للماء، فعُمر التعاقد بين الأكسجين والهيدروجين يجب أن يستمر جزء من مائة بليون جزء من الثانية، ثم ينحل ثم يعود للتعاقد فوراً، وهذا يجعل من الماء سائلاً⁽²⁾.

ومن المدهش أن صيغة هذا الترابط الهيدروجيني سريع التحلل تُحقق معجزة أخرى في البحار والمحيطات، حيث تتيح هذه الصيغة من الترابط للماء أن يصبح أكثر لزوجة في الحالة السائلة، فإذا تحوّل إلى الحالة الصلبة، قلّت لزوجته، وطفًا لأعلى وأتاح لملايين الأحياء بأسفله أن تعيش في أمان.

إن قوانين الفيزياء، وقوانين الكيمياء، وقوانين المادة التي تحكم هذا النموذج الذري

(1) <http://chemed.chem.purdue.edu/genchem/topicreview/bp/ch8/valence.html>.

(2) <http://www1.lsbu.ac.uk/water/hbond.html>.

العجيب، الغاية في الإتقان تشهد بالتوازن المعجز داخل هذا العالم الذي يفتقد إلى الوعي، فلا قوة إلا قوة الله في الحقيقة ولا حكمة إلا حكمة وكل إرادة منه سبحانه، والعلم لن يخترع قُوى كونية جديدة ولن يُضيف توازنات مُختلفة عما أودعه الله في أول ذرة في أول لحظة من خلق الكون، وكل ما في وسع العلم التجريبي أن يفعله هو أن يُطلق على هذه التوازنات مُسميات وأن يُبين إعجاز التوازن فيها.

فَمَنْ يَسْتَحِقُّ الْحُضُوعَ حَقًّا هُوَ خَالِقُ تِلْكَ الْمُنْظُومَةِ الْعِمْلَاقَةِ الْمُتَوَازِنَةِ، سُبْحَانَهُ الْقَوِي الْعَزِيزُ الَّذِي أَمَرْنَا أَنْ نَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرَ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20].

في البدء كان التمثيل الضوئي

ظاهرة التمثيل الضوئي - البناء الضوئي - photosynthesis في النبات، كانت أول ظاهرة حيوية تنشأ على الأرض - طبقاً للفلسفة الداروينية -⁽¹⁾.

وطالما أنها أول الظواهر الحيوية بزوغاً، فالمفترض أن تكون ظاهرة بسيطة، ومُفككة إلى أقصى حد، ويُمكن إعادة تجربتها معملياً بمواد أولية مرات عديدة، لكن هذه الظاهرة ما زال قسم كبير منها إلى اليوم عصياً على الفهم العلمي، وفي أعلى درجات التعقيد...!!⁽²⁾.

وإذا نظرنا إلى طحلب السيانو بكتريا cyanobacteria أول كائن حي على الإطلاق - وفقاً لأدبيات التطور -، سنكتشف أن ظاهرة التمثيل الضوئي ارتبطت به عبر حُبيبات اليخضور - الكلوروفيل Chlorophyll - التي تملأ جسده⁽³⁾.

وحبيبة اليخضور الموجودة في السيانو بكتريا، هي نفسها حبيبة اليخضور التي توجد في جميع أشجار ونباتات العالم إلى الآن، وتعمل بنفس القدر من الكفاءة والجاهزية منذ البدء!⁽⁴⁾

(1) <http://www2.estrellamountain.edu/faculty/farabee/BIOBK/biobookps.html>.

(2) <http://www2.estrellamountain.edu/faculty/farabee/BIOBK/biobookps.html>.

(3) <http://www.ucmp.berkeley.edu/bacteria/cyanolh.html>.

(4) <http://mibr.asm.org/content/62/3/667.full>.

وداخل هذه الحبيبة التي يبلغ حجمها واحد بالألف من المليمتر، يوجد مائة مكوّن عضوي يشمل الإنزيمات والريبوسومات ribosomes، والمواد الكيميائية الكفيلة بإتمام عملية البناء الضوئي، حيث تجري سلسلة طويلة من التفاعلات الكيميائية في زمن قياسي خلال جزء من الألف من الثانية⁽¹⁾.

وظاهرٌ جليٌّ جدًّا أنّ طحلبَ السيانو باكتريا يعرفُ طريقةَ التمثيل الضوئيِّ بمثابة تامة، وبمنتهى الكفاءة، ويعرف كيف يتكاثر، والطريقة المثلى للتغذية، ومدى حاجته للمزيد من ثاني أكسيد الكريون الموجود بالجو، وجميع المعلومات التي يحتاجها مُسجّلة ومُشفّرة في شريط الـ DNA الخاص به، ويقوم بتعبئة المواليد الجدد بالجينات بشكل مثالي⁽²⁾.

والحق أن افتراض هذا التعقيد في أول كائن حي يسكن الأرض، ثم افتراض عامل المصادفة في نشأته، هو ضرب من الخيال العلمي لا قبل للاحتمالات الرياضية به؛ لأنّ السيانو باكتريا يشتمل على نصف مليون قاعدة نيتروجينية nitrogen base تقريباً⁽³⁾.

وأيّ تبديل لقاعدة نيتروجينية مكان قاعدة أُخرى، أو اختفاء إحدى القواعد، أو ظهور قاعدة إضافية، هذا يعني فشل منظومة التمثيل الضوئي في الغالب، وبالتالي موت الكائن، وعليه فالمطلوب نصف مليون قاعدة في المكان الصحيح، وبحساب الاحتمالات فاحتمال ظهور طحلب واحد من السيانو باكتريا هو 10 أس 250.000 - لوجود نصف مليون قاعدة نيتروجينية بترتيب ثابت -، في حين أنّ عدد ذرات الكون كلّهُ 10 أس 80، أي أننا نحتاج إلى ملء الكون كله مليارات مليارات المرات من الكائنات المشوهة الميتة، غير الصحيحة في ترتيب القواعد النيتروجينية، من أجل إنتاج كائن حي واحد سليم من السيانو باكتريا.

وعلينا قبل إجراء هذا الاحتمال الخيالي أن نفترض أننا تجاهلنا مُعضلة الحياة - لأنّ الحياة ليست مجرد مصفوفة من القواعد النيتروجينية المتلاصقة -، وأنّ نفترض أيضاً أننا تجاهلنا مُعضلة التحول الحيوي morphogenesis - حيث إن مصفوفة القواعد النيتروجينية لا تعني

(1) <http://biology.clc.uc.edu/courses/bio104/photosyn.htm>.

(2) Cyanophyceae. Access Science. Retrieved 21 April 2011.

(3) Journal of Clinical Biochemistry and Nutrition 51 (3): 227-234.

وظيفة بحد ذاتها، فكتابة مواصفات الطول مهما كانت دقيقة، لا تتحول إلى صفة الطول، وهذا ما يُعرف بمعضلة التحول الحيوي -.

والخلاصة كما ذكرنا آنفًا: المصادفة في نشأة السيانو باكتريا هي الخيال العلمي، لكن؟ السؤال المطروح هنا:

كيف قام هذا الكائن الأول بوضع هذه المصفوفة من القواعد النيتروجينية بهذه الصيغة التي أنتجت حياة؟

ثم كيف قام بتشفير المعلومات داخل جسده - في شريط ال DNA -؟

ثم ما أدراه بآلية التشفير؟

وكيف تسنى له استخدام منظومة مُعقدة كالخضور منذ البدء؟

وقبل ذلك كيف قام بتخصيص إنزيمات وريوسومات ومواد كيميائية مستقلة ليستخدمها الخضور فيما بعد؟

حيث يوجد قرابة 100 عنصر ضروري لعملية التمثيل الضوئي، ولن يُفيد التمثيل الضوئي في حال فُقد واحد منها...!!

ومن المستحيل أن تنشأ جميع العناصر دُفعةً واحدة.. ولا معنى لها إذا ظهرت فرادى...!!
من الذي وضع الآلية لمثل هذا التخطيط الذي لا يُضاهى في منطقة مجهرية صغيرة جدًا؟
وتبعًا لذلك لن يكون هناك سيانو باكتريا بدون شريط حمض نووي DNA، ولن يظهر شريط الحمض النووي بدون معرفة ما يريد السيانو باكتريا المالك للحمض النووي...!
إذن اللعبة الداروينية أعلنت سخافتها عند أول كائن افترضت ظهوره.

وسُبْحان الله من عجائب الأمور أن حُبِيبَةَ الخضور تلك التي يبلغ حجمها واحدا بالألف من المليمتر، ويبلغ جدارها واحدا بالمائة مليون من المتر تمثل رئة العالم أجمع، حيث تحصل على ثاني أكسيد الكربون من الجو، وتطرح الأوكسجين كمنتج ثانوي، ولا سبيل للأوكسجين إلا عبر حُبِيبَةَ الخضور⁽¹⁾.

(1) Charles Henrickson (2005). Chemistry. Cliffs Notes

ويطرح العالم سنويًا قرابة 150 بليون طن ثاني أكسيد كربون، عبر تنفس الكائنات الحية، ومن الوقود الذي يستخدمه البشر في المصانع والسيارات، والمطلوب من حبيبات اليخضور المجهرية تحمّل كل هذا العبء، وإنتاج الغذاء أيضًا⁽¹⁾.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالنَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَالسَّحَابِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 164].

ما قبل الانضجار الكبير.. السؤال المحرم في العلم

في عام 1927 وضع عالم الفيزياء الألماني [فيرنر هايزنبرج] Werner Heisenberg مبدأ عدم اليقين أو مبدأ الريبة uncertainty principle، وهو مبدأ فيزيائي من المبادئ التي تحكم الكون، ويُعد أحد أهم أسس الفيزياء الحديثة⁽²⁾.

يُنص مبدأ عدم اليقين على أنه: «يستحيل تحديد موقع وسُرعة الإلكترون electron في وقتٍ واحد"، فنحن ممنوعون من معرفة موقع وسُرعة الجسيم في آنٍ واحد، وليس لنا أن نختار إلا نصف الحقيقة، إما السُرعة أو الموقع، أما الحقيقة الكاملة فنحن ممنوعون من معرفتها⁽³⁾.

يُعدُّ مبدأ عدم اليقين قانونًا صارمًا من قوانين الطبيعة، ولا يرتبط بأي شكل من الأشكال ببعض القصور الموجود في أجهزتنا، أو بقدراتنا على الرصد، بل هو قانون كوني، وطبقًا للقانون لا يمكن تحديد خاصيتين مُقاسيتين من خواص جملة كمومية quanta، إلا ضمن حدود مُعينة من الدقة، أي أن تحديد أحد الخاصيتين يستتبع عدم تأكد كبير في قياس الخاصية الأخرى، وبالتالي هو مبدأ يُعلمنا أنه ليس في وسع الإنسان إلا المعرفة الجزئية، أما المعرفة الكلية فهذه حكمة لم يُسمح لنا أن نطلع عليها.

ولذا فهذا المبدأ من أعظم المبادئ أثرًا في تاريخ العلم الحديث، حيث إنه يضع حدًا لقُدرة

(1) <http://www.cbsnews.com/news/carbon-dioxide-emissions-rise-to-2million-pounds-per-second>.

(2) <http://hyperphysics.phy-astr.gsu.edu/hbase/uncer.html>.

(3) <http://www.pbs.org/wgbh/aso/databank/entries/dp27un.html>.

الإنسان على قياس الأشياء، وكان لهذا المبدأ تأثيرٌ فلسفيٌّ عميقٌ الأثر على العقل العلمي، يقول الفيزيائي النمساوي [شرودينجر] Schrödinger «لقد تم الحصول على صورة معتدلة لهذا العالم، بتكاليف باهظة، ولم يحدث هذا إلا بعد أن انتزعنا أنفسنا خارج الصورة، وتراجعنا إلى موقع المراقبين الذين لا مصلحة لهم»⁽¹⁾.

وبالتالي فالفيزياء التجريبية أكدت لنا أنه بالتجربة توجد حدودٌ محرمة على العلم، كما أثبتت الرياضيات نفس الأمر فيما يُعرف بمبرهنة جودل Gödel Incompleteness Theorem، وتنص مبرهنة جودل على أنه: «ما من نظام رياضي متناسق إلا ويحوى عبارة رياضية واحدة على الأقل صحيحة، ولكن لا يمكن برهنتها بدءاً من مُسلمات النظام الرياضي»⁽²⁾.

وعلى هذا، فَحَسَبَ مبرهنة جودل، لا يوجد نظامٌ رياضي كامل إذا كان متناسقاً، وقد أربكت مبرهنة جودل مَنْ يجعلون الحقيقة حِكراً على ما يُقاس في المعمل أو ما يُستنتج رياضياً، فالتجريد الرياضي مع أنه أكثر العلوم البشرية إتقاناً ونظاماً، لم يُعدْ نظاماً مُغلقاً، ولم يبق في الإمكان البرهنة عليه من داخله.

إذن العلم لا يقبل أن يكون الحكم الأخير على القضية الكلية في الوجود؛ لأنه بذلك يكون مثل لابس ثوبي زور، وكالمُتلبس بما لم يُعط، والذي يَطْلُب من العلم أن يُجيب عن الأسئلة الكلية في الوجود، يكون قد قرَّر مُسبقاً أن يقف في صدام مع العقل والعلم معاً.

وعلى ضوء ما سبق ذكره، سننتقل إلى النقاش حول أكبر لغز يجول بأذهان العلماء المعاصرين وهو: ماذا كان قبل الانفجار الكبير، الذي نشأ منه الكون Big Bang؟

في البداية، هذا سؤال غير علمي إطلاقاً، ولا يقع جوابه في إطار العلم التجريبي، فالعلم التجريبي يخضع لحدود الزمان والمكان، وما قبل الانفجار الكبير يقع خارج حدود الزمان والمكان، ولذا هو سؤال غير علمي، ولم ولن يدخل دائرة العلم التجريبي.

ولكن مَنْ يتأمل في السؤال يجد أنه سؤال عقلي مائة بالمائة، بل وفي قمة العقلية، بل إن العقل يُلحُّ في البحث عن إجابة، وهنا يكمن الفارق الجوهرى بين حدود العلم وحدود العقل،

(1) الاحتمالات المثيرة للنظرية الكمية.. تأليف عالم الفيزياء الروسي «ليونيد بونوماريف».. ص 203.

(2) <http://plato.stanford.edu/entries/goedel-incompleteness/>.

فهذا سؤال مرفوض علمياً، يقبع خارج إطار العلم التجريبي المادي، ومع ذلك هو سؤال صحيح عقلياً.

وهنا يفترق العلم والعقل منذ اللحظة الأولى لنشأة الكون، ويُقرّر العلم حدوده التي يرتضي بها مُرغماً.

بتعبير آخر، العلم ذاته هو الذي يُقرّر بأن ما قبل الانفجار الكبير يُعد حِجرًا محجورًا، لا يجوز للعلم أن يُعطي فيه رأياً ولو جديلاً؛ لأنه حين يفعل ذلك يكون قد فقد أهم صفاته التي تُميّزه، فالعلم في صيغته النهائية هو: «ملاحظة الظواهر بُغية تفسيرها»، وبالتالي فالعلم مُقيّد بحدود الزمان والمكان والمادة والطاقة، وما قبل الانفجار الكبير لا زمان ولا مكان ولا مادة ولا طاقة، وكل الطاقة ظهرت فجأة في لحظة الانفجار الكبير⁽¹⁾.

وهنا يجب أن يحف القلم، ويتوقف العلم التجريبي مُعترفاً بقصوره، فالتفكير في: ماذا كان قبل الانفجار الكبير؟ يؤدي بدهشة إلى عالم جاء من العدم، وهو ما نادى به الكتب الدينية.

ففكرة بداية الكون في الزمان، هي فكرة تُقلق أي ملحد بسبب لوازمها اللاهوتية⁽²⁾.

ولذا كان الفيزيائي الملحد [ستيفن واينبرج] Steven Weinberg يتمنى نظرية الكون الثابت الأزلي، لأنها أكثر جاذبية، وأبعد عمّا نادى به الأديان⁽³⁾.

لكن أُمنيات ستيفن واينبرج اصطدمت أول ما اصطدمت بحائط العلم نفسه، ولم يعد لها مكان داخل العلم المادي، يقول الفيزيائي البريطاني [دينيس شياما] DENNIS SCAIMA «لم أَدافع عن نظرية الكون المُستقر لكونها صحيحة، بل لرغبتني في كونها صحيحة، ولكن بعد أن تراكمت الأدلة فقد تبين لنا أن اللعبة قد انتهت»⁽⁴⁾.

(1) أليكس فلينكو alex filipenko عالم الفيزياء الفلكية بجامعة كاليفورنيا.. video source.

(2) الخالق والفلكيون.. جاسترو.. ص 29.

(3) عالم داخل العالم.. نيل تورو.. ص 226.

(4) Introduction..The Unity of the Universe. N.Y., Doubleday ..Dennis William Sciamia.. introduction.

فباللغة قد انتهت فعلاً، وبذلك يعترف [أنتوني فلو] Antony Garrard Newton Flew فيلسوف الإلحاد في القرن العشرين قائلاً: «يقولون إن الاعتراف يفيد الإنسان من الناحية النفسية، وأنا سأدلي باعترافي.. إن نموذج الانفجار الكبير شيء مخرج جداً بالنسبة للملحدين، ذلك لأن العلم أثبت فكرة دافعت عنها الكتب الدينية»⁽¹⁾.

وكلما توسعت مداركنا، كلما علمنا أننا يستحيل أن نكون أسياد مصائرنا، ومُعطياتنا تؤكد لنا دومًا أننا لن نعلم إلا ما يشاء الله لنا فقط أن نعلمه، ولن نتجاوز ذلك سواء أشننا أم أبينا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255].

نظام التشفير داخل نواة الخلية، هو الخلق المباشر

مع دخول عام 1955 كان العالم على موعد مع أعظم الكشوف التي غيرت مجرى العلم، فقد قام العالمان [جيمس واتسون] James Watson و[فرانسيس كريك] Francis Crick باكتشاف بنية الحمض النووي DNA داخل نواة الخلية، وقبل ذلك التاريخ كان يُنظر إلى الخلية على أنها كتلة بلازمية هلامية Protoplasmic mass لا أكثر⁽²⁾.

وقد تبين أن جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي ليقوم بوظائفه الحيوية، توجد مُشفرة في نواة الخلية داخل ذلك الشريط النووي DNA، بنظام تشفير رباعي C G T A، وعندما يحتاج الكائن الحي إلى بروتين ما، للقيام بوظيفة حيوية، تبدأ الخلية في فك التشفير في الجزء المطلوب من شريط الحمض النووي DNA، لإنتاج البروتين المحدد الذي سيقوم بتلك الوظيفة الحيوية⁽³⁾.

ويوجد داخل نواة كل خلية في الإنسان ثلاثة مليارات نيوكليوتيد nucleotide - النيوكليوتيدة هي الوحدة الأساسية لبناء شريط الحمض النووي DNA-، أي ثلاثة مليارات

(1) Henry Margentau, Roy A. Vargesse. Cosmos, Bios, Theos. La Salle II: Open Court Publishing, 1992, 241.

(2) http://www.nobelprize.org/nobel_prizes/medicine/laureates/1962/watson-bio.html.

(3) http://www.sciencedaily.com/articles/p/protein_biosynthesis.htm

حرف بنظام التشفير الرباعي C G T A، وتنضغط كل هذه القاعدة المعلوماتية العملاقة في مساحة 1 على 1000 من المليمتر، مع أننا لو قُمنّا بنسخها على الورق، فإنها تملأ 1000 مجلد بواقع 500 صفحة لكل مجلد (1).

تُتيح المعلومات المُسجلة داخل شريط الحمض النووي DNA، كل البروتينات التي يحتاجها الإنسان، ويتحدد من خلالها كل خصائصه، مثل معلومات الطول والملامح، ولون العين، وملمس الشعر، وشكل البشرة، وشبكة الخلايا العصبية، وبلازما الدم، وكل معلومة داخل جسد الإنسان يحتاجها طيلة عمره، كل هذه المعلومات داخل شريط مُلتف على نفسه 100 ألف لفة، ولو قُمنّا بفرد هذا الشريط فإن طوله سيتجاوز المترين، وسُمكه النانو مترين -النانو متر 10 أس - 9 من المتر -، ولو افترضنا أن سُمك الشريط صار مثل شعرة الرأس فإن طوله سيتجاوز 100 ألف كيلو متر، ويتم طي هذا الشريط بحيث يقبع في نواة الخلية، ولا ننسى أن خمسين خلية كاملة لن تملأ هذه النقطة في نهاية الجملة.

وأي عطب - تشوه - في نيوكليوتيدة واحدة من الثلاثة مليارات نيوكليوتيدة، أو تبدل واحدة مكان أخرى، يؤدي إلى خلل في وظيفة حيوية من وظائف الجسم (2).

وأشهر مثال على تشوه الجسم كله بنيوكليوتيدة واحدة، هو الجين المسئول عن سرطان الثدي، حيث يوجد بهذا الجين 8 آلاف نيوكليوتيدة، وفي واحدة منها إذا وُجدت G بدلا من T يحدث السرطان بنسبة 85 %، ويجري فحص جين السرطان في معامِل الأبحاث المتخصصة للبحث عن هذه القاعدة النيتروجينية G في هذا المكان (3).

وشركة مير ياد لأبحاث الجينات Myriad Genetics، هي التي اكتشفت الحرف G في هذا المكان، وبالتالي هي تملك براءة اختراع، وتقوم حصرياً بتحليل سرطان الثدي BRCA1، مقابل 1400 دولار، وتربح من ذلك أموالاً طائلة، لمجرد رصد هذا الحرف (4).

ولكن من عظيم رحمة الله، أنه حتى في الحالة النادرة التي يتبدل فيها حرف مكان آخر، تظل

(1) Wall Street Journal" article: Storing Digital Data in DNA.. jan. 2013".

(2) http://www.genecinfinitly.org/sp/sp_nucdatabases.html.

(3) <http://ghr.nlm.nih.gov/condition/breast-cancer>

(4) <https://www.myriad.com/>

هذه مشكلة كامنة لا يُظهرها إلا نمط حياة غير سوي، مثل تعاطي الهرمونات الأثوية بكثافة - حبوب منع الحمل-، أو إهمال الرضاعة الطبيعية، أو عدم الإنجاب، فهذه القاعدة النيروجينية كأنها تحشو مُسدس عدوك دوماً، لكن مَنْ يضغط على الزناد هو نمط حياتك أنت.

مما سبق يتضح أن الجسم يحتاج إلى ثلاثة مليارات قاعدة نيروجينية في كل خلية، بترتيب وتناسق غاية في الدقة، وهذا الأمر يشمل 100 تريليون خلية، هي عدد الخلايا في جسم الإنسان، هل يُعقل أن هذا الترتيب صُدفوي أو عشوائي؟

ثم كيف للصدفة أن تُنشئ أنظمة تشفير وتُحدد المطلوب مُستقبلاً وبدقة متناهية؟

فالتشفير عملية في غاية الذكاء، والإعداد للمستقبل، والضبط بعناية، وتشمل عملية التشفير تخزين المعلومات، ونقلها وحفظها، واستخدامها بعد ذلك عند الحاجة، وليس مجرد التشفير.

هذا التشفير يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن ربنا وحده الذي أعطى كل شيء خلقه، وصورته وهيئته، بمنتهى الدقة والكفاءة.. قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50].

بل إن عملية التشفير تفترض معضلة أكبر ولغزاً أعمق، فالقاعدة المعلوماتية كالكلمات المطبوعة على ورق، كالتشفيرات المضغوطة على أسطوانة CD، تحمل أدق تفاصيل الكائن الحي، لكنها تظل مجرد شفرات ومعلومات.. كيف تنتقل هذه الشفرات إلى تشكيل الكائن على هيئته الحقيقية؟

كيف تتحول القاعدة المعلوماتية إلى وجود حقيقي؟

كيف تتحول معلومات نشرح فيها هيئة إنسان، مهما بلغت تفاصيلها ودقتها، إلى إنسان حقيقي (من لحم ودم)؟!؟

ويبقى التساؤل الأهم: مَنْ الذي وضع الشفرة encoding قبل فك التشفير decoding؟

ومن نافلة القول أنّ الحمض النووي داخل نواة الخلية يعمل بمساعدة آلاف الإنزيمات enzymes، والتي هي أيضاً بروتينات تتواجد معلوماتها مُشفرة داخل ذلك الحمض النووي،

ولو ظهر الحمض النووي بدون إنزيماته فلن يعمل، ولن تُنسخ منه معلومة واحدة، ولو ظهرت الإنزيمات وحدها فلا معنى لها.

ولمزيد من التفصيل في هذا الشأن نقول: إنَّ أيَّ وظيفة حيوية يمارسها الكائن الحي تتطلبُ تفسيرَ معلومات تلك الوظيفة داخل شريط الحمض النووي، وأيضًا تفسيرَ الإنزيمات التي ستقوم بنسخ تلك المعلومات من الشريط، وأيضًا تفسيرَ الإنزيمات التي ستقوم بنقل تلك المعلومات إلى مكان تخليق البروتين - الذي سيقوم بالوظيفة الحيوية-، وأيضًا تفسيرَ الإنزيمات التي ستقوم بطي الشريط بعد الحصول على المعلومات المطلوبة، وأيضًا تفسيرَ الإنزيمات التي ستقوم بتأمين رحلة وصول البروتين إلى مكان عمله المطلوب، وفي النهاية يجب أن تخرج كل تلك الإنزيمات المشفرة المتخصصة في الوقت المحدد، وفي المكان المحدد، عبر إنزيمات أخرى تحدد تلك المهام⁽¹⁾.

إنه نظامٌ على أعلى درجات التعقيد، والدقة، والضبط بعناية، لا بد أن ينشأ متكاملًا وفي لحظة واحدة، لا مجال فيها للصدفة أو التدرج..، وهذا النظام هبة الخالق الذي أمرنا أن ننظر إلى عجب صنعه، وأن نتدبر كيف بدأ الخلق.. ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: 20].

(1) <http://www.proteinsynthesis.org/protein-synthesis-steps/>.

الفصل السابع

أصول الاعتقاد

الفصل السابع

أصول الاعتقاد

قواعد الرد على الإلحاد وثبوت النبوات

(القاعدة الأولى):

النزاع بين الرسل وأقوامهم إنما كان في توحيد الألوهية «إفراد الله بالعبادة»، لا في توحيد الربوبية «إفراد الله بالخلق» ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك.

الشرح: يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: «إن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون الصالحين: مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الأولياء فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان، أو غير ذلك فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم»⁽¹⁾.

وهذا القاعدة هامة جداً في الرد على شبهة تعدد الآلهة قديماً واختلاف الآلهة وظن الملحد أن هؤلاء يتخذون المنحوتات والأصنام آلهة من دون الله.

فلا يكاد يوجد نزاع بين البشر أن الله الخالق المدبر الرازق الواحد الأحد هو الذي يحاول أهل الأديان جميعاً إخلاص العبادة له، وما التماثيل والمعبودات والمنحوتات والآلهة والأصنام -

(1) مجموع الفتاوى، 1/ 359.

يوجد حالياً أربعة آلاف من الآلهة في الهند - ليست كلها إلا وسائل تقربهم إلى الله زُلفى، ومع أنهم كفروا باعتقادهم هذا إلا أنها تؤكد على أن أصل الأديان والفِطْر واحد.

ولذا يعترف [ول ديورانت] صاحب قصة الحضارة بهذه القاعدة قائلاً: «... في التقرير المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند أن: النتيجة العامة التي انتهت إليها اللجنة من البحث في أربعة آلاف من الآلهة في الهند هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد عقيدة راسخة في كائن واحد أعلى»⁽¹⁾.

(القاعدة الثانية):

الفطرة في أجلى تعريفاتها: (هي خِلقة مُقتضية للتوحيد).

الشرح: السعي للتوحيد وإفراد الله بالخلق هو إلزام ذاتي وهذا ذكرناه في القاعدة السابقة لكن ما يزيد عليه في هذه القاعدة أن النفس الإنسانية تميل إلى إفراد الله بالعبادة لا الخلق وحده، فحتى النصارى المثلثة يرون أن الأقانيم الثلاثة صورة للإله الواحد ومع ما في الأمر من تضارب وتخبُّط إلا أنهم اختاروا هذا الطريق الوعر «ثلاثة في واحد»؛ لأنه أقرب للفطرة ولا يصادمها، وإلا فالقول بالأقانيم الثلاثة في ثلاثة آلهة أيسر وأسهل، إلا أنه يصدم الذوق التوحيدي الوجودي «الفطرة المقتضية للتوحيد».

(القاعدة الثالثة):

مَن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله⁽²⁾.

الشرح: هذه القاعدة مفيدة جداً في توقيف الحوار مع الملحدين حول فروع الشريعة؛ لأنه حوار لا ينتهي، ولو سلّم الملحد بصدق النبي لتوقفت كل الحوارات الجانبية فَمَن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله، فيجب أن يبدأ الحوار مع الملحد بإثبات النبوة في أصلها أولاً!

(1) قصة الحضارة، ول ديورانت، مجلد 3، ص 209.

(2) الجواب الصحيح، مجلد 2، ص 34.

(القاعدة الرابعة):

ما من طريق صحيح يُثبت نبوة موسى أو عيسى أو أيِّ نبيٍّ كان من الأنبياء إلا ويثبت نبوة محمد بطريق الأولى⁽¹⁾.

الشرح: لا يمكن التصديق بنبوة نبي من الأنبياء مع التكذيب بمحمد ﷺ، وهذه القاعدة هامة في الرد على أهل الملل، إلا أنها أيضًا تؤكد للملحد أن طريق الأنبياء واحد وأن ظاهرة النبوة ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام واستمرار وبالكيفية نفسها وهذا يُعد شاهدًا علميًا يمكن استخدامه لتقرير مبدأ وجودها.

وإذا تفاضل الأنبياء في الكتب والأُمم والشرائع والمعجزات، فلن يخفى إلا على مفرط في الجهل والظلم أن نبينا أعلى الخلق قدمًا بقرآنه وأُمَّته وشريعته الكاملة ومعجزاته.. ولو أن حُكَمَ أحد الشيئين حُكْمَ مثله فكيف بما هو أولى منه؟، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(القاعدة الخامسة):

إن الإقرار بوجود ظاهرة ما لا يلغي الاحتياج إلى تفسيرها.

الشرح: تصور إنسانًا حُكِمَ عليه بالإعدام رميًا بالرصاص، وقد تراص عشرة جنود ماهرين أمامه في طابور لإطلاق النار، وأطلق كل منهم طلقاته، لكنهم لم يصيبوه. هل يكفي أن نقول: من الطبيعي أنهم لم يصيبوه بدليل أنه لم يمت، أم لابد أن نبحث عن أسباب فشل هؤلاء الجنود في إصابة الرجل؟

إن الإقرار بوجود ظاهرة ما لا يلغي الاحتياج إلى تفسيرها.

وهذه المغالطة يستخدمها الملحدون كثيرًا في حواراتهم كحل أخير للهروب من حجة العناية وحجة الخلق وحجة التصميم وحجة الإيجاد وحجة السببية وغيرها من الحجج القاطعة، وهذه المغالطة يمكن أن نسميها مغالطة الجنود الفاشلة، وتحدث عنها بإيجاز د. عمرو شريف في أحد كتبه.. والخلاصة فالإقرار بوجود ظاهرة ما لا يلغي الاحتياج إلى تفسيرها.

(1) الجواب الصحيح، مجلد 2، ص 22.

(القاعدة السادسة):

الربوبية هم طائفة عصرانية من المعطلة القدامي.

الشرح: الربوبية هم طائفة عصرانية من المعطلة القدامي، يشبتون الخلق لله ثم ينزعون عنه بعد ذلك كل شيء.. يوجدونه في الخلق ويصرفونه بعد ذلك عن كل شيء ويصرفون عنه أيضًا كل شيء.. هذه هي بداية الربوبية ونهايتها وخلاصتها.

(القاعدة السابعة):

ليست المعجزة هي الشرط الأوحد للنبوة فمدعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمبشرين قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن⁽¹⁾.

الشرح: قد يُعلم صدق الخبر الواحد بأنواع من الدلائل تدل على صدقه ويُعلم صدق خبر الواحد بقرائن تقترب بخره يعلم بها صدقه.. وكذلك أمور الكاذب وأحواله لا تدل إلا على كذبه وإذا كان المرء كاذبًا لا بد أن يظهر على فلتات لسانه وصفحات وجهه ما يناسب ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « كثير من الناس يعلم صدق المخبر بلا آية البتة،.. وموسى ابن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم: إن الله أرسلني. علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات، وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وذهبت به إلى ورقة ابن نوفل، قال: هذا هو الناموس الذي يأتي موسى. وكذلك النجاشي وأبو بكر علموا صدقه علمًا ضروريًا لما أخبرهم بما جاء به وما يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجب علمًا ضروريًا بأنه صادق.. وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترب به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا من هو أصدق الناس أو أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني»⁽²⁾.

(1) ثبوت النبوات عقلاً ونقلًا، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد يسري سلامة، دار ابن الجوزي، ص 573.

(2) المصدر السابق.

(القاعدة الثامنة):

الإلحاد يُحرر أتباعه من أية أعباء أخلاقية - بإطلاقها.

الشرح: تقييم السلوك الإلحادي على أساس قيمى أخلاقى هو تقييم خاطئ من منظور إلحادي.. لأن القيمة الأخلاقية داخل النموذج الإلحادي لا بد أن تعطي الحد الأدنى من القيمة الربحية، وإلا فإنها تفقد قدرتها على الدفاع عن نفسها وتوكيد حجيتها وأي طرح خارج هذا الإطار هو طرح ميتافيزيقي.

ولذا تقبع أخلاق الملحد بين المالا نهائيتين ويستحيل ضبطها بضابط.

فالملحد يمكن أن يتبنى نموذجًا أخلاقيًا يحيا به؛ لأنه بدهةً لن يستطيع أن يكون حيوانًا كاملًا حتى ولو أراد ذلك من كل قلبه، وحين يتبنى هذا النموذج فإنه سيتبنى نموذجًا أخلاقيًا خاليًا من الأعباء الأخلاقية - بإطلاقها -، أي سيكون على خلق ما لير يصبح هذا الخلق حجر عثرة في وجه شهواته أو نزواته أو طموحاته، ولذا في النموذج الغربي -الإلحادي جزئيًا- تتم باستمرار عمليات الإزاحة للقيم الأخلاقية باضطراد متواصل ودون عودة عن المكتسبات، ولذا تظهر جماعة النامبلا NAMBLA وتطالب بالسماح بممارسة الشذوذ الجنسي بين الرجال والأطفال؛ لأنه عمليًا لا مانع علمي، وهكذا يومًا ما سيكسب هؤلاء قضيتهم؛ لأنها قضية محايدة تمامًا بمنظور إلحادي يقبع بين المالا نهائيتين.

(القاعدة التاسعة):

ما من طريق صحيحة يحتج بها الملحد على شبهاته حول الإسلام إلا وجاءت المعجزات في طريق أصح منه.

فإذا استقامت شبهة في عقل ملحد كان الأولى أن تستقيم عشرات المعجزات التي تثبت أن نبوة محمد ﷺ في أعلى درجات النبوة.

الشرح: التسليم بصحة الطريق الذي أثبت وجود الشبهات في عقل الملحد يدفع بطريق الأولى للتسليم بصحة الطريق الذي أثبت وقوع المعجزات على يد سيدنا محمد ﷺ - ولنضرب على ذلك أمثلة:

(1) ثبت في البخاري ومسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْمَاءَ نَبَعٌ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ حَتَّى تَوْضَأَ مِنْهُ زَهَاءٌ ثَلَاثُمِائَةَ رَجُلٍ.. هَذَا حَدِيثٌ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الصَّحَّةِ فَالَّذِي يَأْتِي وَيَتَحَدَّثُ عَنْ شَبَهَاتٍ حَوْلَ تَعَدُّدِ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ لَنْ يَأْتِيَ بِحَدِيثٍ أَعْلَى دَرَجَةٍ وَمَقَامًا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَالتَّسْلِيمُ بِالْمَعْجِزَةِ أَوْلَى مَقَامًا وَأَقْرَبَ عَقْلًا وَسَاعَتَهَا لَنْ تَسْتَقِيمَ شَبَهَةٌ فِي الْعَقْلِ.

(2) رَدَّ عَيْنَ قِتَادَةَ بَعْدِ تَدْلِيلِهَا عَلَى وَجْنَتِهِ فَرَدَّهَا ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ فَبَرَّتْ عَلَى الْفُورِ وَكَانَتْ أَحْسَنَ مِنْ قَبْلِ.. وَالصَّحَابِيُّ الَّذِي كَسَرَتْ سَاقَهُ فَبَرَّتْ بِمَسْحِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْهَا.. وَبَصَقَهُ ﷺ فِي عَيْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَرَّتْ فِي الْحَالِ وَالْأَحَادِيثُ كُلُّهَا فِي الصَّحِيحِينَ.

(3) حَدِيثٌ أَمْ حَرَامٌ بِنْتُ مَلْحَانَ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ حِينَ أَخْبَرَهَا ﷺ أَنَّهَا سَتَرَكَبَ الْبَحْرَ لَتَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ فِي زَمَنِ مَعَاوِيَةَ... وَحَدِيثُ الرَّجُلِ الَّذِي ارْتَدَّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَقْبَلُهُ». فَمَاتَ الرَّجُلُ فَكَلَّمَا دَفَنَهُ النَّاسُ لَفِظْتَهُ الْأَرْضُ وَلَمْ تَقْبَلْهُ.

(4) تَكْتِيرُ الْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ حَتَّى كَانَ يَأْكُلُ مِنْهُ الْجَيْشُ، وَتَبَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ وَالْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا، وَأَشْهَرُهَا حَدِيثُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ.

(5) حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «كُنْتُ أَمْشِي فِي مَكَّةَ فَأَرَى حَجْرًا أَعْرَفُهُ مَا مَرَّ عَلَيْهِ- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّةً إِلَّا وَسَمِعْتُهُ بِأَذْنِي يَقُولُ السَّلَامَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...» وَهَذَا الْحَجَرُ الْعَجِيبُ قَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لِأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يَسْلُمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لِأَعْرِفُهُ الْآنَ»⁽¹⁾.

(6) أَمَّا إِخْبَارُهُ ﷺ بِالْمُغْيِبَاتِ فَأَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحْصَى وَمِنْهُ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَعَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ».

(1) الحديث رواه مسلم عن طريق جابر بن سمرة.

ومنه إخباره عن غير قریش ضمن تحدي أهل مكة له لإثبات معجزة الإسراء والمعراج، ومنه إخباره بقتل أمية بن خلف، وإخباره برسالة حاطب بن أبي بلتعة، وإخباره بأن الحسن بن علي سيُصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.. وكلها أحاديث في أعلى درجات الصحة.

(7) أما إجابة الدعاء في الحال فالأحاديث في الباب كثيرة ومنها الرجل الذي رفض الأكل بيده اليمنى محتجاً بأنه لا يستطيع، فقال ﷺ: «لا استطعت». فما رفعه إلى فيه والحديث رواه مسلم. وحديث نزول المطر في تبوك وغيره.

بل إن أحاديث تسييح الحصى بين يديه الكريمتين وحنين الجذع وعصمته من الناس - كما في غزوة ذات الرقاع -، وشرب 1400 من بئر لا ماء فيه في أعلى درجات الصحة من كل شبهات الملحدین مجتمعاً.

وعليه فالذي يستقيم له طريق شبهة ما، فمن طريق الأولى أن تستقيم له المعجزات السابقة مجتمعاً، والتي تقطع بأن نبوة نبينا ﷺ في أعلى درجات النبوة.

(القاعدة العاشرة):

وهي مكلمة للقاعدة السابقة وتتمه لها:

ما من شبهة يسوقها الملحد من القرآن إلا وكان التسليم بمعجزات القرآن من باب الأولى، فإذا استقامت شبهة في عقل ملحد كان الأولى أن تستقيم عشرات المعجزات والتحديات في القرآن الكريم التي تثبت أن نبوة محمد ﷺ في أعلى درجات النبوة.

الشرح: ما من ملحد يستدل على شبهة في القرآن الكريم إلا ويلزمه التسليم بمعجزات القرآن التي تثبت أنه من لدن حكيم خبير.

(1) أخبر القرآن أن الله سيردُّ رسوله إلى معادٍ أي: مكة ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَلَّا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: 85] بعد أن خرج منها مهاجراً بدينه إلى المدينة، وقد تم.

(2) وأخبره أنه سيدخل المسجد الحرام وصحابته محلقيين رؤوسهم ومقصرين، وقد تم ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: 27].

(3) وأخبره أنه بعد دخول المسجد الحرام سيكون فتح آخر وهو فتح خيبر وقد تم ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27].

(4) وأخبره أنه سوف يغني قريشاً، وقد تم ﴿فَسَوْفَ يَغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: 28].

(5) وأخبره أن أبا لهب سيموت على الكفر، وقد تم.

(6) وأخبره أن الوليد بن المغيرة سيموت على الكفر وسيصلى سقر، وقد كان ﴿سَأْصِلِيهِ سَقْرًا﴾ [المدثر: 26]، وأخبر أنه رُزق بنين كثير ويطمع في الزيادة لكن كلاً إنه كان لآياتنا عنيداً، وقد كان ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر: 16].

(7) وأخبره أن الروم ستهزم الفرس في بضع سنين ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ ② فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑤ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الروم: 2-6] مع أن هذا كان مستحيلاً بحساب موازين القوى في تلك الفترة، وقد تم.

وعليه فإذا استقامت شبهة الملحد في القرآن الكريم فالتسليم لتلك المعجزات يثبت بطريق الأولى صحة الرسالة الخاتمة، وإذا وصل الملحد لهذه المرحلة فتأويل الشبهات أو الصبر عليها حتى فهمها أولى عقلاً ومنطقاً، وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «من قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله كان صادقاً في كل ما يخبر به عن الله»⁽¹⁾.

(القاعدة الحادية عشر):

الإلحاد في الأصل ليس عدم وجود الله ولكنه اعتراض على وجوده.

الشرح: الإلحاد في الأصل لا يحدث بسبب نقص الأدلة وإنما بسبب اعتراضات - معضلة

الشر - ورفض استيعاب الحكمة الإلهية وليس عدم وجود الحكمة الإلهية.

ويمكنك أن تصنف جميع أطروحات الملاحدة في هذا الاتجاه فجميع أطروحات الملاحدة

من النوع السالب weak atheism فهذا هو أصل الإلحاد ولذا يقول الله - تعالي - في كتابه

(1) الجواب الصحيح، 2/ 34.

العزير: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾
[الأنعام: 148].

فليس عندهم من علم مستقل يؤسس لكفر، فقط يقولون كما قال الأولون: «الدين أساطير الأولين».. وينتهي الحوار على ذلك..

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ أَنْتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبَيْكَ ءَامِنٌ وَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [الأحقاف: 17].

(القاعدة الثانية عشر):

وهي مكملة للقاعدة السابقة..

لا يوجد ربوبي واحد أو ملحد واحد عنده دليل مستقل على ربوبيته أو إلحاده فقط اتباع الظن.

الشرح: هذا هو أصل الإلحاد والربوبية ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعْبِدُهُ قُلْ اللَّهُ يَكْبَدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعْبِدُهُ فَإِنِّي تَوَفَّكُونَ﴾ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا الظَّنُّ إِنْ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: 34 - 36].

(القاعدة الثالثة عشر):

The most fatal burns are painless

قاعدة طبية تعلمناها قديماً.

كلما ازدادت شدة الحرق كلما قل ألمه..

والحرق الذي يؤدي إلى الوفاة غير مؤلم بالمرة*.)

(*) للحرق ثلاث درجات والدرجة الأولى التي تقريبا جربناها جميعا هي أشد الأنواع إبلاما.. وإذا وصل الحرق للأنسجة في المرحلتين الثانية والثالثة تكون قد توقفت أعصاب نقل الإحساس عن العمل نظرا لتأثرها بالحرق... وفي المرحلة الثالثة التي تكاد تكون قاتلة ينتهي عمل عصب الإحساس تماما.. ولذا=

الشرح: هذه القاعدة هامة للغاية عند النقاش حول معضلة الشر...، فظاهرياً في مسألة الشر على وجه الخصوص تسير الأمور ليس على ظاهرها أو كما يتبدى للوهلة الأولى..، ثم إن إسقاطات الملحد عادة تكون تمييزية إلى حد كبير، فلماذا يعترض على موت طفل صغير مثلاً ولا يعترض على موت شيخ كبير؟ ما الفرق بيولوجياً؟ هذا استوفى أجله البيولوجي وكذلك الشيخ الكبير!!..

(القاعدة الرابعة عشر):

Appendix is the tonsil of GIT⁽¹⁾

الزائدة الدودية بالنسبة للجهاز الهضمي كاللوزتين بالنسبة للجهاز التنفسي.

الشرح: الزائدة الدودية بالنسبة للجهاز الهضمي كاللوزتين بالنسبة للجهاز التنفسي.. هذه قواعد طبية حديثة.. ثم يأتي ملحد نزق الأخلاق يتحدث عن أعضاء أثرية أو بلا فائدة.. مشكلة الملحد في هذه القضايا أنه يضع إلحاده في مواجهة العلم فكلما توسعت مكتشفات العلم ضاق الخناق على الملحد وظهرت فوائد تلك الأعضاء فالزمن لا يحمل إلا النكد للملحد.

(القاعدة الخامسة عشر):

ما أبعد أحكامه سبحانه وتعالى عن الفحص، وطرقه عن الاستقصاء.

الشرح: هذه القاعدة هامة للغاية في بيان أن أصل مقاصد حكمة الله غائبة عن عامة البشر، ولا تتجلى إلا لقليل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۖ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ء إِنَّا عَدَاءُ نَا لَقَدْ لَعِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۖ ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءِثَارِهِمَا قَصَصًا ۖ ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءِابْتَنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۖ ﴿٦٥﴾

= فالحرق المؤلم هي حرق الجلد فحسب ولذا يقول تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾ {النساء:56}. أعاذنا الله من نار الدنيا والآخرة.

(1) Surgical anatomy Dr.elmatary MD Ain shams University p.187.

قَالَ لَهُ، مُوسَى هَلْ أَتَيْعَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَنِ وَمَا عَلِمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خَبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَا لِتُخْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي فَدَ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقْصَمَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَمَشَّطْنَا عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ، كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

[الكهف: 60 - 82].

فُهنا جلى الله الحكمة لسيدنا موسى في بعض الأفعال التي تُعد ظاهرياً شيئاً منكراً، وغير مُستساغ.

وكم من الصّعب التي واجهناها بادئ الأمر بكثير من التشاؤم، وخيبة الأمل، وبعد زمن وجدناها مفاتيحٍ لخيرٍ عظيم.

ولا يجوز للملحد أن يحتجّ في باب الحكمة الإلهية بشيء؛ لأن الملحد بدهاءةً ليس كلى العلم، ولا يعرف ما في غدٍ حتى يُقرر ويعطي نظرة شمولية لمسألة لم يستوعبها.

أصل الإلحاد

الإلحاد منهج كهنوتي لأنه دين متكامل يعطي رؤية فلسفية متكاملة للوجود والحياة، لكن في رؤيته تلك يعتمد على أفكار ميتافيزيقية ربما يفوق فيها الوثنيات مجتمعة فهو يقول بأزلية المادة مع أن العلم أثبت خلاف ذلك، ولا يوجد دليل واحد على مقولته تلك، وينكر

برهان السببية الذي هو أعلى من القانون وعليه تسير كل قوانين الدنيا، ويؤمن بنسبية الأخلاق ومع ذلك يُخرج شبهات أخلاقية من الأديان- لا أدري كيف-، ويُسلم بمطلقية الداروينية على الرغم من عدم وجود macro-evolution واحدة ثابتة علمياً، الأمر كهنوتي يحتاج لبعض المباخر والمجامر في كنيسة إلحاد ينتظم في قداسها شمامسة ملحدين صغار!

فالإلحاد يقوم على الدعاوى الميتافيزيقية كالدين تماماً.. هذه بداية الإلحاد الحقيقية ونهايته.. وكذلك الدين

لكن ثمة فارق جوهري بين الطائفتين...، فالإلحاد لا يملك مستنداً ومُنتهى خبره الحِس، بينما يزعم الدين أنه يملك ذلك المستند.

فمشكلة الإلحاد الأولى والأخيرة أنه لا يملك دليلاً مستقلاً قائماً بذاته، وإنما يستمد قوته باستمرار من خلال نفي أدلة الآخر، وعندما يقوم بالنفي لا يعتمد أدلة مستقلة خاصة به، وإنما أيضاً يتطفل على الآخر سواءً كان هذا الآخر نظرية علمية أو سفسطة يونانية أو مضاربة دين بدين آخر أو الخروج بلا أدوية وقتية..

كُل هذه الأمور تُثبت أنّ الإلحاد مجرد لعبة عقلية تتم على مستوى القشرة الخارجية للمخ، وليس بدهية مركبة في البشر..

فاللأدوية الإلحادية ليست موقف مُريح في حياة البشر.. بل هي مرحلة طارئة.. موقف عارض ومرحلي هكذا يمكن تفهمها.. وسرعان ما يستقر الإنسان على ثوابت.. ولو كانت اللأدوية غاية وجودية لما حدث أي تقدم يُذكر في حياة البشر، فلو كان الشك وعدم الفهم والنفي الكلي حالة مُريحة ومُمتعة ما حصل تقدم في حياة البشر، وبما أنه يوجد تقدم في حياة البشر إذن البديهة المُركبة في البشر هي الوصول للحقائق والاستقرار عليها، إذن النسبية والتذبذب واللأدوية الإلحادية مُخالفة لما فُطرنا عليها...، فما معنى أن يعيش الإنسان ويموت تحت هذا المُسمى بين الإلحاد واللأدوية؟

ولذا يظل الإلحاد كما هو منذ البدء مجرد فلسفة طفيلية في التاريخ البشري، وكما يقول المؤرخ الإغريقي [بلوتارك]: «لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد». وكما يؤكد ذلك [ول ديورانت] في

موسوعته العملاقة قصة الحضارة حين يقول: «ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين ظاهرة تعم البشر جميعاً اعتقاداً سليماً»⁽¹⁾.

فلا توجد قرية ولا نجع ولا حارة ولا حضارة ولا أمة بغير دين، هذا الكلام ثابت عبر الزمان والمكان.. ولذا تقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة [كارين أرمسترونج] - التي تركت الدير والرهبنة وكفرت بالمسيحية - في كتابها الأخير مسعى البشرية الأزلي الله لماذا؟...؛ بأن الإنسان ليس homo sapiens sapiens وإنما هو homo religiosus فالإنسان ليس حيواناً عاقلاً وإنما إنسان ديني. فالإلحاد فلسفة طفيلية وقتية ليس لخطأ أدلته فما أكثر الوثنيات الخاطئة، ولكن لعدم وجود أدلة أصلاً.

ولذا يمكن تصنيف الإلحاد تحت بند الحقد على الدين أو ترك الدين لا أكثر... من خلال لعبة عقلية تجري على مستوى الـ cortex وسفسطة إنكارية سالية.

الإلحاد هو مصدر الوثنية عبر كل العصور

يعني الإلحاد في صورته النهائية التجرد من كل مُقدَّس، والتخلُّص من كل قيمة تتجاوز العالم المادي، بينما تقوم الوثنية على تأليه الماديات، وتقديس حتى الجمادات، وظاهرياً من المُحال بمكان أن يجتمع الإلحاد والوثنية، لكننا سنكتشف في هذا المقال أن الإلحاد هو أصل جانب كبير من الوثنيات على الأرض.

يرى علماء تاريخ الأديان أمثال [لانج] Lange و[باسكال] Pascal و[شميث] Schmitt و[بروس] Bruce و[كوبرز] Coopers وغيرهم، أن التوحيد وعبادة الله الواحد كانت سابقةً على التعدد وصناعة الآلهة الوثنية.⁽²⁾

لكن لماذا ترتدُّ البشرية في كل مرة، وتعود لتعدد الآلهة الوثني اللاعقلاني؟ يكون التبرير المستمر لهذه القضية أن هذا من باب تحريفات السحرة والكهّان على الدين الحق -دين التوحيد-.. لكن يظل السؤال قائماً ما الذي يدفع السحرة والكهّان لهذا الأمر؟

(1) ولد يورانت كتاب قصة الحضارة، م1، ص99.

(2) andrew lang: the making of religion..New York 1968.

في البداية لا خلاف على ربحية الوثنية من الناحية المادية، فالوثنية توفر غطاءً سخياً يُبرر المتع الذنوبية والجنسية المحرمة بلا مُقابل أو رادع أُخروي، فالوثنية هي التفلت المُستمر من تكاليف شرائع الأنبياء، ولذا كانت الوثنية عبر الزمان مرتع الشيطان في إغواء ابن آدم، كما في الحديث القدسي: «إني خلقتُ عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»⁽¹⁾.

لكن هل كان شيطان الجنِّ هو اللاعب الوحيد في الساحة؟ أم أن ظهور شياطين الإنس من الملاحظة كان له دورٌ أسرع في نشر الوثنية والإغواء بها وتفشيها بين الأمم والحضارات والثقافات؟!!

إن أبسط دراسة أكاديمية للجمعيات السرية حول العالم، تُقدم أدلة دامغة على دور الإلحاد في نشر الوثنية، يقول المفكر الشهير [مايكل هوارد] Michael Howard «إن أتباع الجمعيات السرية يُعانون من حالة مرضية، تم تشخيصها على أنها بُغض الدين، ويكفي أن آدم وايسهاوت Adam Weishaupt أبو الحركات الماسونية كان مريضاً بهذا المرض»⁽²⁾.

و يمكن ملاحظة هذه النتيجة من متابعة الحركات الوثنية المعاصرة، فعبدة الشيطان هم ملاحظة لا يؤمنون بالله ولا بالشيطان، فالشيطان هو رمز للشهوة وليس معبوداً لذاته.

يقول [بيتر جيلمور] Peter Gilmore الرئيس الحالي لكنيسة الشيطان بأمریکا: «نحن لا نؤمن بأي قوة خارقة للطبيعة.. لا نؤمن بالإله بل ولا نؤمن بالشيطان نفسه...؛ فالشيطان هو مجرد رمز للشهوة الإنسانية... والشيطان ليس كينونة موجودة أصلاً لتُعبد»⁽³⁾.

وهذا أمرٌ بدهيٌّ فأتتون ليفي Anton LaVey مؤسس مذهب عبادة الشيطان، والذي أسس كنيسة الشيطان بسان فرانسيسكو San Francisco كان ملحداً، فالإلحاد هو مصدر عبادة الشيطان، وعبدة الشيطان هم الملاحظة⁽⁴⁾.

(1) صحيح مسلم، حديث رقم: 5109.

(2) Michael Howard, Occult Societies, 1st ed., London: Rider, 1989, p. 63.

(3) <http://www.churchofsatan.com/Pages/Feared.html>.

LaVeyan Satanists are atheists and agnostics.

(4) <http://en.wikipedia.org/wiki/Satanism>.

إن الوثنية بكافة طقوسها، وعبادة الشيطان، وتعدد الآلهة بكافة شركياته، مسوَّغ رائع للانغماس في الشهوات والفجور والجرائم.. تصوّر شخصاً حاقداً على الأديان، وهارباً من تكاليف الشريعة، وباحثاً عن الشهوة بأي ثمن، إن هذا الشخص من البدهي أن ينضوي تحت أي لواء يُحقق رغباته فيصير وثنيّاً، أو ينضم لجماعة مُنظمة ويصير من عبدة الشيطان، فعبادة الشيطان هي مذهب إلحادي مائة مائة بالمائة.

وإذا نظرنا إلى تجمع وثني آخر وهو جمعية الفجر الذهبي الوثنية بأوروبا Order of the Golden Dawn، وهي جمعية سرية تؤمن بطقوس وثنية وسحرية شاذة، وأيقونة موقعها الرسمي عبارة عن معبد وثني⁽¹⁾.

ولا يؤمن أتباع تلك الجمعية بهذه الوثنيات، ولا يُلقون لها بالاً، لكنه نوع من التفريغ الروحي ولون من الاستدارة على الأديان حتى لا يتصفوا بالإلحاد.

وقد أسس تلك الجمعية [إليستر كرولي] Aleister Crowley وهو المؤسس للعديد من المحافل الماسونية عبر العالم، وهو فيلسوف شهير وصاحب المقولة الإلحادية «أفعل ما تُحب هذا هو أصل القوانين»⁽²⁾.

وهذه المقولة تحليل إلحادي مادي لحياة الإنسان وغائته في غياب المرجعية الدينية، وفي غياب التعويل على أية قيمة أو مبدأ.

وإليستر كرولي هو جد [جورج بوش] George W. Bush من أمه وهو ملحد شاذ جنسياً، وقد وجد في الجمعيات الوثنية ضالته في الدعوة للإباحية الجنسية إلى أقصى درجة، والنقمة على الأديان⁽³⁾.

وتمتليّ جنبات العالم بالكثير من الجمعيات التي ظاهرها وثنية بينما هي إلحادية حتى النخاع، فهناك الرابطة الأخوية السوداء، أو الجمجمة والعظمتين Skull and Bones، وهي جمعية وثنية شهيرة تتبّع جماعة المستنيرين الإلحادية Illuminati التي أسسها الملحد

(1) <http://www.hermeticgoldendawn.org/>.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Aleister_Crowley.

(3) المصدر السابق.

الشهير [آدم وايسهاوت] Adam Weishaupt، الذي تحدثنا عنه قبل قليل، وكان آدم وايسهاوت قسًا للجزويت Jesuit ثم أُلحد وقام بتأسيس الجماعة للقضاء على الدين في أوروبا⁽¹⁾.

وهناك النادي البوهيمي فخر الأندية الوثنية الإلحادية، وأشهرها على الإطلاق، ويشتهر بأنه نادي العراة، أعضاؤه ملاحدة يقومون باحتساء الخمر من الصباح حتى المساء، ثم يقومون بطقوس وثنية خاصة، وتأتي شهرته من ارتباطه بشخصيات سياسية واقتصادية مرموقة في المجتمع الغربي⁽²⁾.

ونستخلص مما سبق أن المشكلة هي عبث الملحدون الأزلي بالأديان، وهو عبث غير ظاهر في الغالب خوفًا من بطش الشعوب ونقمتها، فيتظاهرون بالوثنية أملًا في انحراف الشعوب عن عقائد الأنبياء، فالإلحاد هو الشر المتربص بالعالم، وهو مصدر رئيس من مصادر الكُفريات والوثنيات والفلسفات الهابطة، التي انتشرت وما زالت تنتشر في أرجاء المعمورة.

أصل الحروب

الحرب في الإسلام والإلحاد.

معركة الدين ليست مع أعراق أو أجناس.

معركة الدين لا علاقة لها بآبادة أو تطهير عرقي.

معركة الدين لم تقم يومًا ما من أجل لون البشرة، وما تبع ذلك من تفريغ قارات بأكملها- كما حدث عند تفريغ الأمريكتين من الهنود الحمر-.

معركة الدين ليست بسبب جنس مختار favoured race، ولا مقاس جمجمة محدد- كما تقرر النازية والقوميات الأوربية في الحربين العالميتين-.

(1) http://www.bibliotecapleyades.net/esp_sociopol_illuminati.htm.

(2) أعضاء النادي البوهيمي طبقًا للموقع الرسمي، يحتسون الشراب ثم يقومون بطقوس وثنية خاصة. they drink heavily from morning through the night, bask in their freedom to urinate on the redwoods, and perform pagan rituals

<http://www.sonomaountyfreepress.com/bohoh/bohofact.html>

معركة الدين الحقيقية مع الباطل، أينما وُجد، وفي أي مكانٍ قامت له دولة. وهذا واجب الدين، بل لن يكون دين سماوي بدون مسئولية عظيمة كهذه تلقى على عاتقه.

وقد ربّي الدين أتباعه على التطلع إلى الأجر الأخرى، دون النظر إلى المنافع المادية العاجلة التي تحصل للمرء كغنائم ونحو ذلك، وهذا يتضح جلياً في قول رسول الله ﷺ: «ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصبوا غنيمة تم لهم أجرهم»⁽¹⁾.

هذا في الوقت الذي تُعتبر فيه المنافع المادية غاية في الحروب الإلحادية التي جرت عبر التاريخ، ومن هنا ظهرت الداروينية الاجتماعية Social Darwinism، وهي أشهر مدرسة لإباحة القتل الجماعي في أوروبا في القرن العشرين، باسم التطور والبقاء للأصلح، والإلحاد الحتمي المادي، الذي لا يرحم.

وكلمة داروينية اجتماعية Social Darwinism، تعني في أحد اصطلاحاتها «الأقوى يُسيطر ثقافياً وفكرياً وبيولوجياً، والضعيف ينسحب بهدوء إلى أن يموت»⁽²⁾.

وإن أية محاولة لمعادنة هذه المدرسة -لدى أتباعها- هي محاولة فاشلة؛ لأنها تأتي ضد التطور وضد قوانين الحتمية المادية التي تسري على الوجود.

يقول الدارويني [جيمس هيل] James J. Hill: «إن الثروات تُحدّد تبعاً لقانون البقاء للأقوى»⁽³⁾.

وانظر إلى تايل Tille كيف يُنكر كل القيم الإنسانية التي استقرت في الوجدان البشري، ويضرب بها عرض الحائط، فلا معنى للتسامح أو التعاطف مع الفقراء، بل إن الإحسان لا وجود له في قاموسه الإلحادي، لأنه يتعارض -ببساطة- مع مفهوم الداروينية، يقول: «من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفقر أو الإفلاس أو مساعدة الضعفاء أو محدودى الإنتاج.. مجرد

(1) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، حديث رقم 3528.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Social_Darwinism.

(3) Martin, James J. Hill pp 41 15.

مساعدة هؤلاء خطأ جوهرى في النظرية الدروينية؛ لأنه يتعارض أساساً مع الانتخاب الطبيعي natural selection وهو جوهر الداروينية»⁽¹⁾.

وطبقاً لهربرت سبنسر Herbert Spencer فإن «فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم تعارض أبسط بدهيات الانتخاب الطبيعي، إن مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم، تأتي ضد قانون صارم من قوانين الطبيعة، ألا وهو قانون البقاء للأصلح»⁽²⁾.

ولولا بقاء من قشرة الحضارة الزائفة، لقالوها وبكل وضوح:

ما الفرق بين الإنسان والبكتريا؟

ما الفرق بين قتل ملايين البكتريا بمجرد غسل اليدين وبين إبادة حضارة بشرية بأكملها؟
لماذا البحث عن غائية للإنسان؟

هذا هو الإلحاد، وهذا هو أصل معركته وشعارها وديثارها، وفي هذا السبيل قامت حربان عالميتان أبيد فيهما قرابة 120 مليون نسمة، وكانت حروب من الدموية بحيث أرجعت كلاً من المنتصر والمهزوم ثلث قرن إلى الوراء، فالحربان العالميتان اللتان أبادتا حوالي 5 % من سكان العالم كانتا نزاعاً إلحادياً إلحادياً.

فالإلحاد حرر أتباعه من أية أعباء أخلاقية، فالحروب العالمية كانت دائماً نتاج المجتمعات الأرستوقراطية الملحدة، والإلحاد هو الذي زوّد الإمبريالية الغربية بإطار نظري لإبادة الملايين باسم العرقية المادية، والبيولوجية الداروينية، فظهرت اليد الخفية عند [آدم سميث]، والمنفعة عند [بنتام]، ووسائل الإنتاج عند [ماركس]، والجنس عند [فرويد]، وإرادة القوة عند [نيتشه]، وقانون البقاء عند [داروين]، والطفرة الحيوية عند [برجسون]، والروح المطلقة عند [هيجل]، وظهرت مصطلحات إلحادية مثل: روح العصر، وعبء الرجل الأبيض، والعبء الحضاري⁽³⁾.

(1) Williams, Raymond. 2000. Social Darwinism. In Herbert Spencer's Critical Assessment. John Offer.

(2) Social Status, p.41 415.

(3) العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة د. عبد الوهاب المسيري دار الشروق طبعة 2002 المجلد الأول ص 240.

وقد اعتبر الليبرالي الشهير - رئيس الولايات المتحدة السابق - جون كوينسي آدمز John Quincy Adams أن حرب البيض ضد الهنود الحمر هو قانون الطبيعة، ولهذا القانون تطبيقاته الواسعة جداً⁽¹⁾.

فاستئصال طبقة كاملة من الناس ما كان ليحدث لولا الحداثة، وقد اعتبر الليبراليون الأوائل أن إبادة الهنود الحمر نوع من الدفاع الشرعي، ونتيجة لذلك: تقلص عدد الهنود الحمر من 10 مليون الى 200 الف نسمة خلال سنوات قليلة ولذا يقول [سيمون بوليفار] Simón Bolívar محرر أمريكا اللاتينية: «يبدو أن الولايات المتحدة تسعى لتعذيب وتقييد القارة باسم الحرية»⁽²⁾. وليست إبادة الملايين في أرخبيل الكولاج The Gulag Archipelago على يد لينين وستالين، إلا من خلال مبرر إلحادي شيوعي، وليست إبادة 22 % من سكان كمبوديا إلا بمبرر إلحادي على يد [بول بوت]، وليست إقامة الحرب العالمية الثانية كلها إلا بمبرر قومي مادي ألماني على يد [أدولف هتلر]، وليست الثورة الثقافية في الصين التي راح ضحيتها 22 مليون نسمة إلا بمبرر إلحاد ماوي Mao zedong، فالحرب في الإلحاد غاية في ذاتها، والمكاسب المادية وتفريغ القارات من البشر، وتطهير الأعراق ليست كلها لإفراقات داروينية اجتماعية.

اقرأوا إن شئتم ما كتبه [تشارلز داروين] في كتابه «أصل الإنسان»: «وإذا ثبت مع الوقت أنه توجد خصوبة كاملة بعد التهجين بين الأعراق الإنسانية المختلفة فإن هذا الأمر ليس من شأنه أن يعوقنا عن تصنيف الأعراق البشرية على أنها أنواع متباينة لكائنات حية مختلفة، يتم استبدالها في شتى أنحاء العالم»⁽³⁾.

يقول [ريتشارد فيكارت] Richard Weikart: «لقد نجحت الداروينية أو تأويلاتها الطبيعية، في قلب ميزان الأخلاق رأساً على عقب، ووفرت الأساس العلمي لهتلر وأتباعه، لإقناع أنفسهم ومن تعاون معهم، بأن أبشع الجرائم العالمية، كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة»⁽⁴⁾.

(1) Robert Remini, John Quincy Adams 2002.

(2) ناعوم تشومسكي الايديولوجية والاقتصاد ص6.

(3) نشأة الإنسان The descent of man.. تشارلز داروين.. ترجمة مجدي محمود المليجي.. المجلس الأعلى للثقافة 2005.. ص 404.

(4) Richard Weikart.. From Darwin to Hitler... p.215.

لكن الإنسان له روح خاصة مستقلة عن جميع المخلوقات؛ فهو ليس مُفصَّلاً على طراز داروين، ولم يوجد من أجل الصراع، إنما وُجد لعبادة الله من إقامة الحق أياً كان من اتبع الحق سواء كان أبيض أو أسود، أما العقل الإلحادي المادي فقد قام بتفكيك البشر بصرامة بالغة ليس فيها موطنٌ للمشاعر الإنسانيّة، والقيم الروحيّة.

أصل الأخلاق

الأخلاق مُطلقة... وليست نسبية...

فالأخلاق موضوعية لا ذاتية فهي لا تعتمد على رغبات البشر أو نزواتهم، فالخير خير عند الصالح والطالح، والشر شر عند الصالح والطالح، فالأخلاق تعتمد على شيء خارج الذهن البشري، تعتمد على إرادة الله التي يريد لها لهذا العالم، فالأخلاق لها غرضية كونية فيها الاستقلال عن أفكار البشر ورغباتهم، والقيم الأخلاقية يعتنقها كل إنسان بوعي أو بغير وعي.

والأخلاق لا يوجد فيها تطور... والإنسان هو العنصر الثابت في تاريخ العالم..

لقد دخل الإنسان التاريخ برأس مال أخلاقي مبدئي هائل.

إن الأخلاق لها موجات صعود وهبوط ولكن لا تطور فيها على الإطلاق، فمن وجهة نظر الأخلاق فإن العصر الحجري الحديث يعتبر انتكاسه في القيم الأخلاقية عن العصر الحجري القديم فالأخلاق في استقلال عن الزمن.

كانت أمريكا عند اكتشافها متخلفة من خمسة إلى ستة آلاف سنة ولم تكن قد لحقت بالعصر الحديدي بعد، لكن بالمقياس الأخلاقي كانت أرقى من العصر الحديث، ورسوم معبد بونامباك للهنود الحمر التي تبين معضلة الأخلاق، هذه الرسوم تجد مكانها داخل أعظم متاحف العالم.. وفن النحت لحضارة المايا يمثل مدرسة أخلاقية كاملة.. وهذه حقائق لا جدال فيها.

إن الأسباب الغزاة كانوا أخطأ أخلاقياً من قبائل الهنود الحمر.

والفلسفة الأخلاقية بعد أفلاطون لم تُحقق أي تقدم على الإطلاق.

وكتابات شيشرون في الأخلاق لا تزال صالحة إلى اليوم.

وأفكار أرسطو الأخلاقية ومسرحيات سوفوكليس المأساوية يمكن وضعها في أي عصر من العصور لتناسبه.

وقد ألف يوربيدوس Euripides مسرحية نساء تروجان الأخلاقية في أزمان ما قبل التاريخ وأكملها سارتر بعد آلاف السنين دون فجوة زمنية تذكر.

إن أخلاق الأقيانوسة - وهي أكثر مناطق العالم تخلقاً - لا تختلف عن أخلاق أي منطقة متحضرة بالعالم، وفنون الأقيانوسة التي تسرد وقائع أخلاقية تجد مكانها في المتاحف الأوربية والأمريكية ولا ثمة فجوة حضارية بينها وبين مثيلاتها الغربية.

إن القاعدة التي لا خلاف عليها أن الأخلاق لم تخط خطوة واحدة إلى الأمام منذ العصر الحجري القديم، فجميع معلمي البشرية سواء كانوا أنبياء أو مصلحين جميعهم علموا البشرية الأخلاق نفسها، وعندما نسرد تاريخ الأمم عبر كل العصور نجد الاختلاف في السلوكيات الرسمية فحسب أما في قواعد الأخلاق وفي القيم الأخلاقية فلا نجد توافقاً بل تطابقاً مطلقاً، وهذه القاعدة تُسمى عند الفلاسفة قاعدة الالتزام المطلق، كما عرفها كانط في كتابه أسس ميتافيزيقياً الأخلاق...!!

فالأخلاق لا تطور فيها⁽¹⁾.

إثبات وجود الله!

إثبات وجود الله ونفي وجوده هو من باب الجدل بالباطل لا أكثر.. ﴿وَجَدِلْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: 56].

المسألة كلها جدال بالباطل لا أكثر.. إذ كيف يقوم الدليل على أصل الدليل وعلى خالق الدليل والذي وهب أذهاننا استيعاب الدليل..

كل شيء يصدق بالخلق المباشر وعجيب الصنعة.. مثلاً جميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي توجد مشفرة في نواة الخلية داخل شريط ال DNA في الكائن الحي بنظام التشفير

(1) بعض الفقرات مقتبسة من كتاب الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفيتش.

الرباعي C G T A هذا التشفير لو قُمنّا بنسخه على الورق فإنه يملأ 1000 مجلد بواقع 500 صفحة لكل مجلد.

نظام التشفير الرباعي هذا موجود في أدق الكائنات على وجه الأرض وأكثرها تعقيداً... أيضاً نظام التشفير الرباعي C G T A ظهر مع أول الكائنات على وجه الأرض - السيانو باكتريا - ويظل نظاماً حكرياً لكل الكائنات بلا استثناء... فيروسات بكتريا ثدييات نباتات زواحف أسماك حشرات بريونات.... نظام حكري عجيب للغاية واحد في كل الكائنات يدل على وحدة الخالق.

نعم نظام واحد وطريقة واحدة وخطة واحدة تشمل كل الكائنات على وجه الأرض تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على وحدة الخالق ووحدة طريق.. إذ لو كانت الأمور صدفوية أو عبثية لظهرت أنظمة وخطط وطرق بعدد الكائنات على وجه الأرض..

ثم أصلاً ما معنى تشفير؟

ولماذا يتيح التشفير هذه القاعدة المعلوماتية العملاقة التي يتواجد بها كل ما يحتاجه الكائن الحي - أيّاً كان نوعه - ويتحدد من خلالها كل خصائص الكائن ووظائف أعضائه وكل ما يحتاج إليه طيلة عمره؟

نظام تشفير يقوم على ترتيب ملايين القواعد النيروجينية بتناسق غاية في الدقة، فهل يُعقل أن هذا الترتيب صُدفوي أو عشوائي.....؟

ثم كيف للصدفة أن تُنشئ أنظمة تشفير وتُحدد المطلوب مُستقبلاً وبدقة متناهية؟

فالتشفير عملية في غاية الذكاء والإعداد للمستقبل والضبط بعناية..!!!!!!

وتشمل عملية التشفير تخزين المعلومات ونقلها وحفظها واستخدامها بعد ذلك عند الحاجة

وليس مجرد التشفير!!

هذا التشفير يؤكد أن ربنا وحده الذي أعطى كل شيء خلقه وصورته وهيبته بمنتهى الدقة والكفاءة قبل أن يُخلق ويُصور.. قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: 50].

لكن عملية التشفير تفرض معضلة أكبر ولغزًا أعمق، فهذه المعلومات كالكلمات المطبوعة على ورق كالشفرات المضغوطة على اسطوانة CD تحمل أدق تفاصيل الكائن الحي لكنها مجرد شفرات لا أكثر، كيف تنتقل هذه الشفرات إلى تشكيل الكائن على هيئته الحقيقية؟

كيف تتحول المعلومات إلى وجود حقيقي في الكائن الحي؟

كيف تتحول كلمات نخطها على أوراق نَصِف فيها هيئة إنسان، مهما بلغت تفاصيلها ودقتها، إلى إنسان حقيقي (من لحم ودم)؟!؟

ويبقى التساؤل الأهم من الذي وضع الشفرة قبل فك التشفير؟

ثم كيف يتم طي هذا الشريط العملاق الذي لو أصبح سُمكه في سمك الشعرة فإن طوله سيتجاوز 100 كيلو متر.. بحيث يقبع في نواة الخلية ولا ننسى أن خمسين خلية كاملة لن تملأ هذه النقطة في نهاية الجملة.

أيضًا هذه المنظومة التشفيرية العملاقة في أبسط كائن وأعقدها أولها وآخرها تعمل بمساعدة إنزيمات، والتي هي أيضًا بروتينات تتواجد معلوماتها مُشفرة داخل ذلك الحمض النووي، إذن هذه خاصية من التعقيد غير قابلة للاختزال ولا للتدرج ولا للصدفة.. إما تكون أو لا تكون.

ولو افترضنا للحظة أن البروتينات تشكلت بنفسها فإن هذا مجرد لغو فارغ؛ لأنها لا قيمة لها من تلقاء ذاتها.

ثم كيف قامت بتشفير نفسها داخل نواة الخلية؟ ثم كيف قامت بفك التشفير الذي يتطلب إنزيمات غاية في التعقيد والتخصصية؟ والجسم يحتاج إلى ثلاثة مليارات قاعدة نيتروجينية في كل خلية بترتيب وتناسق غاية في الدقة وهذا الأمر يشمل 100 تريليون خلية.. هل يُعقل أن هذا الترتيب صدفوي أو عشوائي... ثم كيف للصدفة أن تُنشئ أنظمة تشفير وتحدد المطلوب مُستقبلًا وبدقة متناهية؟

لكن سنفترض أننا وضعنا نظام تشفير داخل الكائن، وبعد ذلك تركنا ذلك الكائن لصدفوية ترتيب قواعده النيتروجينية، ساعتها سنحصل على كائن واحد صحيح كل مليارات الأعوام وبصحبته ملء المجموعة الشمسية كائنات غير صحيحة.

هذا في حالة أننا وضعنا التشفير وتركنا الصدفة بعد التشفير، فما بالناس بالذي يفترض أن الموضوع من أوله لآخره صدفة؟

عند هذا الحد يتحول الأمر إلى سفسطة مستحيلة ولعبة سخيفة.

إذ كيف قام هذا الكائن بتشفير المعلومات داخل جسده؟

ما أدراه بآلية التشفير الرباعي؟

ولماذا يشفرها؟

بل إن التشفير يسير عكس القانون الثاني للترموديناميك..- وطبقاً لهذا القانون فإن كل شيء يسير نحو التفكك والهدم والتحلل إلى أن يحدث THERMAL DEATH OF UNIVERSE - لكن التشفير عملية واعية تبني وتُعقد، إذن هي تسير عكس قانون حتمي من قوانين الطبيعة وهو القانون الثاني للديناميك الحرارية!

كيف يتسنى للطبيعة أن تكسر قوانينها؟

كيف يتسنى للتشفير أن ينشأ؟

التشفير عملية خلق واعية.....عملية تسير عكس قانون كوني فتحتاج لتدخل إلهي في كل لحظة، وإلا ما بدأت ولا ظهرت ولا استمرت!⁽¹⁾.

ماذا قبل وجود الكون

الوجود الفيزيائي.. الشيء يكون موجود فيزيائياً - أي أن وجوده حقيقي - إذا كان مقدار طاقته الكلية مضمروباً في فترة وجوده مساوياً أو أكبر من ثابت بلانك...

إذن يستحيل فيزيائياً إثبات وجود شيء قبل 10 أس - 46 ثانية من عمر الكون.. عند هذه النقطة تتساوى علومنا جميعاً وتتوقف فوراً.. إذن ما الذي يدفع الملحد لقول ميتافيزيقي لا دليل مادي عليه وهو أن الكون لم يسبقه عدم، أو ليس له صانع؟

(1) ملحوظة: هذا المقال ذكرت شيء منه سابقاً في الفصل السادس تحت عنوان نظام التشفير داخل الخلية، لكنني أحببت أن أطرح بعض الإضافات هنا خاصة مع أهميته الشديدة.

ما الفرق بين الإلحاد إذن وأي ديانة صحيحة أو باطلة... كلاهما يقول دعاوى ميتافيزيقية مجردة. وهذا يؤكد ما سطرناه في المقال السابق في تعريف الإلحاد أنه «يقوم على الدعاوى الميتافيزيقية كالدين تماماً.. هذه بداية الإلحاد الحقيقية ونهايته.. وكذلك الدين؛ لكن ثمة فارق جوهرى بين الطائفتين... فالإلحاد لا يملك مستنداً مُنتهى خبره الحس، بينما يزعم الدين أنه يملك ذلك المستند»:

سأذهب الآن لافتراض سفسطي

أنا سأفترض أن الكون يسبقه وجود مادي.

بل وسأفترض أن هذا الوجود المادي لا أول له

بمعنى آخر - حوادث لا أول لها -.

هذا هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية.

فلا إشكال عندنا نحن المسلمين فيما قبل لحظة الخلق الأولى، فقد انتصر شيخ الإسلام ابن تيمية للقول بأن المخلوقات سلسلة من حوادث لا أول لها، أي أن كل مخلوق قبله مخلوق قبله مخلوق وهكذا، فكل مخلوق له بداية ونهاية وكل مخلوق مسبوق بمخلوقات أخرى... وهذه عبارة لا دليل على استحالتها عقلاً ولا نصّاً، بل النصوص تؤيدها فالله هو الخالق وهو الخلاق وخلقهم مستمر....، وهناك فرق كبير بين حوادث لا أول لها وهذا لا ينفيه لا العقل ولا النص، فالله يخلق منذ الأزل وهو الخلاق... وبين مقولة قدم العالم وأزلية المخلوقات، وبداهة القول بأزلية العالم المشاهد صارت خرافة فهو حتماً له لحظة بدأ فيها، وهذا هو عين ما انتصر له شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله.

سأنتقل لنقطة أكثر داهشية، يفترض متكلمو المسلمين منذ القرن الثاني الهجري - العاشر الميلادي - أن العدم هو مجرد جواهر غير متحيزة virtual particles، وغير المتحيز هو ما لم يظهر للوجود.. بتعريفنا المعاصر لم يتخط بعد حاجز بلانك..

هل لو ظلت العلوم الفيزيائية الكوانتية ترمج مفرداتها ألف مرة لتعريف العدم هل ستتجاوز هذه العبارة؟

إن الإلحاد بموقفه الدوغمائي عما قبل وجود الكون يمثل ردة ميتولوجية لا أكثر.

مراتب الأدلة المنطقية

تتراوح الأدلة العلمية في حجيتها على البرهان الرياضي والدليل العقلي والدليل التجريبي وفي الأخير يأتي الدليل الحسي.. هذا بخصوص الأدلة العلمية.

والمعرفة ليس مصدرها دليل علمي فقط.

بل المعرفة تعتمد على المهاديات الأربع؛ العقل والنقل والتجربة والوجدان.

إذن عندما يقرر الملحد مسخ علم المنطق بأكمله ومسح كل مراتب الأدلة، والإبقاء على أضعفها وهو الدليل الحسي، هذا يعني أنه يقف في وجه العلم لا في وجهنا نحن.. إذن مشكلته مع مقررات العلوم وليست معنا نحن!!

سأخبركم عن مستر فورد.. وللذي يريد أن يقرأ عن مستر فورد أكثر يعود لكتاب [وهم الإلحاد] لدكتور عمرو شريف -؛ هل معرفة طريقة الإحتراق الداخلي في السيارة، تنفي وجود مُسبب للسيارة وغاية من صنعه لها؟

العلم يستحيل أن يخبرنا بشيء عن فورد أو صاحب تويوتا، لكن حتماً يخبرنا كل كبيرة وصغيرة في الطريقة والقوانين التي تحكم عملية الإحتراق الداخلي في موتور السيارة... العلم يستحيل أن يخبرنا بشيء عن عقل فورد أو غايته من صنع السيارة، لكن العقل بكل بساطة يستدل على غاية مستر فورد وعلى عقل مستر فورد وهدفه حين قام بصنع السيارة بمجرد رؤية السيارة... هذه بديهة عقلية لا علاقة لها بكونك ملحد أو مؤمن.

ألا يكون استبعاد مستر فورد من المنظومة خطأً منطقيًا ومنهجيًا وإن كان علميًا لا دليل عليه...!!!؟

يستحيل استبعاد مستر فورد من المنظومة إلا عن طريق سفسطة جدلية عقيمة وهذه هي بداية الإلحاد ونهايته.

أصل الخير

الشر شيء إضافي ولا يوجد شر محض، بينما الأصل هو الخير وهو العنصر الثابت.

وهذا عكس كل دعاوى الملاحظة بخصوص كثرة البلايا والكوارث!

تُشير دراسات علم النفس الحديثة أن العالم ليس مُحايد كما كان يتخيل الماديون منذ عشرات السنين، فكل إنسان يولد ولديه نقطة ضبط خاصة بالسعادة، أو بمعنى آخر مستوى أساسي من السعادة، وتحدث نوبات ارتفاع أو هبوط قصيرة الأجل، وسرعان ما يعود الإنسان لسابق عهده، فالإحساس بالألم أو الشر أو الضائقة هو إحساس وقتي إضافي ليس أصلي ويستمر غالبًا لفترة قصيرة جدًا من الوقت، فالأشخاص الذين يُصابون بشلل نصفي إثر التعرض لحادث أليم يعودون إلى مستويات السعادة الأساسية خلال أشهر قليلة، والذين يتعرضون لمجاعات قاسية متكررة سرعان ما يعود مؤشر السعادة إلى مستواه الطبيعي مع استمرار نفس الظروف، وحتى عند الانفصال المفاجئ أو وفاة شريك الحياة يتأقلم معظم الناس مع الأمر أسرع مما كان يتخيل النفسيون عبر العقود الماضية، ويصل الناس جميعًا في النهاية إلى نفس المؤشر من السعادة مع أن الأمور تبدو ظاهريًا مخالفة لهذه الحقيقة⁽¹⁾.

ومهما تفاوتت معدلات الدخل يظل نفس القدر من السعادة هو المحصلة الأخيرة في النهاية!

ولذا يقول عالم النفس آيسنك «شعور الإنسان بالسعادة؛ لأن لديه نقط ضبط يصل إليها بسهولة»⁽²⁾.

وكما قال تولستوي في روايته الحرب والسلام: «إن العذاب الناجم عن السير حافيًا لمدة أسابيع حتى تتشقق القدم وتدمي، هذا الألم لا يزيد كثيرًا عن الألم النابع من لبس حذاء ضيق وأنيق لسهرة ممتعة».

ويتظاهر لاعبو البيسبول الكبار من أجل الحصول على رواتب أعلى، في حين يبلغ متوسط الدخل السنوي للواحد منهم 1.2 مليون دولار⁽³⁾.

(1) D.T. Lykken, Happiness 186-189.

(2) أشهر 50 خرافة في علم النفس، سكوت لينينفيلد، ص 192.

(3) المصدر السابق ص 191.

وهكذا يتضح أن معضلة الشر ليست هي الأصل بل الأصل هو الخير، وهكذا تنهار أسطورة جديدة من الأساطير التي تأسست عليها ديانة كهنة الإلحاد الجديد! وأصبحنا نحن الذين نطالبهم بإيجاد تبرير مادي لمعضلة الخير!

فلماذا الخير موجود، ولماذا هو الصورة النهائية والصيغة الأخيرة، والعنصر الثابت؟ وإذا كانت كل الأشياء مادية، وكانت الحتمية المادية هي المركز في هذا الكون فلن يبدو لنا فيه شيء خير أو شر، إن وجود الخير والشر دليل مباشر على أننا لسنا أبناء هذا العالم ولنسنا مُفصّلين على طراز المادية الحتمية!

تحليل المعلومت

إذا نظرت في جميع أرجاء الكون فستظهر لك الخصائص التالية: الإحساس على كل المستويات، القدرة على الإحساس بالمعلومة ومعالجتها، وإخراج رد فعل ذكي، التكامل على كل المستويات، ذاتية التنظيم وذاتية التنسيق بين الكائنات، الوعي والانتباه، وهدف الوجود نفسه من الاختلاف الأكبر بين الكائنات، وكل كائن لديه إدراكه الخاص بالكون من حوله.

الأميبا وحيدة الخلية لو جاء بجوارها غذاء متحرك فانها تلف أذرعها حوله بحذر دون أن يهرب في حين لو كان غذاءً ثابتاً لا يتحرك - حبيبة نشا - فإنها تلتصق به دون احتراس، هذا كائن وحيد الخلية بلا مخ ولا عين ولا أعصاب ولا حواس

ما هي الحياة؟

فالحياة شيء يختلف تماماً عن اختلاط مجموعة من القواعد النيتروجينية لتكوين سلسلة أحماض أمينية..

الحياة شيء والنظام الجيني داخل نواة الخلية شيء آخر تماماً..

الحياة شيء ونظام التشفير الرباعي داخل نواة الخلية C G T A شيء آخر تماماً

الإشكالية الكبرى تكمن في البحث عن إمكانية خلق نظام معلوماتي ذكي بفعل الطرق الكيميائية كما يفترض التطوريون.

ويمكننا أن نقول بوضوح أنه لا توجد فرضية أو نموذج علمي يمكنه شرح كيفية نشأة الحياة من المواد الكيميائية الهامدة في الخلية المعقدة التي تتكون من كميات هائلة من المعلومات وتفسر مصدرها.

الدكتور فيرنر جيت Gitt Werner أستاذ الفيزياء ومدير قسم معالجة المعلومات في معهد الفيزياء والتكنولوجيا في براونشفايغ بألمانيا، يناقش أصل الحياة من وجهة نظر علم المعلومات مع العديد من الأمثلة التوضيحية والخوارزميات والمعادلات الملفتة للنظر. في بحثه الرائع الذي حمل عنوان «في البداية كانت المعلومات (In the Beginning Was Information)».

الدكتور [فيرنر جيت] يدل على أن المعلومات المشفرة لا يمكن أن تأتي إلا من مصدر ذكي. وبالتالي فإن شفرة الحمض النووي هي دليل على التصميم الذكي على وجه التحديد، وطريق مباشر إلى الخلق الإلهي.

يقول: السؤال هو «كيف تنشأ الحياة؟»، ومن أين تأتي المعلومات؟

بعد نتائج [جيمس واطسون] و[فرانسيس كريك]، كان من الواضح على نحو متزايد من قبل الباحثين المعاصرين أن المعلومات الموجودة في الخلية ذات أهمية حاسمة لوجود الحياة. أي شخص يريد أن يفهم مغزى أصل الحياة سيكون مضطراً إلى شرح كيفية نشأة المعلومات، جميع وجهات النظر التطورية غير قادره أساساً على الإجابة عن هذا السؤال الحاسم». ص 99

وفي سياق آخر يقول: «لا يوجد قانون معروف في الطبيعة، ولا توجد عملية واحدة تشرح تسلسل الأحداث التي من الممكن أن تجعل المعلومات تنشأ من تلقاء نفسها». ص 107⁽¹⁾.

(1) "The question 'How did life originate?', which interests us all, is inseparably linked to the question 'Where did the information come from?'.

Since the findings of James D. Watson and Francis HC Crick, it was increasingly realized by contemporary researchers that the information residing in the cells is of crucial importance for the existence of life. Anybody who wants to make meaningful statements about the origin of life would be forced to explain how the information originated. All evolutionary views are fundamentally unable to answer this crucial question.

"There is no known law of nature, no known process and no known sequence of events which can cause information to originate by itself in matter».

الفصل الثامن

الإلحاد عندما تكون له دولة

الفصل الثامن

الإلحاد عندما تكون له دولة

هل يمكن أن تنشأ الأخلاق داخل مجتمع إلحادي

لقد عاش الجنس البشري آلاف السنين تحت تأثير الدين، واستطاع الدين أن يوفر جميع أوجه الحياة الأخلاقية والقانونية والعقائدية وحتى اللغة، ومن ثم من حقنا أن نتساءل عما إذا كان من الممكن إنتاج جيل ملحد إلحادًا كاملاً؟ لكي تنجح هذه المحاولة لابد من التنشئة في عزلة تامة عن كل دين وعن كل فن وعن كل دراما للوجود الإنساني، وإلغاء كل ما يمكن أن يستحضر النشء أمامه من رؤيا لعالم آخر وبالتالي إلغاء جميع الأعمال الفنية التي تُصور صراع الإنسان في العالم وتطلعه لعالم أفضل؛ لأن كل هذه الأمور ستؤدي إلى شعور الإنسان بالاغتراب في هذا العالم وهو شعور ميتافيزيقي روحاني بحت..

وهذا أمر صعب في الوقت الراهن لأن الملحدين يعيشون في ظلال الدين ويمكننا أن نزعم أن كل أخلاق الملحد هي مجرد تأثر بالدين ومبادئه الخلقية الأساسية بطريقة صامتة غير محسوسة ولكنها ثابتة.. فقد تربى الملحد في ظلال الدين عشرات السنين وهو في نقده للدين يتأثر بأخلاق من ينتقدهم، إن جوهر الإنسان في أخلاقياته وليس في طبيعته المادية هذه حقيقة ثابتة، إن أخلاق الملحد هي عطية الدين هكذا علينا أن نزعم إلى أن ينشأ مجتمع إلحادي كامل..

الآن هل يمكن التأسيس للإيمان بالإنسانية المجردة؟

يقول [ماركس]: «إن الأمل في الإنسانية المجردة وهم لا يقل عن الوهم الديني الخالص»، وأثبت [لينين] أن الأخلاق خدعة ميتافيزيقية - خدعة البرجوازية -، وفي البيان الشيوعي توجد هذه العبارة: «العمال يرفضون الأخلاق».

لكن لماذا لا نكون أكثر تفاعلاً وأكثر تنزلاً، ونفترض أنه تم التأسيس للمجتمع الإلحادي الكامل، لكن في هذه اللحظة على دعاة الإلحاد أن يطلبوا من الناس مزيداً من المثالية والتضحية ربما أكثر مما طلب أي نبي من قومه باسم الدين فليس ثمَّ إجراءات ماورائية.. وكما يقول [جون لوك]: «إذا كان كلُّ أمل الإنسان قاصراً على هذا العالم، وإذا كنا نستمتع بالحياة هنا في هذه الدنيا فحسب فليس غريباً ولا مجافياً للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب الآباء والأبناء، إنها معضلة وأي معضلة».

ولو افترضنا أن الملحد قرر أن يؤسس لمجتمع إلحادي كامل، هنا سيظهر السؤال: ما الأساس الذي سيعتمده الملحد وما القاعدة التي سينطلق منها ليقنع الناس بقيمة الأخلاق من منظور مادي؟

كيف سيتعامل الملحد مع الملحد المعاق في مجتمعه الإلحادي هل سيدفعه للانتحار.. وبذلك يكون قد خدم الانتخاب الطبيعي أم سيعارض النظرية؟

كيف يُسلي الملحد المعاق عن إعاقته.. كيف يُسلي الكادحين والمعوزين في هذا العالم؟

هل سيقوم بتعقيم المعاقين ذهنياً بحيث لا ينجبون أم سيعاند الانتخاب الطبيعي؟

هل سيكون هناك زواج داخل المجتمع الإلحادي، أم كما قالت [سيمون دي بوفوار]: إن الزواج وتكوين أسرة خديعة كبرى؟

هل سيمنع الممارسات الجنسية الشاذة داخل المجتمع الإلحادي وما هي المبررات المادية لذلك المنع؟

يستحيل أن نجد تأسيساً عقلياً للأخلاق داخل منظومة الإلحاد، يستحيل أن نجد داخل عالمه ما يُفرح الإنسان أو يسليه أو يؤسس لقيمه أو يؤسس لمبادئه أو يؤسس لأخلاقياته.. يستحيل أن نجد داخل منظومته ما يجعل الإنسان إنساناً.. إن الإلحاد لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني!

ماذا لو أثبت العلم أن الجنس الأبيض أفضل بيولوجياً من الجنس الأسود وأنهم في مرتبة أعلى في سلم التطور، هل سيتم الفصل العنصري بين البيض والسود داخل المجتمع الإلحادي أم

ستتم معاندة العلم والبيولوجيا ومعاندة الانتخاب الطبيعي وإقرار المساواة بين البيض والسود وساعتها ستكون أكبر خيانة للتطور وأكبر ضربة للعقلانيين؟

ماذا لو أثبت العلم تفوق الرجل على المرأة وأن الرجل في مرتبة أعلى بيولوجياً من المرأة، هل ستتم المساواة بين الجنسين داخل المجتمع الإلحادي أم سيكون هذا مطلب غير علمي غير عقلائي عبثي ميثافيزيقياً يقف في وجه التطور وحتميات الطبيعة؟

ماذا لو ظهرت داخل المجتمع الإلحادي دعوة تعميمية تنادي بإلغاء التفرقة بين البشر والحيوانات والحشرات، بل ومحكمة كل من يتعرض للفيروسات أو دودة الأرض؛ لأنه بيولوجياً لا فرق بين الإنسان ودودة الأرض إلا بضعة ملايين من السنين؟

لماذا لا تتمتع الطفيليات المعوية والفيروسات بحقوق مساوية لحقوق الإنسان؟

هل يوجد داخل المجتمع الإلحادي مصطلح الأبناء والآباء؟ أم أن الأطفال سيدخلون مجتمعات خاصة، ويختفي مفهوم الأب والابن، وتنتهي الأسرة كما حدث على نطاق ضيق في روسيا الملحدة في الأربعينيات فترة حكم ستالين، وحدث بنطاق أوسع في ألمانيا في فترة حكم هتلر؟

إن صلاح أمر العائلات لا يكمن في المبادئ الإلحادية أو المادية وهذه من البدهيات، فنجاح تربية الأولاد ونجاح المؤسسة الزوجية يتطلب تضحيات مدى الحياة، وهي تضحيات لا عقلانية بحسابات الربح والخسارة، والكثير من مشاكل العائلات الأمريكية (التفكك الأسري - هروب الآباء - ارتفاع نسب الطلاق) سببه نظرة أفراد العائلة إلى العائلة نظرة مادية إذ حين تصبح الالتزامات العائلية أكبر مما ينتظره المتعاقد فإنه يسعى إلى إبطال شروط العقد⁽¹⁾.

مقارنة بين الإنسان البدائي وأكثر الحيوانات تقدماً

إذا ذهبنا نقارن بين الإنسان البدائي وبين أكثر أنواع الحيوان تقدماً، لوجدنا أن هناك فرقاً جوهرياً ملازمًا، انظر مثلاً إلى قطيع من الحيوانات وهي تبحث عن الطعام وتتصارع من أجل البقاء، ثم انظر إلى إنسان بدائي خائف مشوش بمعتقداته ومُحرماته الغريبة أو غارق في أسراره ورموزه الغامضة، لقد انصب في وعي الإنسان منذ اللحظة التي دخل فيها التاريخ ليس أنه مختلف

(1) بعض الفقرات مُقتبسة من كتاب الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفيتش.

عن الحيوان فحسب، ولكن أيضًا أن معنى حياته لا يتحقق إلا بإنكار الحيوان الذي بداخله، فإذا كان الإنسان هو ابن الطبيعة كما يقولون: فكيف تسنى له أن يبدأ في معارضة الطبيعة؟

عندما يرفض الإنسان بعض رغباته، وعندما يتمسك بمبادئ أخلاقية يعلم أنها تُضعف كفاءته فكل هذا لا يأتي من ناحية عقله، بل إن كل هذا يؤكد على أصالة ظهور الإنسان!!

الإنسان لا يسلك في حياته كابن للطبيعة بل كمغترب عنها.. الإنسان متعذر فهمه غير راضٍ.. هذه مفاهيم يستحيل ترجمتها في قوالب بيولوجية داروين أو حتمية دوركايم.

إن ظهور الأخلاق تمثل أكبر ردة عن الانتخاب الطبيعي المزعوم، فالأخلاق تمثل ظهور مبدأ جديد مناقض لمبدأ المصلحة والمنفعة المعروف عند الحيوان.

إدراك الحيوان يدور بين المثير والاستجابة.. الغريزة والمصلحة.. لكن الإنسان ليس كذلك.. الإنسان ظاهرة ضد الطبيعة، لا يمكن بأي حال رده إلى النظام الطبيعي، فالحس الجمالي والخلقي والوعي والمقدرة على مراقبة الذات ووخز الضمير الأخلاقي والهداية المفاجأة لأعني الكافرين والمقدرة المطلقة على فعل الخير والشر بشكلٍ واعٍ وباختيار حر، كل هذا يؤكد أصالة ظهور الإنسان.

الحيوان عندما يذهب للصيد يسلك سلوكًا عقلائيًا منطقيًا يدور بين الكفاءة والمنفعة.. المثير والاستجابة، لكن لا يذهب الإنسان للصيد إلا بعد أن يُخضع نفسه لطقوس ومراسيم لا تمت لعالم الطبيعة المادي بصلة... إن أصالة ظهور الإنسان تظل دائمًا بدون تفسير عقلائي فمن الواضح أن الإنسان لم يستجب للعالم حوله بالطريقة الداروينية!!

فالإنسان دائم التطلع إلى عالمٍ آخر حقيقي، وكأنه قد استقر في وعيه ملامح هذا العالم وكأنه كان فيه يومًا ما ثم طُرد منه..

فلو كان الإنسان حيوانًا كاملًا لكانت حياته بسيطة خالية من الأسرار والطقوس الغامضة والمعتقدات والرموز، ولا يعرف الحيوان شيئًا من هذا كله، وهنا يكمن معنى تلك اللحظة التي صنعت عصرًا جديدًا⁽¹⁾.

(1) بعض الفقرات مُقتبسة من كتاب الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفيتش.

محاولة الإنسان إقامة جنة على الأرض بعيداً عن الدين، انتهت إلى إقامة أضخم جحيم في تاريخ البشرية

مات في حملات التطهير الستالينية الملحدة من عام 1936 - 1939 من 8 - 10 مليون نسمة. وقتل ستالين الملحد الأكثر إجراماً في التاريخ من الشيوعيين البارزين أكثر مما قتلت البرجوازية الرأسمالية على امتداد العالم.. رودولفيا تشولاكوفيتش وكان الاسم الرسمي للرقابة الحكومية السوفيتية على الأعمال الأدبية وكل الأشياء المطبوعة هو هيئة حماية الأسرار الحكومية في الطباعة. وفي عهد ستالين كان يتم خطف النساء الجميلات عن طريق رجال بيريا ويقتادوهن إلى الرؤساء.

وقد وافق ستالين الملحد على قائمة الشخصيات التي يتم تصفيتها جسدياً وكانت القائمة التي أرسلها له وزير الداخلية تضم 4 قوائم (عمومي - جنود سابقون - رجال مخبرات سابقون - زوجات أعداء الشعب)، القوائم يتم تصفيتها بالرصاص... المؤرخ السوفيتي يوري بوريشوف. أرسل أندريه زخاروف رسالة إلى جورباتشوف وكان من بين ما كتبه أرجو تحرير السجناء المعتقلين في السجون العسكرية وفي مستشفيات الأمراض العقلية. وكانت طباعة واستيراد الإنجيل ممنوعة في الإتحاد السوفيتي حتى عام 1988.

يرى الكسندر سولجنستين الأديب الروسي الحائز على نوبل أن الإرهاب السوفيتي لم يبدأ مع ستالين وإنما مع لينين صاحب عقيدة الكولاج وبموجب شهادة سولجنستين فإن 55 مليون سوفيتي اختفوا أثناء الحكم البولشفي.

يقول الكسندر سولجنستين في كتاب أرخبيل الكولاج: «عندما يقف الرفيق ستالين في مؤتمر الحزب يقف الجميع ويبدأ موجة من التصفيق الحاد دقائق طويلة في مرحلة جنون لا يُطاق ويظل التصفيق مستمرا بينما يقف رجال المخبرات في كل مكان وهم متنهون جيداً إلى من سيتوقف أولاً ويستمر التصفيق ما يزيد على عشر دقائق متواصلة... من أين للأجداد هذا الهوس الجماعي الذي لا يوصف ولا يقاوم».

يقول جوزيف برودسكي الشاعر الروسي الحاصل على نوبل للآداب عام 1987، في الحسابات النهائية تتألف روسيا من ضحايا وجلادين والأدوار موزعة بينهما. أنشئ عام 1925 في الاتحاد السوفيتي اتحاد الملحدون المقاتلين وصدرت صحيفة الملحد المقاتل في نفس الوقت تقريباً. اعتبر لينين الدعاية المعادية للشيوعية الإلحادية هي واحدة من أصل ست جرائم جنائية، تعاقب بالإعدام RSFSR، طبقاً للقانون الجنائي الذي قدمه لينين عام 1922. والخلاصة: الداروينية شرط للستالينية، اختلاف التصنيفات البشرية وتطورها لا يمكن إلا في عالم ليس فيه إله وليس بالطبع فيه إنسان⁽¹⁾.

رابطة الملحدون العسكريّة

League of Militant Atheists

بعيداً عن الملاحدة العرب الكهنة الناعسين أصحابنا... ننتقل إلى الإلحاد حين تكون له دولة.. تم تأسيس رابطة الملحدون العسكريّة رسمياً في الإتحاد السوفيتي، واستمرت في عملها في الفترة من 1925 - بعد تأسيس دولة إلحاد بـ 8 سنوات فقط - إلى الفترة 1947. كانت تضم قرابة 6 مليون عضو. قامت رسمياً بقتل وذبح وتعذيب أصحاب الأديان فيما لا يمكن حصره... قامت بطباعة المنشورات والكتب والدوريات لنشر الإلحاد بين البسطاء في الأمة السوفيتية.

وانتقلت في الثلاثينيات من القرن الفائت إلى مدن آسيا الوسطى حيث المسلمين فأعملت فيهم القتل والتشريد والنفي إلى معسكرات العمل في سيبيريا. 10 % من أطفال المدارس في الإتحاد السوفيتي أُدخلوا في الرابطة.

(1) من كتاب: هروبي إلى الحرية، علي عزت بيغوفيتش.. دار الفكر دمشق - سورية 2004.

كانت الفكرة الرئيسية محاربة الدين.. قتل المتدينين.. نشر الإلحاد.. هدم كل صور الحياة الروحية في البلاد.

قامت الرابطة بهدم 42 ألف مؤسسة دينية ومسجد وكنيسة عبر دول الإتحاد السوفيتي في الفترة من 1930 إلى 1941 حسب الوثائق الرسمية.

قامت الرابطة بقتل مائة أسقف وآلاف الرهبان وعشرات الآلاف من رجال الدين الأرثوذكسي.

وكانت الرابطة تدفع الحكومة السوفيتية دفعاً إلى مزيد من البطش بأصحاب الديانات.

وقامت الرابطة بطباعة الدوريات بانتظام لنقد الدين والهجوم عليه.

وصل عدد الدوريات الخاصة بالرابطة في العام 1940 إلى 45 ألف دورية تدعو للإلحاد وتُنفّر الناس من الدين.

إنه الإلحاد حين تقوم له دولة..

إنه الإلحاد حين ينتقل من التنظير إلى التطبيق..

إنه الإلحاد بصورته الحقيقية الفجة الوقحة تلك الصورة التي لا يطيقها عاقل ويتأذى منها حتى الفاجر..!!⁽¹⁾.

كوريا الشمالية الدولة الوحيدة الملحدة رسمياً في العالم

North Korea is officially an atheist state

عقب الحرب العالمية الثانية عام 1945 تم تقسيم شبه الجزيرة الكورية إلى شمالية وجنوبية في ذلك الوقت لم يكن ثمة فارق بين الدولتين الوليدتين.

في عام 1948 تم إعلان قيام جمهورية كوريا الشمالية الديمقراطية، وأعلنت كوريا الشمالية رسمياً إلحادها.. واعتبر [كيم إل سونج] - مؤسس الدولة - أن الدين نوع من التضليل غير العلمي الذي يجب مقاومته بشراسة.....

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/League_of_Militant_Atheists.

Kim Il Sung criticized religion in his writings, and North Korean propaganda in literature, movies and other media have presented religion in a negative light. The Juche philosophy often took the place of religion and taught Koreans to see religion as an unscientific delusion⁽¹⁾.

ملحوظة هامة... سيحاول الكاهن الملحد العربي سريعاً أن يودلج المسألة سياسياً ويعتبر أن كوريا الشمالية تُطبق الإلحاد من منظور شيوعي.. كوريا الشمالية تعتبر الشيوعية أحد أفرع التطبيق السياسي لأكثر وأن الشيوعية أقرب للإلحاد من الرأسمالية - يقول [بليخانوف] Plekhanov الشيوعية هي «تطبيق للداروينية في العلوم الاجتماعية».. وإلا فإن كوريا تُطبق كل الأنظمة الاقتصادية والسياسية.. وتوجد بها منطقة كايسونج الصناعية الرأسمالية.. وتقوم بتجربة النظام الرأسمالي منذ عام 1991.. فلا يمكن أدلجة المسألة سياسياً.

الدولة الوحيدة التي تعمل بالنظام الطبقي رسمياً في العالم هي الدولة الوحيدة الملحدة كوريا الشمالية:

يتم فرز الكوريين الشماليين إلى ثلاث مجموعات في نظام يُعرف بالسونجن Songbun، وهو نظام فرز طائفي طبقي شديد الحدة - طبقة الموالين 25 % طبقة المترددين 55 % وطبقة المُعادين 20 % - وهذا الفرز هو الذي يحدد فرص العمل السانحة للأجيال الصاعدة وكمية الغذاء التي يتم تلقيها ونوع المسؤولية التي تُلقى على عاتق الشخص⁽²⁾.

ووفقاً للهيومن رايتس ووتش فإن الأنشطة الدينية لم تعد موجودة في كوريا الشمالية، كما أن الحكومة ترعى الجماعات الدينية فقط لتحاول خلق وهم الحرية الدينية... ولذا فالأقليات الدينية بها هي الأكثر اضطهاداً في العالم...

لا يوجد في كوريا الشمالية سوى أربع كنائس، ولا يوجد بها كاهن رسمي واحد..... الذي يدير القداسات هم أعضاء من لجنة الحزب⁽³⁾.

ورسمياً يُعتبر الاحتفاظ بأي كتاب مُقدس جريمة وفق القانون الكوري الشمالي وينص

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Religion_in_North_Korea.

(2) <http://en.wikipedia.org/wiki/Songbun>.

(3) <http://www.hrw.org/legacy/english/docs/2004/07/08/nkorea9040.htm>.

القانون على أن أي شخص يحتفظ بأي نسخة من كتاب مقدس يتم إعدامه في ميدان عام ويشهد هذا الإعدام الآلاف من الكوريين حيث يجري الإعدام غالبًا في ملاعب كرة القدم⁽¹⁾.

إعدام أي شخص يمتلك كتاب مُقدس فورًا في دولة الإلحاد كوريا الشمالية:

أفادت صحيفة «جونغ إنغ البو» الكورية الجنوبية بأن كوريا الشمالية نفذت قرابة 80 حكمًا بالإعدام علنًا في شهر نوفمبر 2013 وحده، وذلك في 7 مدن.

كما تؤكد الصحيفة أن حكم الإعدام العلني في مدينة [وانسان] نُفذ بحق 8 أشخاص في ملعب كرة قدم، على مرأى ومسمع 10 آلاف مواطن من بينهم أطفال.

ويضيف المصدر ذاته بأن الأحكام بالإعدام صدرت بحق العشرات بسبب الاحتفاظ بالكتاب المقدس، وهي جرائم وفق القانون الكوري الشمالي⁽²⁾.

إعدام أي شخص يحاول أن يُغير فلسفته المادية إلى فلسفة مادية أُخرى في دولة الإلحاد كوريا الشمالية:

يتم الإعدام فورًا لمن يستمع إلى ثقافة كوريا الجنوبية أو ثقافة الغرب، حيث إنه في شهر نوفمبر 2013 تم إعدام العشرات لاتهامهم بمشاهدة التلفزيون الكوري الجنوبي وهو نشاط محظور تمامًا في كوريا الشمالية.

فالإعدام كان بسبب مشاهدة برامج تلفزيونية كورية جنوبية أُدخلت سرًا مسجلة على أقراص فيديو او ذاكرة يو اس بي.

واعتبر مسؤول ان «النظام يبدو كأنه يخشى إمكانية تبدل عقلية الناس ويحاول إخافتهم».

(1) <http://arabic.rt.com/news/633358/>.

(2) <http://arabic.rt.com/news/633358/>.

هذه هي صورة دولة الإلحاد الوحيدة في العالم

عبادة الفرد:

كان نتيجة إلحاد الدولة توجه الجماهير التي تفتقر إلى القيمة العليا وتبحث عن المغزى الروحي وتعاني وخز الفطرة إلى إعلان عبادة الفرد *cult of personality*، حيث تتم بطريقة غير رسمية عبادة [كيم إل سونج] - مؤسس الدولة الكورية - وقد بث التلفزيون الرسمي الكوري الشمالي سجود الجماهير لتمثال من البرونز لكيم ايل سونغ، وبثت مشاهد مماثلة في أعقاب وفاة كيم جونج ايل - الرئيس الثاني لكوريا الشمالية - وما زالت عبادة الفرد مُسيطرَة على الوعي الجمعي للكوريين الشماليين.. أيضًا عيد ميلاد الرئيس الكوري الشمالي هي واحدة من العطلات العامة الأكثر أهمية في البلاد⁽¹⁾.

كوريا الشمالية هي دولة الإلحاد الوحيدة في العالم:

كان الاتحاد السوفيتي وكوبا وبعض الدويلات في آسيا - مثل كمبوديا - تُصنف على أنها دول إلحادية *State atheism*، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانهار الشيوعية رسميًا في العالم كله أعلنت روسيا وكوبا وباقي الدويلات أنها دول علمانية *secular state*، ولم يبق في العالم إلا كوريا الشمالية التي تُعلن أنها دولة الإلحاد *State atheism*⁽²⁾.

لكن ما هي مُحصلة 60 عام من الإلحاد:

بعد ستين عامًا من انقسام الكوريتين الشمالية والجنوبية وبعد ستين عامًا من الإلحاد الرسمي لكوريا الشمالية يمكن ملاحظة التالي:

ميزانية كوريا الشمالية 3.4 مليار دولار، بينما ميزانية جارتها كوريا الجنوبية 244.3 مليار دولار...

صادرات كوريا الشمالية 1.1 مليار دولار، بينما صادرات جارتها كوريا الجنوبية 364 مليار دولار⁽³⁾.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/North_Korea%27s_cult_of_personality.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Atheist_state.

(3) <http://www.youtube.com/watch?v=BBIWZz99p9s>.

خزي وعار هو مُحصلة الإلحاد المادي الدوغمائي.

وفي عام 1995 أُصيبت كوريا الشمالية بمجاعة راح ضحيتها قرابة مليون نسمة.

تخيل دولتين بنفس القوة تنفصلان وبعد نصف قرن فقط ونتيجة لإلحاد إحدهما تصير قوتها 1 على 300 من قوة الثانية... ويموت مليون بسبب المجاعات بها مع أنها دولة ذات تسليح عملاق.. ما الذي يفعله الإلحاد بالأدمغة؟ كيف يتحول الإلحاد إلى هذا البؤس والشقاء والكراهية لكل شيء والحقد على كل شيء والخوف من كل شيء وهذا هو عنوان كوريا الشمالية الآن.. كيف لمنظومة فكرية كالإلحاد أن تدمر دولة مثل كوريا هذا التدمير الرهيب؟؟

«نُصنف كوريا الشمالية حاليًا على أنها طليعة الفشل في كل شيء».

أسوأ دولة في سجلات حقوق الإنسان، أكثر دول العالم اعتقالاتاً للأفراد بالنسبة لعدد السكان 200 ألف معتقل سنوياً يعانون أسوأ ظروف يمكن تخيلها على الإطلاق⁽¹⁾.

حيث يوضع 1 % من سكان الشعب الكوري الشمالي في ستة معتقلات عملاقة فقط لأنهم ليسوا مُلحدين⁽²⁾.

يموت 10 آلاف مُعتقل كل عام⁽³⁾.

أكثر دول العالم تطبيقاً لعقوبة الإعدام الجماعي وأكثر دول العالم كبتاً للحريات. هذا هو الإلحاد وهذه هي دولته.

تاريخ كوريا الشمالية في الإلحاد هو تاريخ البؤس والشقاء والتعاسة إنهم يُعدمون فوراً أي صاحب دين، يعدمون فوراً بمجرد تغيير الثقافة، أسخف وأغبي دولة في العالم، في مجاعة واحدة منذ عقد واحد يموت فيها مليون نسمة مع أن بها تسليح عملاق، إنها دولة السلاح والقتل والقمع والإبادة والتاريخ الأسود والمجاعة والحقد على كل شيء والخوف من كل أحد وكراهية كل أحد، هذا هو الإلحاد وهذه هي دولته الوحيدة يا من تُبشرون بالإلحاد في بلادنا.

(1) www.amnesty.org/en/region/north-korea/report-2011.

(2) www.amnesty.org/en/library/asset/ASA24/001/2011/en/2671e54f-1cd1-46c1-96f1-6a463cfa6f65/asa240012011en.pdf.

(3) http://english.chosun.com/site/data/html_dir/2012/04/04/2012040401146.html.

يكرهون الجميع ويخشون الجميع ويحقدون على الجميع.. أكبر تسليح في العالم كان من نصيب أكثر دول العالم إلحادًا... لأنهم كارهون للجميع ويخافون من الجميع.

انظر للفرق بين تسليح كوريا الشمالية والجنوبية:

يوجد في الجيش الكوري الشمالي مليون ونصف المليون جندي 1500000 جندي.

بينما في الجيش الكوري الجنوبي 67 ألف جندي 67000 جندي.

مع أن عدد سكان كوريا الجنوبية ضعف كوريا الشمالية.

أكبر عدد من الجنود في العالم مقارنة بعدد السكان يوجد في الدولة الوحيدة الملحدة في العالم.

هذا هو الإلحاد..

هذه هي دولته.

عبادة الفرد في النموذج الإلحادي

عبادة الفرد *Cult of personality*: هي نزعة ميتافيزيقية تتجاوز بالقائد، أو الزعيم، أو المفكر حدود طبيعته المادية فتُضفي عليه شيئاً من التقديس، أو العبادة⁽¹⁾.

ولا تكاد تخلو بؤرة إلحادية على وجه الأرض من مفهوم عبادة الفرد، ففي الحقبة السوفيتية انتشرت هذه الظاهرة انتشاراً واسعاً بين أعضاء الحزب الشيوعي الملحد الحاكم، والأجهزة الأمنية.. وأصبح الملحد [جوزيف ستالين] Josef Stalin - رئيس الاتحاد السوفيتي - في نظر أنصاره، ومؤيديه من الملحدين شخصاً معصوماً من الخطأ، وفوق مستوى البشر⁽²⁾.

وكان جوزيف ستالين يوصف رسمياً في تلك الحقبة على أنه كُلي القدرة، وكُلي العلم -all-powerful, all-knowing، وبدءاً من عام 1936 اعتبرت الصحافة السوفيتية الرسمية جوزيف ستالين أبو الأمم the Father of Nations⁽³⁾.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Cult_of_personality.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Stalin%27s_cult_of_personality.

(3) http://dic.academic.ru/dic.nsf/dic_wingwords/3446/%D0%9E%D1%82%D0%B5%D1%86.

وبدأت تُعزف الترانيم للأب جوزيف ستالين في كل مكان⁽¹⁾.

وبينما كانت المنازل في عهد روسيا القيصرية تُخصّص غرفة أو أكثر للأيقونات، وصور العذراء، والشموع، والصلوات، فقد خُصّصت المنازل في عهد روسيا المُلحدة غرفة تُسمى غرفة ستالين تُعلّق فيها صور القائد جوزيف ستالين، ويتم التقرب له فيها وتقديسه حقيقةً لا مجازاً⁽²⁾.

وظل تقديس ستالين أحد الأعراف الرسمية في الاتحاد السوفيتي المُلحد إلى أن جاء عام 1956 وفي خطاب [خروتشوف] Khrushchev الشهير في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي بعد وفاة ستالين بثلاث سنوات، أعلن خروتشوف غضبه الشديد من عبادة ستالين قائلاً: «لا يجوز تقديس ستالين، ولا عبادته، لأن هذا يخالف روح الماركسية اللينينية، ويجعل من الشخص شبيهاً بالإله»⁽³⁾.

كان الخطاب بمثابة صدمة كبرى للأمة المُلحدة التي كانت تعبد ستالين رسمياً منذ عقود، وأقدم الشباب على الانتحار، وتعرّض الكثيرون لنوبات قلبية قاتلة وحدثت مظاهرات في كل مكان بالاتحاد السوفيتي، واعتبروا أنّ مراجعات خروتشوف خيانة كبرى⁽⁴⁾.

وكانت مراجعات خروتشوف سبباً مباشراً في انفصال الصين عن الإتحاد السوفيتي Sino Soviet Split، واعتبرت الصين تحت قيادة المُلحد [ماو تسي تونج] Mao Zedong أن [خروتشوف] بهذه المراجعات يأخذ الإتحاد السوفيتي بعيداً عن الإلحاد البلشفي Bolshevik Atheism⁽⁵⁾.

(1) <http://www.fordham.edu/halsall/mod/stalin-worship.asp>.

(2) Catriona Kelly, «Riding the Magic Carpet», 202.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/On_the_cult_of_personality_and_its_consequences. In his 1956 "Secret Speech" to the Twentieth Party Congress, Nikita Khrushchev famously denounced Stalin's cult of personality, saying, "It is impermissible and foreign to the spirit of Marxism-Leninism to elevate one person, to transform him into a superman possessing supernatural characteristics akin to those of a god."

(4) المصدر السابق.

(5) http://en.wikipedia.org/wiki/Sino-Soviet_Split.

لقد فهمت الصين، وفهمت جماهير الإتحاد السوفيتي حقيقة الإنسان، فهموا أنه يستحيل أن يحيا الإنسان بدون تقديس لذات، وبما أنهم فقدوا الإله فحتمًا سينزلون القداسة على آلهة صُغرى - قادة الإلحاد - إنه وخز الفطرة الذي لا يتوقف، وخز البحث عن المُقدَّس الغائب، والذي لا بد أن يكون موجودًا في حياة الإنسان.

وإذا جال المرء بنظره في أرجاء المعمورة هذه الأيام فلن يجد بقعة إلحادية خالية من عبادة الفرد، ففي كوريا الشمالية - والتي تُصنّف الآن رسميًا أنها الدولة الوحيدة الملحدة على وجه الأرض - نجدُ وعلى وجه التقريب أن معظم الفنون، والنحت، والموسيقى، والآداب مُكرّسة لتقديس [كيم إيل سونج] Kim Il Sung الملحد مؤسس كوريا الشمالية الملحدة عام 1953، وفي كوريا تتم رسميًا عبادة كيم إيل سونج، وكل المعالم الأثرية في البلاد مُكرّسة للقائد العظيم، ويتصدق الناس في كوريا الشمالية مرتين في العام، مرة في عيد ميلاد كيم إيل سونج، والمرة الثانية في ذكرى وفاته⁽¹⁾.

بل تصف السُّلطات الكورية الشمالية [كيم إيل سونج] أنه إله god و [كيم جونج إيل] Kim Jong Il ابن الإله son of god⁽²⁾.

وتزعم المؤسسة الرسمية في كوريا الشمالية أن كيم جونج إيل الابن، والذي تُوفي في العام 2011 أنه استطاع أن يتكلم ويمشي قبل أن يُكمل شهره السادس⁽³⁾.

ويتنم الحديث في كوريا الشمالية عن الزعيم المقدس، والرئيس الأبدي، وكيم إيل سونج الخالق⁽⁴⁾.

وقد بثّ التلفزيون الحكومي الكوري الشمالي سجود الجماهير الملحدة لتمثال من البرونز لكيم إيل سونج الملحد، وبثّ مشاهد مماثلة في أعقاب وفاة كيم جونج إيل - الرئيس الثاني لكوريا الشمالية - و عطلة عيد ميلاد الرئيس الكوري الشمالي هي واحدة من العُطلات العامة الأكثر أهمية في البلاد.

(1) <http://www.dailynk.com/english/read.php?cataId=nk01500num=6222>.

(2) <http://www.mtholyoke.edu/~tompk20n/classweb/administration.html>.

(3) <http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/asia/northkorea/8292848/The-Incredible-Kim-Jong-il-and-his-Amazing-Achievements.html>.

(4) http://en.wikipedia.org/wiki/North_Korea%27s_cult_of_personality.

كان نتيجة إلحاد الدولة أن تتجه الجماهير التي تفتقر إلى القيمة العليا، وتبحث عن المغزى الروحي، وتعاني وخزاً فطرياً، وتبحث عن الذات الخالقة، إلى إسقاط القداسة والعبادة على قادة دول، أو عسكريين أشداء، أو مفكرين كبار، أو حتى بعض الغازات الكونية- تقديس غاز الأرجون Argon لدى بعض التجمعات الإلحادية في أمريكا -⁽¹⁾.

ولا تكاد تخلو فعلياً، بؤرة إلحادية، من تقديس الفرد أو عبادته.

وهكذا إذا غاب الإيمان بالله امتلأ المكان بالآلهة الصغيرة، والوثنيات الغارقة في الجهالة، وتُصبح عبادة الفرد بمثابة هُروب وقتي من الدين إلى بديل آخر أكثر مادية، وأيسر استيعاباً، وأقل تكاليفاً، والأهم من ذلك أنه أكثر ربحية مادياً قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهاتٍ لِيَكُونُوا لَكُمْ عَزْماً﴾ [مريم: 81]، واتخذ المشركون آلهة يعبدونها من دون الله؛ لتنصرهم، ويعتزوا بها، لكن لن تنفعهم هذه الآلهة بشيء، ولن تجلب عليهم إلا النكد والحسرة.

ونختم بقول الكاتبة الإنجليزية الشهيرة [كارن آرمسترونج] Karen Armstrong في كتابها الأخير مسعى البشرية الأزلي الله لماذا: «أن الإنسان لن يحيا بدون دين، فالإنسان ليس حيواناً عاقلاً homo sapiens sapiens وإنما هو إنسان ديني homo religious»⁽²⁾

دولة السويد؛ أيقونة الملحدين العرب، وكاتدرائية الحرية في العالم

من أجل نظرة في العمق قليلاً:

بتسوانا وناميبيا وجامبيا وموريشيوس والسنغال كلها دول أفريقية تُدار بأنظمة ليبرالية علمانية رأسمالية ديموقراطية تماماً منذ عشرات السنين، لكن بما أنها من أفقر وأحقر دول العالم، لذا لن يذكرها الملحد العربي، بل سيتعامل مع هذه الدول وكأنها غير موجودة.

دولة ليبريا الأفريقية، تعمل بالدستور الأمريكي مباشرة، وعملتها الدولار، وبها مجلس شيوخ ومجلس نواب منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، وهي علمانية ليبرالية عتيقة، وأهلها ليبراليون جداً - يرقصون الشارلستون ويأكلون لبان تشكلس ويرتدون أحذية نايكي- ومع ذلك دولة ليبريا مُصنفة كأفقر دول العالم على الإطلاق.

(1) عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية دار الشروق، ص 171.

(2) كارن آرمسترونج، مسعى البشرية الأزلي: الله لماذا، ترجمة د. فاطمة نصر، دار سطور الجديدة، ص 25.

الملحد العربي أيضاً، سيتجاهل هذه الدولة.

الملحد العربي لن يُقدّم لك إلا بعض النماذج الغربية التي يرى أن صورتها مشرقة دائماً، وطبعاً لا بد أن تكون مشرقة دائماً لأن ثرواتها جاءت نتيجة 500 عام من الاستعمار، و50 عام من صندوق النقد الدولي.

وفي الغالب يكون تركيز المُلحد العربي المعاصر على دولة السويد، ولذا نحن في هذا المقال ننظر إلى هذه الدولة بشيء من الحيادية.. ولا ندعي كل الحيادية!!

يقول المُلحد: دولة السويد من أكثر ديمقراطيات العالم نجاحاً.

هذا صحيح لكن السويد إلى اليوم دولة ملكية دستورية، يحكمها الملك كارل السادس عشر غوستاف، والحكم وراثي في السويد.

وهذا يعني أن مقياس القيادة والحكم والسيادة في السويد يكون للدم، ولا علاقة للملكية في السويد برجاحة العقل أو الاختيار، أو ما تفرزه الصناديق، بل الملك يُنصب على العرش مدى الحياة؛ لأن والده كان ملكاً لا أكثر.

يقول المُلحد: دولة السويد من الناحية العسكرية دولة محايدة تماماً، وآخر حرب دخلتها كانت عام 1814.

السويد بالفعل لم تدخل حرب منذ آخر حملة عسكرية شنتها على النرويج عام 1814، وكانت حيادية في الحروب العالمية.

وهذه ظاهرياً ميزة، لكنها في واقع الأمر أنانية مفرطة، وإيثار للذات؛ لأن الأولى أن تتدخل السويد لتمويل الحرب على هتلر، وإيقاف جرائمه.

لكن المفاجأة العجيبة، التي لا يعرفها المُلحد العربي أن السويد سمحت للنظام النازي باستخدام سبكها الحديدية لنقل الجنود والعتاد، وأمدت هتلر بالحديد والصلب من مناجمها التي تقع في شمال البلاد، بل إن عماد الصناعة العسكرية النازية اعتمد بشكل أساسي وجوهري على حديد السويد⁽¹⁾.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Swedish_iron_mining_during_World_War_II.

يقول الملحد: دولة السويد يكفي أنها دولة مستقرة، وهي من أقل دول العالم جريمة.

وهذا خطأ رهيب؛ لأن معدلات الجريمة في السويد مرتفعة للغاية.

ومعدلات الاغتصاب في دولة السويد هي الأعلى عالمياً، حيث تأتي في المرتبة الرابعة بعد فرنسا 886 وألمانيا وروسيا⁽¹⁾.

والسويد في عام 2009 كانت دولة الاغتصاب الرسمية في أوروبا.

According to a 2009 European Union study, Sweden has one of the highest rates of reported rape in Europe⁽²⁾.

أما بخصوص الجريمة فدولة السويد التي يوجد بها 9 مليون نسمة، تم ارتكاب مليون ونصف جريمة في العام 2009 وحده، مما يجعلها من أكثر دول العالم جريمة، ومعدلات الجريمة في السويد ترتفع باضطراد في السنوات الخمس الأخيرة⁽³⁾.

يقول الملحد: السويد دولة الرفاهة الاجتماعية.

وهذا نُسَلَّم به... لكنها تأتي في التصنيف العالمي بعد قطر والكويت.

بل وبحساب قيمة الضرائب الرهيبة التي تفرضها على مواطنيها والتي تبلغ قرابة 60% من دخل الفرد، فإن الدخل الحقيقي للفرد يصبح أقل كثيراً مما يبدو عليه ظاهرياً.

ويحصل العامل العادي في السويد على 40% من دخله بعد الضرائب، ولا تزال الضرائب في السويد قرب ضعفها في الولايات المتحدة.

والعجيب أن دولة السويد تُصنّف على أنها واحدة من الدول الأعلى في معدلات الانتحار على مستوى العالم.

وطبقاً لمقال النيويورك تايمز: «فإن السويد والدنمارك دول الرفاهة الاجتماعية، هما أصحاب أعلى معدلات انتحار في العالم».

(1) http://www.nationmaster.com/graph/cr_i_rap-crime-rapes.

(2) <http://www.thelocal.se/20090427/19102>.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Crime_in_Sweden.

well.blogs.nytimes.com/2011/04/22/happiest-places-post-highest-suicide-rates⁽¹⁾.

يقول الملحد: السويد تقريباً دولة ملحدة.

وهذا أيضاً خطأ شديد، حيث إنه طبقاً لإحصائية 2012 فإن 67 % من الشعب السويدي مسيحيون، إلى جانب 5 % مسلمون، 23 % يؤمنون بوجود خالق، ونسبة ترك المسيحية بالفعل في ارتفاع ليس في السويد وحدها، وإنما في الاتحاد الأوربي كله؛ لأن الصورة التي تقدمها المسيحية للإله تجعل النسبة في ارتفاع باضطراد، وهذا لا علاقة له بالإلحاد الذي يتشوق إليه الملحد العربي، والذي يعني إنكار الصانع⁽²⁾.

يكفي أن السويد ما زالت ملكية، والصليب هو رمز علمها الرسمي.

يقول الملحد: اترك كل هذا جانباً، يكفي أن السويد تستقبل اللاجئين وتفتح ذراعيها للجميع.

أولاً: هذا يدور في إطار المصلحة والنفعية المجردة، وأي دولة في العالم لا تفعل هذا الأمر من أجل سواد عيون المهاجرين، وإنما من أجل الربحية، ومن أجل تصدير صورة مشرقة لنظامها وحكومتها، فكلنا تطلب قرابة 100 ألف دولار، وكذلك استراليا، وبعض دول الاتحاد الأوربي تشترط للحصول على جنسيتها قرابة نصف مليون يورو.

وللحصول على جنسية مالطا، يلزم دفع 650 ألف يورو إلى حكومة مالطا كمنحة لا تُرد، وبلغاريا تعرض جنسيتها بمبلغ 500 ألف يورو، والنمسا تطلب استثمار 10 ملايين يورو في العقارات، وأرخص الجنسيات سان كيتس بـ 186 ألف يورو، وجنسية الدومينيكان بـ 100 ألف يورو⁽³⁾.

ثانياً: السويد تقع في خانة الدول التي تُحصّل مبالغ من المهاجرين أكثر من تلك التي تصرفها عليهم، وبما يعادل الآف الكرونات سنوياً، وفقاً لمنظمة التعاون والتنمية OECD.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Suicide_in_Sweden.

(2) <https://www.svenskakyrkan.se/default.aspx?di=978164>.

(3) <http://www.cnbc.com/id/101198433>.

وأوضحت دراسة حديثة أن مهاجري خمس دول أوروبية فقط من أصل الـ 27 دولة يكلفون بلدانهم المضيفة مبالغ إضافية، تأتي ألمانيا التي تحتضن شريحة واسعة من المهاجرين في المقدمة، لكن حتى تلك الزيادة في التكلفة تُحسب بسبب معاشات التقاعد العالية التي تصرفها ألمانيا للقادمين من أوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أوضحت الدراسة، أنه في حال جرى استثناء تلك المعاشات الضخمة من المبالغ التي تصرف على المهاجرين، فإن النتيجة ستكون زيادة مالية كبيرة في ميزانية ألمانيا⁽¹⁾.

وفي السويد يدعو حزب سفاريا ديموكراتنا العنصري المعادي للأجانب ومنذ سنوات عدة إلى إجراء تحقيق حكومي في اتهامات تتعلق بالمبالغ المالية التي تتكلفتها سياسة الهجرة في السويد.

هل كان هتلر ملحداً؟

يُصنف [أدولف هتلر] كثالث أكبر مجرم في تاريخ الجنس البشري.. بعد [ماو تسي تونج] الملحد -رئيس الصين - بحصيلة قتلى 50 مليون نسمة، و[جوزيف ستالين] الملحد - رئيس الإتحاد السوفيتي - بحصيلة قتلى 40 مليون نسمة⁽²⁾.

هل كان هتلر ملحداً؟

لكن ماذا عن Gott mit uns والتي تعني الله معنا شعار النازي؟

ماذا عن رمز الصليب في النازية؟

ماذا عن المسيحية الإيجابية Positive Christianity التي دعا إليها هتلر؟

قدّم أدولف هتلر في بداية مشواره السياسي في ألمانيا الدعم للكاتوليكية الألمانية، لكن مع وصوله للحكم، وقيادته للرايخ الثالث، قام بإغلاق جميع الكنائس، وجميع المنظمات الكاثوليكية في البلاد.. وقرر اضطهاد الكاثوليك رسمياً، وسمح لجوبلز وهملر وبورمان باضطهاد المسيحية في البلاد.

(1) <http://alkompis.se/news/swedish/6435/>.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Adolf_Hitler.

كتب [آلان بولوك] يقول « كان هتلر مادياً قاسياً وكان يرى أن المسيحية تقف في وجه قوانين الانتخاب الطبيعي، والبقاء للأصلح».

Bullock wrote that Hitler was a rationalist and materialist, who saw Christianity as a religion «fit for slaves», and against the natural law of selection and survival of the fittest.⁽¹⁾

ومن المسلم به عموماً من قبل المؤرخين أن غاية هتلر فيما بعد الحرب، وعلى المدى الطويل كانت القضاء على المسيحية في ألمانيا.

وقد اتفق كتاب سيرة هتلر أمثال [آلان بولوك] Alan Bullock، و [إيان كيرشوف] Ian Kershaw، و [يهواقيم فيست] Joachim Fest على أن هتلر كان ضد المسيحية.

وهذا الكلام أثبتته هتلر نفسه من خلال طاولات نقاشه مع مستشاريه Hitler's Table Talk، قال: هتلر في إحدى طاولات النقاش «المسيحية ديانة أسطورية والعلم يحطمها وسيثبت يوماً ما أنها أسطورية»⁽²⁾.

ويخلص [لورنس ريس] إلى أنه «لا علاقة بين هتلر والمسيحية، بل لا علاقة له بالدين بشكل عام، وليس هناك أدلة على أن هتلر نفسه في حياته الشخصية كانت له أي عقيدة لها علاقة بالدين، أو المعتقدات الأساسية للكنيسة المسيحية».

كانت علاقة هتلر بالدين علاقة انتهازية لا أكثر.

إنه الرجل الذي لم يكن يؤمن بالله، ولا بالضمير.. طبقاً للمؤرخ آلان بولوك⁽³⁾.

ولم تكن المسيحية بالنسبة لهتلر أكثر من ديانة عبثية.

يقول [ألبرت سبير] مهندس عمليات هتلر: « كان هتلر يرى أن المسيحية ديانة خاطئة»⁽⁴⁾.

(1) Alan Bullock; Hitler, a Study in Tyranny; HarperPerennial Edition 1991; p219".

(2) Hitler's Table Talk 1941-1944, Cameron Stevens, Enigma Books p.5 61.

(3) Alan Bullock; Hitler: a Study in Tyranny; 1991; p216.

(4) Inside the Third Reich: Memoirs. New York: Simon and Schuster, pp 9 96.

وبدخول عام 1939 أعلن هتلر لجوبلز رسمياً أنه «يود لو تسنح له الفرصة لاستئصال المسيحية من العالم كله.. فهي داء خطير»⁽¹⁾.

ومن الغريب أن هتلر كان يؤمن يقيناً أن المسيحية تم تحريفها على يد شاول الطرسوسي - القديس بولس -، وقد اعتبر أن المسيحية قد نضجت بما فيه الكفاية لتدميرها.

In early 1937 he was declaring that 'Christianity was ripe for destruction'⁽²⁾.

لكن طالما أن المسيحية بهذه البشاعة بالنسبة لهتلر، إذن بماذا كان يدين الرجل؟

المؤرخ النازي الشهير [كونراد هايدن] Konrad Heiden اقتبس مقولة هتلر حين قال: «نحن لا نحتاج إلى إله آخر سوى ألمانيا، لا يكون الحب والإخلاص إلا لها»⁽³⁾.

يرى كثير من المؤرخين الكبار أن أدولف هتلر كان ربوبياً يؤمن بوجود إله خلق الكون لا أكثر deism... وهذا الاتجاه مدعوم برؤية عامة لمقولات هتلر وتصريحاته وطاولات النقاش الخاصة به مع المقربين.

لكن الذي يُسلم به جميع المؤرخين بلا خلاف يُذكر بينهم أن النازية التي أسسها هتلر كانت «علمانية قائمة على العلم المادي التجريبي المعاصر»⁽⁴⁾.

ويرى أشهر المؤرخين للحقبة الهتلرية على الإطلاق وهو آلان بولوك Alan Bullock أن هتلر كان مادياً فحاً materialist، هذا هو دين أدولف هتلر الأول والأخير.

ورأي بولوك أن هتلر لم يؤمن يوماً ما بالله⁽⁵⁾.

إذن الذي لا خلاف عليه هو مُعاداة هتلر للمسيحية، وكرهيته للدين بصفة عامة، وتأسيسه للنموذج المادي العلماني القائم على العلم التجريبي المجرد.

(1) Elke Frölich. 1997-2008. Die Tagebücher von Joseph Goebbels. Munich: K. G. Sauer. Teil I, v. 6, p. 272.

(2) Ian Kershaw; Hitler a Biography; W. W. Notron Co; 2008 Edn; pp.29 297.

(3) Heiden, Konrad (1935). A History of National Socialism. A.A. Knopf, p. 100.

(4) Richard J. Evans; the Third Reich at War; Penguin Press; New York 2009, p. 547 .

(5) HarperPerennial Edition 1991; p219 .

ربما فكرة الإلحاد بصيغته التنظيرية المعروفة لم يتفرغ هتلر لاستيعابها، لكن حتمًا هي مُستقرة في ذهنه ولو بصورة بدائية أولية، وهي التي حررت من كل النوازع الأخلاقية، أثناء تدميره للأمم والشُعوب، وإحراقه لديانات بأكملها، وقيامه بتفريغ كل الدول التي تحت يده من الأقليات والأثنيات، كالغجر والسلاف واليهود والأقزام والمعاقين.

لقد حررت المادية العلمانية هتلر من أيّة أعباء أخلاقية مثالية.

لقد كان هتلر يتبنى رؤية الداروينية الاجتماعية في صراع الضعفاء مع الأقوياء، وقام بتطبيقها في حروبه وفي إحراقه للأقليات.

لكن ماذا عن Gott mit uns، والتي تعني: الله معنا، شعار النازي؟

شعار الله معنا Gott mit uns، هو وسام التاج البروسي، وتم تصميمه عام 1861، وكان يحمل شعار الامبراطورية الألمانية، وكان الجنود الألمان يضعونه على خوذاتهم في الحرب العالمية الأولى.

إذن الأمر تراثي لا أكثر، إنه شعار مجد الإمبراطورية البروسية العظيمة التي كان يتوق هتلر لاستعادتها⁽¹⁾.

ماذا عن رمز الصليب في النازية؟

نال هتلر وسام الصليب الحديدي في الحرب العالمية الأولى، وكان يفخر جدًا بهذا التكريم، وكان يضعه تحت شارة حزبه، ومن هنا جاء رمز الصليب في النازية.

ماذا عن المسيحية الإيجابية Positive Christianity التي دعا إليها هتلر؟

هذه الصياغة من المسيحية كانت أكبر دليل على رؤية هتلر للمسيحية، فقد دعا هتلر في عشرينيات القرن الماضي إلى المسيحية الإيجابية Positive Christianity، في برنامج الحزب النازي عام 1920، التي طبقًا له تُنكر سامية المسيح - أنه من نسل يهود - أو أن كُتبه الإنجيل يهود.. وصُنفت الديانة الجديدة من قبل كنائس أوروبا كلها أنها هرطقة وإلحاد⁽²⁾.

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Gott_mit_uns .

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Positive_Christianity .

وطبقاً ليوميات جوبلز - وزير دعاية هتلر - « كان هتلر يكره المسيحية جداً، من أجل ذلك قام بتأسيس للمسيحية الجديدة»⁽¹⁾.

بعض جرائم هتلر...

إذن هتلر كان مادياً علمانياً، حارب من أجل الانتخاب الطبيعي، وحاول أن يجعل منه أيديولوجية ألمانيا في القرون العشرة القادمة - الرايخ الثالث -، ومن أجل هذا المبدأ قام هتلر بتأسيس فرقة Einsatzgruppen، وهي فرقة إبادة الأقليات عديمة الجدوى في ألمانيا، وكان يتم تجريد الضحايا من أية أدوات نافعة مثل حشوات الأسنان الذهبية، ثم يقوم الضحايا بحفر القبور بأيديهم ثم يُقتلون وهم واقفون في وسط القبر بمنتهى الترشيده والعقلانية المادية العلمانية.

وفي 14 يوليو 1933 أصدر هتلر قراراً بتعقيم 400 ألف شاب عن طريق تمريرهم على ترددات عالية من أشعة إكس، حتى يفقدوا القدرة على الإنجاب، فهؤلاء الشباب كانوا مصابين بأمراض نفسية، وعصابية كثيرة ربما تضر الأجنة.

يظن كثيرون من العرب أن مشكلة هتلر كانت مع اليهود، وهذا خطأ جوهري في استيعاب رؤيته للإنسان والإنسانية.. كان هتلر يرى أن الألمان هم أرقى الأجناس، وأن اليهود أحد الأقليات التي تؤثر على نقاء العرق الألماني النقي، لكنهم ليسوا الوحيديين في الصورة فهناك الكثير من الأعراق التي اختلطت بالألمان، ولذا لم يقم هتلر بإبادة اليهود فقط، وإنما أباد السلافيين والفجر والأقزام والمعاقين وأصحاب الأمراض النفسية وأصحاب الأمراض المزمنة، وعدم شهرة هذه الأقليات بسبب عدم وجود لوبي غربي يطالب بحقوقهم بعكس الحال مع اليهود!

وبذلك أصبح هتلر من أوائل الذين يقومون بتطبيق الانتخاب الطبيعي عملياً، ومن أوائل الشخصيات التي استوعبت الداروينية بصورتها الحقيقية⁽²⁾.

ولذا يمكن اعتبار معسكرات الاعتقال النازية، حيث يتم إحراق كل الأقليات والأثنيات،

(1) Fred Taylor Translation; the Goebbels Diaries 193 41.

(2) <http://en.wikipedia.org/wiki/Untermensch>.

هي أول مراكز الانتخاب الطبيعي التي يؤسس لها الإنسان المعاصر الهوموسابينين *homo sapiens*، حيث يُحرق في هذه المراكز عديمي النفع *useless eaters* على حد تعبير هتلر حين قام باحتلال بولندا، وبالفعل تم رسمياً قتل 5.3 مليون بولندي لهذا السبب.

كان هتلر بنموذجه النازي الصورة المثالية للمادية العلمانية التي دعت لها نظرية الانتخاب الطبيعي.

وقام هتلر بتقرير مشروع T4، وهو المختص بعمليات القتل الرحيم *Euthenasia*، أو القتل العقلاني حيث يتم التخلص من المعاقين، وأصحاب الأمراض النفسية، وأصحاب الأمراض المزمنة، عن طريق القتل المباشر.

وقام الدكتور [بوخنوالد] *bboukhnouald*، بعمل تجارب طبية على المعتقلين، مثل تعريضهم لُغرف تفرغ الهواء، لمعرفة كم يستطيع الانسان أن يمكث حتى يموت، وتعريضهم لغازات سامة لمعرفة مدى فاعليتها والتركيزات المطلوبة، والقيام بعمليات جراحية بدون تخدير لمعرفة درجات الألم ومسارات الأعصاب، وقد وُقِّرت الفترة النازية كمية عملاقة من المعلومات الطبية في كافة المجالات.

وكان الدكتور [راشر] يُعرض مرضاه للتجميد لمعرفة الفترة التي بعدها يموت الانسان، ودرجة التجمد الكافية للموت، وكان أسلوب العمل هو تجميد السجناء تدريجياً مع متابعة النبض والتنفس والحرارة وضغط الدم، بانتظام وقد مات أغلب من تمت التجارب عليهم، والباقيون أُصيبوا ببلوثات عقلية وتمت إبادتهم بعد ذلك.

وكما قال [بريمو ليفي] *Primo Levi*: فإن ألمانيا النازية هي المكان الوحيد، الذي كان بوسع العلماء أن يدرسوا فيه جُثتي توأمين قُتلا في نفس اللحظة⁽¹⁾.

كما أُجريت في ألمانيا النازية تجارب زرع الغرغرينة في الجروح، والحقن بالميكروبات، لمعرفة الأسرع فتكاً⁽²⁾.

لقد كان أدولف هتلر مادياً، يؤمن بمقررات الداروينية، والانتخاب الطبيعي، والبقاء

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Primo_Levi.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Nazi_crimes_against_the_Polish_nation.

للأصلح، وقامت الحرب العالمية الثانية التي راح ضحيتها 50 مليون نسمة، من أجل تطبيق هذه الفكرة.

العلمانية تصحح نفسها بنفسها

هذه أسطورة يروج لها دعاة الإلحاد العلماني في بلادنا فالعلمانية يستحيل تصحيحها من داخل النموذج العلماني؛ لأن المركز في العلمانية هو المادة والطبيعة، وأي تصحيح للنموذج العلماني لن يخرج عن هذا الإطار، ولن تستمد العلمانية قيمة من خارج هذه الإطار وإلا فقدت أهم خصائصها ولم تعد علمانية.. إذن لو استمدت العلمانية قيمة ميثاقية ما ورائية خارج الإطار المادي لتدعمها، في هذه اللحظة لم تعد العلمانية هي تلك الصورة التي يبشر بها مؤسسوها...

يعلم الجميع أن العلمانية فجة مستحيلة التطبيق؛ لذا يتم إدخال عناصر من خارجها لتجميل الصورة وتحسين المنظر العام ولتلقى قبولاً لدى القاعدة العريضة من الناس..، عندما مثلاً سمح [أردوغان] بإدخال الحجاب للمؤسسة التركية كان هذا منافياً لمبادئ العلمانية، وحاولت المؤسسة العسكرية أن تقوم بانقلاب كبير عليه، وصراحةً بالفعل أردوغان خالف أسس العلمانية في هذا الأمر، وليست له حجة، لكن الجميع يعلم أن المشكلة ليست في أردوغان وإنما في العلمانية الشوهاء الفجة واستحالة تطبيقها بصورتها القبيحة.

إذن أي تصحيح للعلمانية لا يكون إلا في إطار النموذج المادي الطبيعي، أي تصحيح خارج هذا النموذج يُفقد العلمانية أهم سماتها... إذن لا يوجد تصحيح ولا تجميل للعلمانية، والتصحيح دائماً يأتي من قيمة خارج العلمانية نفسها وهذا يعني قصورها عن استيعاب الإرادة البشرية ورغبات المجتمع. وهذا يعني فشل العلمانية الصريح والجدري في فهم متطلبات الشعب، وإلا ما حدث الصراع الفتاك الحالي بين [أردوغان] والمؤسسة العسكرية.. وهو صراع بين إرادة شعب وبين علمانية فجة.. صراع بين رغبات أمة وعلمانية حقيقية تريد أن يتم تطبيقها بالحديد والنار... صراع بين طموحات الأتراك المشروعة وبين حدود العلمانية التي لا يمكن تجاوزها!

الديموقراطية بها خطأ فلسفي قاتل

في الدول الديموقراطية فإن 51 % من الأصوات هو الذي يقرر القانون والحقيقة والقيمة.

عدد الأصابع المرفوعة هو المرجعية النهائية، إنها ديموقراطية بلا مرجعية فلسفية أو أخلاقية أو معرفية، وقد ضرب أحد المفكرين -د. عبد الوهاب المسيري- مثلاً على ديموقراطية عد الأصابع بإحدى مباريات كرة القدم: إذا أحرز الفريق الضيف أهدافاً أكثر من اعضاء فريق البلد المضيف فهل من حق أغلبية المتفرجين أن يقرروا ما إذا كان الفريق المضيف هو الفائز أم لا؟ والاجابة بطبيعة الحال بالنفي، فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لأهداف في مباراة كرة قدم فهل يصح تطبيق هذا المنطق على شيء هام للغاية مثل القيم الإنسانية العليا وقوانين الأمة...!!

والديموقراطية تدور في إطار النسبية الكاملة، وترتبط بعدد الأصابع الموافقة للقرار المتخذ حيث يتم تمرير مشروع أي قانون بفرق صوت واحد وهذا جائز ديموقراطياً بغض النظر عن القيمة والغاية..

والديموقراطية الأمية كما يسميها عالم الاجتماع [اولریش بيكر] Ulrich Becker هي التي تسببت في اندلاع حربين عالميتين وغرق الأرض بالربا وتجار البشر الجدد، ولم تعد حقوق الإنسان تحظى باحترام فقانون الإرهاب في الغرب «Patriot Act» والحد من نزوح المهاجرين ورفض الأجانب كلها قرارات ديموقراطية سليمة!

والحزب النازي وصل إلى الحكم بطريقة ديموقراطية وكل قرارات الإبادة التي قام بها الحزب تمت بطريقة ديموقراطية عقلانية رشيدة!

والمشروع الإمبريالي الغربي قامت به حكومات تم انتخابها بطرق ديموقراطية سليمة، وعمليات السخرة والإبادة كانت تحظى بالموافقة، فهي مسموح بها ديموقراطياً.

هل علينا ان نقبل بهذه القرارات بما أنها نابعة من إرادة الشعب أم نرفض هذه القرارات الديموقراطية استناداً إلى مرجعيات أخلاقية متجاوزة؟

العلمانية الغربية الآن بها ما يسمى احترام التأييد واحتراف المعارضة، فلا يصح للمعارضة أن تؤيد قرار الحزب المخالف بل هي معارضة على الدوام، أفيراد تمثيل هذه اللعبة في بلادنا ليقال عنا ديموقراطيين ومتحررين؟

كان [هيغل] يعارض الانتخابات المباشرة ويرى أنها لا تفي بالغرض.. ففي الدول الرأسمالية تتبرجز البروليتاريا أي يتم شراء أصواتها بالمال كما يقول لينين.

ولا ننسى أن مجلس الشيوخ الأمريكي أغلبه مليونيرات رأسماليين.. لقد صارت الانتخابات مجرد اقتراع شعبي يدور حول موضوعات تافهة، ويرتهن بمن يتابع التليفزيون بشكل أفضل، وصارت الانتخابات مجرد استبدال مجموعة من المحتالين بمجموعة أخرى من المحتالين، وأصبح الناس يذهبون إلى صناديق الاقتراع للتصويت عرقياً ليكفلوا لمجموعتهم أن تفوز بغض النظر عن حُجة هذا أو ذاك، وبات المرء يُصوت من أجل مصالحه الذاتية.

ويرى [نعوم تشومسكي] أن الديمقراطية الغربية هي ديموقراطية بالونية كاذبة، فلا أحد يعرف إلا ما يرغب الليبراليون الكبار أن نعرفه، والسكان سيريضون بقرار قادتهم ذوي البصيرة، ف نموذج الديمقراطية الذي يرتضيه الشعب يساوي باختصار نموذج السيطرة الشمولية.

ولذا يقول نعوم تشومسكي: لقد عارضنا بثبات الديمقراطية، حيث لم يعد بالإمكان السيطرة على نتائجها⁽¹⁾.

حديقة حيوان البشر! Human zoo

أوضح داروين في كتابه نشأة الإنسان: أن الأعراق البشرية مجرد أنواع مختلفة من الكائنات الحية، لا يربط بينهم رابط، وبالعودة إلى الوراء فإنه يبدو من المستحيل الإشارة إلى أية نقطة محددة يتحتم عندها استخدام مصطلح الإنسان، ولكنه أمر ذو أهمية قليلة جداً⁽²⁾.

(1) بعض الفقرات مقتبسة من كتاب العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق طبعة 2002 المجلد الثاني.

(2) نشأة الإنسان The descent of man .. تشارلس داروين .. ترجمة مجدي محمود المليجي .. المجلس الأعلى للثقافة 2005 .. ص 52.

ومن العجيب أن داروين كان يرى أن الأجناس البشرية المختلفة التي تعيش بيننا الآن هي كائنات حية مُختلفة، وقد أقام داروين التذليل على ذلك باستخدام حجة القمل، فاختلف نوع القمل في السكان الأصليين لبعض القارات عن القمل الذي يوجد في أوربا يؤكد اختلاف النوع بين البشر الحاملين لذلك القمل، فالأمر ليس مجرد اختلاف أعراق وإنما اختلاف أنواع.

يقول داروين: «بالفحص الدقيق للقمل الذي تم جمعه من أقطار مختلفة من الأعراق المختلفة للإنسان، وُجد أنهم لا يختلفون في اللون فحسب ولكن في التركيب الخاص بالمخالب والأطراف وفي كل مرة يتم فيها الحصول على العينات فإن الاختلافات تكون ثابتة، وعندما شرد القمل الذي كان يعيش على سكان إحدى الجزر البدائيين وانتقل إلى أجساد البحارة الإنجليز، فقد مات في خلال ثلاثة أو أربعة أيام، وكان هذا القمل داكناً وأكبر في الحجم وأكثر ليونة من القمل الأوربي، وهذه الحقيقة الخاصة بأن الأعراق الإنسانية يتم ابتلاؤها بالطفيليات التي يبدو أنها متباينة بشكل خاص من الممكن تقديمها كبرهان على أن الأعراق البشرية في حد ذاتها من الواجب تصنيفها على أساس أنها أنواع مختلفة ومتباينة من الكائنات الحية»⁽¹⁾.

وكان العبء المُلقى على عاتق الداروينيين فيما بعد واضحاً، ولا يحتاج التأخير فنحن بصدد البحث عن كائنات حية مُختلفة تُسمى مجازاً بشر.

وكانت بدايات القرن العشرين ملحمة المعاناة للسود والأعراق الأفريقية والأجناس المغولية، فظهرت حدائق حيوان الإنسان، والمعارض الأثنية ethnological expositions، وفي صورة مُهينة للغاية، وعنصرية قبيحة، وداروينية فجّة، كان يوصف هؤلاء البشر بأنهم حلقات في سلسلة الإنسان القرد⁽²⁾.

وكانت الفترة الذهبية لحدائق حيوان البشر هي الفترة من 1870 إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، وكانت تُعرض في حدائق حيوان البشر مجموعة واسعة من الحيوانات، وبينها توجد

(1) المصدر السابق ص 402.

(2) Mullan, Bob and Marvin Garry, Zoo culture: The book about watching people watch, Second edition, 1998, P32

أقفاص تحتوي على بشر من مختلف الأجناس، وكان يوضع في الأقفاص بجانب السود الأقزام والمصابين بالبهاق ومُحدي الظهور dwarves, albinos and hunchbacks⁽¹⁾.

وكانت توجد حدائق حيوان الإنسان في باريس وهامبورج وبرشلونة وأنتيورب ولندن وميلانو ونيويورك، وفي عام 1874 قرر الألماني Carl Hagenbeck أن يُحضر مجموعة من النوبيين من مصر باعتبارهم أحد الحيوانات التي يتم البحث عنها ملء بقية الأقفاص⁽²⁾.

-ربما لا يصدق الملحدون المصريين أن أجدادهم رسمياً كانوا داخل أقفاص منذ أقل من قرن وربع باسم الداروينية الملحدة العنصرية الفجة القبيحة.-

وأدرت أقفاص النوبيين الدخل الوفير لـ Carl Hagenbeck حيث قام بعمل جولة بهم في باريس ولندن وبرلين.

وفي عام 1877 قرر مدير حديقة كوت Geoffroy de Saint-Hilaire وتسمى Jardin d'acclimatation تنظيم حديقة حيوان مستقلتين للنوبيين وأهل الإسكيمو ووصل عدد الزوار إلى ما يقارب المليون مما أتاح مضاعفة الحديقتين إلى 30 حديقة بين عامي 1877 إلى عام 1912.

وفي عام 1889 عرضت حديقة الحيوان العالمية في باريس 400 شخص من السكان الأصليين، وكانت زيارات تلك الحدائق تحقق دخولاً رهيباً مما ساعد في انتشارها في أنحاء أوروبا.

ومن المدهش أن حديقة حيوان كولومبيا عام 1893 كانت تضم مصريين رسمياً⁽³⁾.

وفي عام 1904 أنشئت في مدينة سانت لويس بأمريكا حديقة حيوان تعرض الكثير من الفلبينيين فيما كان يُسمى بموكب التقدم الدارويني التطوري parade of evolutionary progress، وكانت رسالة حديقة الحيوان واضحة للزوار وهي تبرير عبء الرجل الأبيض، في استعمار العالم وأخذ ثروات هؤلاء البدائيين الذين لا يعرفون قيمتها.

وكانت الأقزام من غينيا الجديدة تُعرض في قسم الثدييات الرئيسية في حديقة حيوان برونكس.

(1) www.discoverparis.net/newsletter.html?insight=3162983825694464.

(2) http://mondediplo.com/07/08/2000_humanzoo.

(3) Anne Maxell, "Montrer l'Autre: Franz Boas et les soeurs Gerhard", in Zoos humains. pp. 331-339.

The Primate section of the Bronx Zoo⁽¹⁾.

وفي أحيان كثيرة كانت تقوم بعض حدائق الحيوان بنقل قرى بأكملها مع ترايب البيوت التي كان يعيش بها هؤلاء البشر مع كافة أمتعتهم، حتى تُضفي مزيداً من البهجة للزوار.

تم عرض القرية الكونغولية في معرض بروكسل 1958 في العالم⁽²⁾.

لكن كيف كان هؤلاء البشر المساكين يُمضون أوقاتهم في أقفاص الحيوانات، تذكر لنا الروايات أن متوسط الفترة التي يمضونها كانت لا تتجاوز ثلاثة أشهر حيث يُصابون بأمراض عصبية ونفسية خطيرة، وأقدم الكثيرون منهم على الانتحار، وكان أشهر هؤلاء المنتحرين على الإطلاق هو [أوتا بينجا] حيث كان يعيش في إحدى قرى الكونغو وكان متزوجاً ولديه طفلان، وقد اقتيد من قريته وعُرض داخل أحد الأقفاص بجانب قرد الشامبانزي في نفس القفص، ثم مع إنسان الغاب وكان يُصنف كأحد الحلقات المفقودة، وظل معروضاً في حديقة حيوان بروكس في نيويورك شهوراً طويلة، ونظراً لوضعه المأساوي فقد قرر الانتحار، والتخلص من حياته⁽³⁾.

بقي أن نقول: إن حدائق حيوان البشر كانت في العقل الأوربي منذ القرن السادس عشر الميلادي، منذ أن بدأ الأوربيون يجوبون العالم ويُنشئون مستعمراتهم، وكان العقل الأوربي يرى في هؤلاء الزوج والأقزام والهنود والسكان الأصليين درجة أدنى بكثير من الجنس القوقازي الأبيض، ولذا ما فعله داروين صراحةً هو تقديم المبرر البيولوجي، والمسوغ العلمي الذي يتيح لهؤلاء مزيداً من التنكيل والإهانة وتدمير قرى بأكملها باسم الداروينية، ولذا كانت حدائق حيوان البشر توجد على استحياء قبل داروين، لكن عصرها الذهبي هو من عام 1870 - العام الذي أصدر فيه داروين كتابه نشأة الإنسان - إلى عام 1945، فقد حررت الداروينية هؤلاء من أية أعباء أخلاقية في تعاطيهم مع بقية البشر.

(1) <http://www.modelminority.com/article750.html>.

(2) <http://query.nytimes.com/gst/abstract.html?res=9C04E7D81F3EE733A25753C1A96F9C946797D6CE>.

(3) Philips Verner Bradford, Harvey Blume, Ota Benga: The Pygmy in The Zoo, New York: Delta Books, 1992.

الفصل التاسع

بدائع الفوائد

الفصل التاسع

بدائع الفوائد

لا يوجد ملحدون في الخنادق

There are no atheists in foxholes

هذه العبارة قالها الرئيس الأمريكي السابق [أيزنهاور]، حيث إن الإلحاد يختفي في أوقات الكرب والشدة والكل يعود إلى الإيمان⁽¹⁾.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله: «أحد الرفاق السابقين الفلسطينيين مع مجموعة من التروتسكيين حضروا إلى معسكر تدريب الفدائيين، وبادروا صديقي بالسؤال عن إطاره النظري ومنطلقاته الفلسفية ونقط ارتكازه العقلية، فاحترار صديقي ولكنه أخبرهم بأنهم في هذا المعسكر يؤمنون بالكفاح المسلح، ثم أضاف أنه يمكنهم أن يشاركوا بأنفسهم في عملية عسكرية في اليوم التالي، ثم أعد صديقي الماكر عدة سيارات لهم، وتقدم الموكب نحو منطقة جبلية، ثم بدأ الرصاص ينهال عليهم بتدبير سابق، وبطبيعة الحال لم يصبهم سوء ولكن كما أخبرني صديقي فقد تصرف التروتسكيون مثل أي بشر أي اختبئوا تحت السيارات، ولكن ما فاجأه هو أن كل واحد منهم بدأ يتلو أدعية دينية ويطلب العون من الله»⁽²⁾.

﴿هُوَ الَّذِي يُسِّرْكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الَّذِينَ لَئِنْ أَجَبْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/There_are_no_atheists_in_foxholes.

(2) رحلتي الفكرية، ص 140.

الْحَقَّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ [يونس: 22 - 23].

الإلحاد هو موقف نفسي لا أكثر.

﴿ فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: 65].

نشأة الإلحاد

لا يوجد تاريخ محدد يمكن من خلاله إثبات بداية زمنية للإلحاد، فهو ظاهرة طفيلية عبر الزمان لا توجد لها جذور حتى عند السوفسطائيين اليونانيين القدامى، وحتى [أبيقور] مؤسس مذهب المتعة ومؤسس المدرسة الأبيقورية المنحلة عاش عيشة متقشفة، وكان رواقياً سامياً في أخلاقه، عاش ومات على مذهب أهل الأديان في تبنى الأخلاق، وترك الانغماس في الملذات واتخذ زوجة ومزرعة وعاش بما تُدره عليه دروس العلم التي كان يُلقِيها لتلامذته، وحتى فولتير أول الملحدين والأب الروحي للإلحاد كان يشرح فلسفته الإلحادية لزملائه، وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدمته ويخشى على خدامه من الإلحاد، وكان يدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، وكان يقول كلمته الشهيرة: «لو لم يكن هناك إله لخانتني زوجتي وسرقني خادمي».. ، بل وقام فولتير المُلحد في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها «يا رب اذكر عبدك فولتير»، وادعى أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الديانة⁽¹⁾.

فالإلحاد كفلسفة مُستقلة لا توجد له جذور عبر كل التاريخ ولذا يقول المؤرخ الإغريقي [بلوتارك]: «لقد وجدت في التاريخ مدن بلا حصون، ومدن بلا قصور، ومدن بلا مدارس، ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد».

ويقول [ول ديورانت] في كتابه قصة الحضارة: «ولا يزال الاعتقاد القديم بأن الدين

(1) قصة الحضارة ول ديورانت المجلد 38 صفحة 214.

ظاهرة تعم البشر جميعًا اعتقادًا سليماً، وهذه في رأي الفيلسوف حقيقة من الحقائق التاريخية والنفسية»⁽¹⁾.

أما في بلادنا الإسلامية فلم يوجد ملحد واحد في تاريخ الإسلام كله، أما ما يُروى عن ابن الراوندي وابن المقفع وابن سينا وأبو حيان التوحيدي وغيرهم فعلى قتلهم الشديدة لرب يكونوا ملحدين الإلحاد الاصطلاحي المعاصر، وإنما كانوا أتباع فلسفات باطنية كما أوضحنا فيما سبق، بل ويؤكد تاج الدين السُّبكي في كتابه طبقات الشافعية أن أغلب هؤلاء أئمة مجتهدون لهم وعليهم.

وفي عصرنا الحديث يصعب بشدة ضبط تاريخ محمد لظهور الإلحاد المعاصر، لكن أغلب المؤرخين الغربيين يؤرخون لبداية الإلحاد في أعقاب هدم سجن الباستيل سنة 1789م مع بداية الثورة الفرنسية، وظهر فعلياً على الساحة العالمية بوصول البلاشفة للحكم في روسيا في أعقاب ثورة 1917م، لكن بقليل من الإنصاف سيظهر لنا أن البلاشفة بالفعل كانوا ملحدين وحاربوا الدين حرباً شعواء، وتبعاً لمجلة التايم في عددها الصادر يوم 11956، فإن عدد الكنائس تقلص في الاتحاد السوفيتي من 46 ألف كنيسة سنة 1917 إلى 4 آلاف كنيسة سنة 1956، إلا أن البلاشفة الشيوعيين لم يكن إلحادهم إلحاداً علمياً أو فلسفياً أو فكرياً بقدر ما كان إلحاداً سياسياً، فالدين من منظور ماركسي هو أحد البنى الفوقية بما في ذلك الفكر والاجتماع والسياسة والتقاليد والقيم، بينما الإقتصاد هو البنية التحتية الوحيدة للمجتمع الماركسي، وكل البنى الفوقية هي انعكاس لهذا البناء التحتي، ولا توجد بنية فوقية واحدة مُستقلة، وهذا يعني أن الدين عامل عارض يتم إزالته في مرحلة لاحقة حتى ينفرد العامل الإقتصادي بإدارة الأمة الماركسية، ولذا فأغلب إحصاءات أعداد الملحدون حول العالم هي إحصاءات مزيفة وغير دقيقة بالمرّة؛ لأن أي دولة تُعلن الحكم الإشتراكي يتم تحويل عدد سكانها في جداول البيانات من خانة الدين إلى خانة الإلحاد، وهذا ما ذهب إليه [صامويل هنتنجتون] في كتابه صدام الحضارات إذ يقول في ص108 «يُشكل الصينيون حوالي 92% من الملحدون حول العالم فمع مجيء الشيوعية إلى الصين تم تحويل كل أصحاب الديانات الأرضية إلى لادينيين، في كل الدراسات الإحصائية لأصحاب الأديان في العالم». وهذا تحويل قسري غير موضوعي بالمرّة.

(1) قصة الحضارة، م1، ص96.

ولذا يرى المؤرخون أنه بناءً على هذه الفكرة فالإلحاد انتهى بصورته المؤسسية من العالم مع انهيار الإتحاد السوفيتي سنة 1989 م.. فالفترة بين عامي 1789 م و1989 م يمكن اعتبارها العصر الذهبي للإلحاد The Twilight of Atheism، إذن الإلحاد في الأصل فلسفية طفيلية بلا جذور أغلب أبعاده سياسية مجردة، ولذا فالملاحدون إلى الآن يتم تصنيفهم في أمريكا على أنهم أكثر الطوائف تعرضاً للاضطهاد، وبحسب بحث استقصائي على مدار عامين قامت به جامعة مانيسوتا الأمريكية فإن الملاحدين هم الأكثر اضطهاداً في أمريكا، ويفوقون في ذلك الشواذ جنسياً والمسلمين المتطرفين⁽¹⁾.

وأمریکا أقوى دولة علمية في العالم ما زالت تصنف الملاحدة على أنهم غير مقبولين في المجتمع الأمريكي، وكان هذا واضحاً جداً في الكلمة التي قالها [جورج بوش] الأب حين سأله صحفي أمريكي في عام 1987: «هل يمكن اعتبار الملاحد الأمريكي متساوياً في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكيان، وأصبح رد السيد بوش مشهوراً حين قال: «لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملاحدين مواطنون أو حتى اعتبارهم محيين للوطن هذه أمة موحدة تحت راية الله». Atheist cannot be considered as patriotic citizen.

وطبقاً للواشنطن بوست في بحث آخر مستقل: «فإنه على الرغم من حصول الشواذ جنسياً على بعض الحقوق، ونالوا بعض الاحترام من المجتمع الأمريكي ما زال الملاحدون الأمريكيون يمثلون أكثر فئات أمريكا احتقاراً وكراهية بسبب ما يبدو من انعدام للأخلاق وعدم الثقة ورعونة في مبادئهم فإن المجتمع الأمريكي سريعاً ما يلفظهم، ويتردد كثيراً الأمريكيون في إقامة علاقة مع ملحد أو مجرد تولي منصب وظيفي أو حتى المشاركة في فرق الكشف الشبانية خاصة لما يبدو من صفات عدم تحمل الأمانة في اختبارات التأهيل العسكري الذي تجرّبه المؤسسات النفسية العسكرية بأمريكا»⁽²⁾.

ولذا يرى [جون لوك] مؤسس الدولة المدنية في رسالته في التسامح أن الملاحد غير مقبول في

(1) <http://newsjunkiepost.com/2009/09/19/research-finds-that-atheists-are-most-hated-and-distrusted-minority/>

(2) http://www.washingtonpost.com/opinions/why-do-americans-still-dislike-atheists/2011/02/18/AFqgnwGF_story_1.html.

المجتمع المدني يقول: « لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله.. فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة الى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط يفكك جميع الأشياء»⁽¹⁾.

ختامًا فالإلحاد شذوذ فكري طارئ لا تقبله النفوس السوية ولا العقول السليمة.

الماركسية على المحك

قامت الماركسية على مُصطلح الاستغلال مقصوراً على معناه الأخلاقي، وهو مصطلح غارق في الميتافيزيقية - مصطلح ملوث ميتافيزيقياً-، حيث ترى الماركسية أن أصحاب وسائل الإنتاج يستغلون العمال، وهنا يتبادر للذهن إشكالٌ خطير وهو ما المانع المادي من الاستغلال؟

هل ثمة مانع طبيعي أو دارويني أو بيولوجي يمنع من الاستغلال؟

هل ثمة قانون فيزيائي في الطبيعة يمنع من الاستغلال؟

إذن لا يمكن نقد الاستغلال إلا من منطلق ديني ميتافيزيقي ما ورائي مجرد.

عندما قرر ماركس أن الدين هو إحدى البنى الفوقية - محاولة إزالة الدين من المجتمع- كان لا يدري أنه بذلك يضع الماركسية كلها على المحك.

الاستغلال في صورته الرائقة هو عنصر من عنصري الخير والشر وإعطاء كل ذي حق حقه هو العنصر الآخر.

أفكار الخير والشر، أفكار الاستغلال وإعطاء كل ذي حق حقه، هذه أفكار لا وجود لها في عالم مادي بيولوجي دارويني.

يقول [إليوت] في روايته الأرض الحراب: «إذا لم تتخذ لنفسك إلهًا فلا بد أن تقدم احترامك لهتلر أو ستالين».

يقول [جون لوك]: «إذا لم يكن إله ولا دين فليس غريباً ولا مجافياً للواقع أن تعيث في الأرض فساداً ولو على حساب الآباء والأبناء».

(1) جون لوك، رسالة في التسامح ص57.

إذن محاربة الإستغلال في المفهوم الماركسي لا يمكن استيعابها ولا يمكن إدخالها عنوةً في الأدبيات الماركسية؛ لأنه لا مانع مادي أو بيولوجي أو دارويني من الإستغلال.

لهذه الأسباب فشلت الماركسية، وأيضًا لهذه الأسباب اعترف رئيس روسيا السابق [بوريس يلتسن] في خطبته الشهيرة في موسكو في أول يونيو 1991: «لر تكن بلادنا سعيدة الحظ، فقد تقرر تجربة الماركسية فينا، ودفعنا القدر في هذا الاتجاه فبدلاً من اختيار بلد ما في أفريقيا لهذا، شرعوا في إجراء هذه التجربة فينا نحن، غير أننا في النهاية أثبتنا أنه لا مكان لهذه الفكرة فقد دفعت بنا بعيداً عن الطريق الذي انتهجته دول العالم المتحضرة، وهو ما تعكسه حقيقة أن أربعين في المائة من الشعب يعيشون تحت خط الفقر، بل ويعانون مذلة دائمة إذ لا يتلقون السلع إلا بعد إبرازهم بطاقات التموين، إنها مذلة دائمة تذكرك في كل ساعة بأنك عبد في هذه الدولة».

لقد فشلت الماركسية على المستوى التنظيري، وفشلت على المستوى التطبيقي، وهذه نهاية حتمية لكل مدرسة فلسفية تنكر للدين؛ لأنها بذلك تقرر ذاتية الهدم لأيديولوجيتها وتطبيقاتها المادية.

الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان

الأخلاق مبهاة أصحاب الأديان والحجة الأولى والأكبر لأهل الإيمان، والتي يحق لنا أن نحتج بها كل يوم على بني لحدان.

في البداية الأخلاق نوعان:

أخلاق مصلحة منفعية أنانية مادية، وهي تسمى أخلاق المجتمع - أعاملك بأدب كي تعاملني بأدب - وهذه تسمى أخلاق النفاق وهذه ليست الأخلاق الأصيلة التي يؤسس لها الأخلاقيون - أنبياء ومصالحين -، عبر كل العصور والأزمان.

وهناك النوع الثاني من الأخلاق وهذه تسمى الأخلاق الأصيلة، وهي الأصل والأساس وهي تأتي ضد المصلحة الشخصية.. أخلاق غير مريحة عملياً... ضد المادة.. ضد العقل.. لر يتم الرهنة عليها عملياً أو عقلياً إلى يومنا هذا، مثل أخلاق الزهد والتبتل والتضحية، والعمل الأخلاقي غير المقترن بفائدة مادية أو رياء أو منفعة شخصية.

هذا النوع الثاني من الأخلاق لا وجود له في العالم الإلهي، بل إن وجوده أو الاعتراف بوجوده هو أكبر ضربة يمكن توجيهها للفكر الإلهي على الإطلاق، يقول [نيسه] في كتابه هكذا تكلم زرادشت: - «اقهر الضعفاء، اصعد فوق جثثهم.. هكذا تكون ابن الطبيعة»، فالإنسان من منظور مادي أرضي هو كائن عضوي ذو ثلاثة أبعاد، حدود الطبيعة هي حدوده، يسري عليه ما يسري على الظواهر الطبيعية، فهو شيء بين الأشياء يمكن دراسته في إطار دوافعه الاقتصادية والمادية فحسب، وبالتالي فإن أي حديث عن الأخلاق من النوع الثاني هو ضرب من القول بالميتافيزيقيا، وإدخال عناصر غير مادية على النموذج الإلهي المادي المجرد.

فالأخلاق تمثل ثغرة في النظام الطبيعي، تمثل تمردًا على قوانين المادة..، وعندما دخل الإنسان الأول إلى التاريخ برأس مال أخلاقي مبدئي هائل كان في هذه اللحظة يؤكد على أصالة ظهوره وتمرده على الطبيعة التي نشأ منها، وصار هو المركز والطبيعة هي الهامش، وصار سموه وترفعه وحرية قيمًا دينية مجردة لا يمكن بحال ردها إلى النظام المادي المجرد.

فالأخلاق ثغرة معرفية كبرى في النسق الكوني؛ ولذا لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة وحتميات ماركس التاريخية، أو حتميات داروين العضوية، أو حتميات دوركايم الاجتماعية. هذا الاختلاف بين الأخلاق والطبيعة يُعبّر عن نفسه في الاختلاف بين المؤثر في العلوم الطبيعية والمؤثر في العلوم الإنسانية.

يقول عالم الأحياء [باجمهيلز] في بحث متخصص عن السلوك الجنسي لدى البشر عبر التاريخ: «على العالم الغربي أن يتعلم كثيرًا من أخلاق البدائيين ومبادئهم، في العلاقات الجنسية حتى يتسنى له الرقي الأخلاقي الحقيقي»⁽¹⁾.

فالأخلاق تسير عكس الطبيعة أو بمعنى أدق لا علاقة لها بالطبيعة، فالأخلاق ثغرة في الزمان فهي نتاج خلق، والله خلقها كاملة؛ لأن الله لا ينتج ولا يشيد وإنما يخلق، وهذا يؤكد أصالة ظهور الإنسان.

في عالم الطبيعة توجد الأشياء وجودًا موضوعيًا، فالأرض تدور حول الشمس، والشمس بدورها تتحرك. هذه حقائق، أما في عالم الأخلاق فكم من أشياء فعلناها وكنا لا نريد أن نفعلها

(1) Bagemihl, p. 5.

وكم من أشياء وددنا أن نفعلها ولكن لم نفعلها أبداً...!! إذن هناك عالمان عالِم القلب وعالِم الطبيعة هذه العلاقة بين الإرادة والفعل تعكس التناقض المبدئي بين الإنسان والعالم...!!

وإذا ارتكب إنسانُ جريمةً وأصرَّ على أنه فعلها بدون قصد.. هنا يسعى كل محامي لإثبات عدم القصد مع أنه بالمنظور المادي والعقلي الجريمة وقعت وانتهت على أرض الواقع، والمجرم أيضاً معترف أنه ارتكبها، لكن يتدخل القانون لمعرفة القصد والنية ومعرفة حالة النفس أثناء ارتكاب الجريمة هل بقصد أم لا؟ وهنا نضع النفس في مركز أعلى من الحقائق أعلى من الواقعة المادية المجردة، فنحن في الحقيقة لا نحكم على ما حدث في العالم لكن نحكم على ما حدث داخل النفس..، فالإنسان ليس مفصلاً على طراز داروين...!!

فالأخلاق ثغرة في نظام الطبيعة المادي ثغرة معرفية، وثغرة زمانية، وثغرة قيمية، وثغرة عقلية..، فالأخلاق عقلياً غير مربحة بل ضارة بل هي أكبر عبء على صاحبها، وقد تساءل [ماندفيل] Bernard mandeville أستاذ علم الأخلاق الإنجليزي: ما أهمية الأخلاق لتقدم المجتمع والتطور الحضاري؟ وأجاب ببساطة: لا شيء بل لعلها تكون ضارة.

ولذا فالأخلاق لم تتم البرهنة عليها عقلياً إلى الآن، والأخلاق والدين هما أقدم الأفكار الإنسانية تراً، وقد ظهرها سوياً مع الإنسان، كل هذا يؤكد أصالة الظهور الإنساني وغائية الأخلاق التي يحملها.

والإله هو الشرط الوحيد لسمو الإنسان وحرية وأخلاقه ومبادئه وقيمه، فالأخلاق الأصيلة تستمد قيمتها من عالم آخر؛ عالم لا علاقة له إطلاقاً بعالمنا المادي المجرد، وبدون هذا العالم الآخر تتحول الأخلاق إلى مجرد لغو فارغ، ووهم يستحيل أصلاً التنبؤ بوجوده لعدم وجوده! فما بالنا وهو موجود بل وحتى أعتى الملحد يدعي أنه على أخلاق، وهو بذلك ودون أن يدري يسقط المنظومة الإلحادية بأكملها.

حتى فولتير الملحد أنشأ كنيسة لخدمته على نفقته الخاصة خوفاً على أخلاقهم..

فولتير أشهر ملحد عبر كل العصور كان يشرح فلسفته الإلحادية لزملائه وفي نفس الوقت كان يشرح الأخلاق في إطار الدين لخدمته، ويخشى على خدمته من الإلحاد، وكان يدفعهم إلى الإيمان بالأخلاق في إطار ديني، وكان يقول كلمته الشهيرة: «لو لم يكن هناك إله لخانتني

زوجتي وسرقني خادمي.»، بل وقام فولتير الملحد في أواخر حياته ببناء كنيسة بالقرب من قصره نقش على مدخلها «يا رب اذكر عبدك فولتير» وادعى أنها الكنيسة الوحيدة المخصصة لله وحده على هذه الأرض، أما الكنائس الأخرى فهي مخصصة للقديسين، وكان يرسل خدمه إلى الكنيسة بانتظام ويدفع أجور تعليم أبنائهم قواعد الديانة⁽¹⁾.

إن فولتير عاش دهرًا من الزمن 84 سنة، كان في شبابه ملحدًا حاقدًا على كل دين، ومع الوقت اكتشف أنه لا رادع للبشر إلا الأخلاق في إطار ديني واكتشف مصائب الإلحاد.

فالإلحاد قارب أن يجعل من الإنسان أحقر حيوان - والكلام للملحد ول ديورانت -، وفولتير عانى من إلحاده خاصة خلال علاقته الطويلة بدمام [دي شاتيليه]، وكانت علاقته بابنة أخته شائنة مخزية- فهذا هو الإلحاد بلا مكياج -.

ثم ماذا عن الماركيز دي ساد؟ لقد أوضح دي ساد أنه لو لم يكن هناك إله لكان كل شيء مباحًا، فلو لم يكن هناك جنة ونار فليس ثمة معنى في أن نكون طيبين لنسيء إلى ملذاتنا، إذا لم يكن هناك إله فليس هناك خير ولا شر بل هناك فقط ضعفاء وأقوياء والضعف هو الشر، لقد كان الماركيز دي ساد منظومة كاملة من الإلحاد العملي في شهوانيته وفجوره.

إن الإلحاد هو طوفان فاجر في أزمان الكفر وأرضه، ونهايته الحتمية هي تقويض أركان النظام الأخلاقي وانهيار الأمم⁽²⁾.

الجولف والإلحاد

لماذا كان [ماو تسي تونج] رئيس الصين الملحد يُحرّم رياضة الجولف في الصين طوال فترة الحكم الإلحادي للصين 1949 - 1976؟

وكان يعتبرها رياضة غير أخلاقية بالمرّة...

رجال يضربون كرة بيضاء بمضرب خاص، على النجيل الأخضر، ما الإيجاء في اللعبة الذي حولها إلى لعبة غير أخلاقية طوال حكم ماو؟

(1) قصة الحضارة ول ديورانت المجلد 38 صفحة 214.

(2) قصة الحضارة ول ديورانت، المجلد 38، ص 27 276.

يزعم المتأخرون أن ماو كان ضد البذخ، لكن الرئيس الحالي للصين ضد البذخ أكثر من ماو، ومع ذلك الصين الآن بها أكبر ملعب جولف على مستوى العالم.

كل هذه أمور غير مُقلقة، المقلق في الأمر، هو كيف تكتسب القيمة في المنهج الإلحادي اتجاهًا سلبيًا، أو اتجاهًا إيجابيًا، ومتى تتحول المباحات إلى محرمات أو واجبات؟

ما الحيز الفاصل، وما المعاملات التي تُحول أحد المباحات إلى شيء ممنوع أو مرغوب؟

وما معنى القيمة في المنهج الإلحادي؟ ومن أين تستمد إطارها الأخلاقي؟

ثم إنَّ استخدام مصطلح الواجب والمُحرم مقصورٌ على معناه الأخلاقي والإنساني في إطار فكرة الخير والشر، هذا يعني أن الشر يمكن إزالته، وهذا يؤدي إلى الغائية ومطلقية القيمة والاختيار الحر للإنسان.

يبدو أن الملحد يستحيل أن يكون حيوانًا كاملاً، حتى لو أراد ذلك من كل قلبه.

هل الملحد شخص يمكن التعامل معه في الحياة اليومية بأمان؟

يرى مؤسس الدولة المدنية العلمانية [جون لوك] أن الملحد خائن، ولا عهد له ولا مكان له في الدولة العلمانية «لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله.. فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري، ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط يُفكك جميع الأشياء»⁽¹⁾.

ويرى مؤسس الدولة الليبرالية الحديثة [جون ستيوارت مل] أن «التسامح التام يمتنع معه الاعتقاد في حقيقة مطلقة، وتمتنع معه الدوجما، ويموت عنده الدين»⁽²⁾.

إذن حتى مؤسسو الدولة العلمانية والليبرالية لا يطبقون الملحد؛ لأنه في الأصل خائن، فلا يوجد رادعٌ يردعه ولا شيء مقدس في حياته، ولذا أكبر مجرمي البشرية كانوا من الملاحدة

(1) رسالة التسامح، جون لوك، ص 57.

(2) كتاب عن الحرية، ص 8.

«ماو تسي تونج - ستالين - لينين - بول بوت» ويصنف هؤلاء الأربعة بأكبر أربعة مجرمين في تاريخ الجنس البشري!!

فالتسامح ليس على إطلاقه، ولا يجب أن تُنسبنا أسباب التسامح الوجيه أن اللا تسامح لديه أسبابه الوجيهة هو الآخر⁽¹⁾.

بل إن فكرة التسامح تم استغلالها في نشر الرذيلة في فرنسا وإيطاليا، حيث كان يتم تسمية بيوت الدعارة بيوت التسامح⁽²⁾.

ولذا في عام 1987 سأل صحفي الرئيس بوش الأب " هل يمكن اعتبار الملحد الأمريكي متساوياً في الجنسية والمواطنة مع غيره من الأمريكيين ". وأصبح رد السيد بوش مشهوراً « لا أعرف إذا كان من الممكن اعتبار أن الملحد من مواطنين، أو حتى اعتبارهم محبين للوطن هذه أمة موحدة تحت راية الله ».

Atheist cannot be considered as patriotic citizen

إذن الملحد غير مقبول لأنه بلا خلق - لا يمكن التدليل مادياً أو جينياً على الأخلاق - ؛ ولذا فهو منافق كما يقول مؤسس الدولة المدنية جون لوك.

فالإلحاد هو طوفان فاجر في أزمان الكفر، وأرضه ونهايته الحتمية هي تقويض أركان النظام الأخلاقي وانهيار الأمم.

ولذا ما زال الملحد في أمريكا هو أكثر فئات المجتمع تعرضاً للاضطهاد، ويفوق في ذلك المسلم المتطرف والشاذ جنسياً؛ لأنه أكثر فئات المجتمع انعداماً للأخلاق وإثارة للفتن وتقويضاً لأركان النظام!⁽³⁾.

وطبقاً للواشنطن بوس ت في بحث آخر مستقل، فإن الملحد شخص لا يحظى بالثقة ولا القبول؛ لأنه شخص حاقده، نزع الأخلاق وفساد!⁽⁴⁾.

(1) مايكل انجلو يا كوبوتشي في كتابه أعداء الحوار ص13.

(2) مايكل انجلو يا كوبوتشي في كتابه أعداء الحوار ص39.

(3) newsjunkiepost.com/2009/09/19/research-finds-that-atheists-are-most-hated-and-distrusted-minority.

(4) <http://www.washingtonpost.com/opinions/why-do-americans-still-dislike-atheists/> 2011 /02 /18/ AF qgnwGF_story_1.html.

فأكثر دول العالم علمانية وتقانة تنظر للملاحدة أنهم حثالة، ويأتي الملاحدة العرب ويطلبون منا أن نحترمهم!!

من نِعَمِ اللَّهِ

الفرق الجوهرى بين الإنسان وبقية الكائنات على وجه الأرض هو الترميز، فالإنسان يستطيع ترميز الأشياء - أي إطلاق التسميات على الموجودات وعلى المُجردات -، وتعلّم الإنسان الترميز في التفكير والتعبير، وإطلاق اسم على كل شيء يرمز به إليه كانت أولى خطوات الإنسان على سطح هذا الكوكب.

وإطلاق الأسماء على الأشياء الموجودة وعلى الأشياء المُجردة كالفكرة والخيال والرياضيات التجريدية كان أول ما قام به الإنسان! (1).

أليس هذا هو ما أخبرنا به القرآن الكريم، فأول منحة إلهية لآدم كانت تعليمه الأسماء كلها، هذه المزية العجيبة التي كانت تفتقدها حتى الملائكة.

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّيَ أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: 31 - 33].

وهذه النعمة العظيمة هي التي أتاحت للإنسان كل علم وفكر وحضارة وبناء، ونقل خبرات واسترجاع معلومات، وتشفير معرفة!

نِعْمَةٌ أُخْرَى!

إذا أردت الجلوس على كرسي المكتب، فأنت تحتاج إلى منطقة ضبط الزوايا orientation association area في الفص الجداري من مخك، وتوجد هذه المنطقة في كل من نصفي المخ، وهما مختلفتان في الوظيفة لكنهما مكتملتان؛ فالمنطقة اليسرى مسئولة عن تحديد وإدراك

(1) Scientific American dec,2001.

صورة ثلاثية الأبعاد لجسدنا المادي، واليمنى مسئولة عن تحديد موضع جسمنا وعلاقته بالوجود المحيط، وبالتالي بالمنطقتان تُحوّلان المعلومات الحسية الخام إلى صورة حية لأجسامنا وللوجود من حولنا، ولابد قبل أن تجلس أن تقوم هذه المنطقة بدورها بدقة وكفاءة متناهية وإلا لن تستطيع حساب الزوايا والمسافات، وبالتالي لن تستطيع تحديد موضع جسدك وموضع الكرسي، ومن ثمّ يمكن أن تسقط على الأرض بدلاً من أن تجلس على الكرسي، إن استقبال ومعالجة هذه المعلومات تتم بسرعة وكفاءة تعجز عنها عشرات الكمبيوترات فائقة السرعة التي أنتجها العقل الإنساني الواعي المُفكر المُبدع!

هذه أبسط نعمة تستخدمها ولا تشعر بأهميتها!

والمطلوب منك إذا كنت مُلحدًا أن تُسلم بأن المادة اللاواعية اللاعقلانية أفرزت هذه الصورة من قمة الوعي والضبط والمعايير الدقيقة في نعمتين بسيطتين من نعم الله المباشرة على الإنسان، فالحمد لله على نعمه، الحمد لله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: 13] (1).

البريونات.. الداروينية تمشي على رأسها

هل تعلم أن أضعف الكائنات وأبسطها وأكثرها بدائية على الإطلاق هي آخرها ظهورًا على الإطلاق.....

البريونات - لا تقطن إلا في أدمغة الإنسان والثدييات العليا - وهي كائنات أصغر بكثير وأبسط بكثير من الفيروسات.

وهي المسؤولة عن مرض جنون البقر ومرض كورو في البشر وهو مرض قاتل.

المعضلة هنا: لو أخذنا بمعايير الداروينية والشجرة الخاصة بها، وتاريخ الكائنات فإن البريون يصبح خير دليل على أن شجرة التطور تسير على رأسها.... فعندما يظهر أبسط كائن على الأرض من أعقد كائن ولا يعيش إلا على أعقد كائن، فهذا يدل على أن الحقيقة والواقع والعلم والتجربة في جهة والداروينية في جهة أخرى تمامًا.

(1) أنا نتحدث عن نفسها د. عمرو شريف... مكتبة الشروق الدولية.

كريج فنتر

قال أحد كهنة الإلحاد: إن حياة الخلية توجد في الجينوم - نواة الخلية- ولو أُزيلت النواة لماتت الخلية، بل لقد قام كريج فنتر بتصنيع الخلية!

الرد: هذا الكلام يُسبب لمتخصص في البيولوجي ذبحة صدرية.

ما علاقة حياة الخلية بنواة الخلية أو الجينوم؟

إن إزالة نواة الخلية enucleation هو عملية تقوم بها المراكز المتخصصة في جميع البلاد والنجوع الآن، ولا تؤثر إزالة النواة في حياة الخلية، وتظل الخلية حية شهوراً طويلاً بعد زوال النواة إلى أن ينفد ما عندها من بروتين حيوي لا تستطيع إعادة تخليقه في النواة، ساعتها فقط تموت الخلية، إذن إزالة نواة الخلية ليس إزالة الحياة عنها بل هو مجرد عملية إخصاء للخلية لا تستطيع بعدها الخلية أن تُنجب بروتينات، لا أكثر...!!

بل إن كرات الدم الحمراء التي تُغذي الإنسان بالأوكسجين تتنازل عن نواتها وعن كل المادة الجينية داخلها حتى تتفرغ لحمل الأوكسجين، ويوجد داخل كل كرية دم حمراء 280 مليون جزيئة هيموجلوبين، ومن أجل هذا الهدف الحيوي جداً قامت بتفريغ نفسها من كل العضيات الخلوية حتى تحمل أكبر قدر ممكن من الأوكسجين.

الحياة شيء والمادة شيء آخر تماماً يا ملاحدة!!

يستحيل أن يقوم البشر جميعاً بكل ما امتلكوا من عقلٍ وواعٍ ومكائن عملاقة وسواعد جبارة، وغوص في العلوم وقصد ونية ووعي وهدف أن يخلقوا ذبابةً واحدة ولو اجتمعوا لها، فالحياة شيء والمادة شيء آخر تماماً يا كهنة الإلحاد ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿[الحج: 73].

أما تجربة كريج فنتر فهي عملية تقطيع كروموسوم الميكوبلازما Mycoplasma - أصغر كائن حي على الإطلاق- واستبداله بقطع كروموسوم نوع آخر من الميكوبلازما، إنها عملية

إنزاء حصان على حمار لكن على مستوى الميكرو، ولا يوجد في التجربة أي شيء مُلفت إلا أن البشر يُعجبهم الجديد دائماً...!!

إذا كان يتم الترويج للإلحاد بهذا الجهل المطبق، والغثاء التافه، بل ويوجد من يصدقهم فبطن الأرض خيرٌ من ظهرها...!!

الفيروس يتحدى الملحدين

تقوم الفلسفة المادية الإلحادية على التبسيط والإختزال ثم التعقيد، لكن هذه الرؤية شيء وفلسفة العلوم شيء آخر تماماً، فالفيروس أدق الكائنات الحية ما زال حياً بيننا إلى الآن ويهدد بانتظام أعقد الكائنات الحية، وعندما ينجح الفيروس في خداع الـ antibodies ويصل إلى نواة الخلية فإنه يقوم بعملية سطو hijack لا تستطيع أعقد الأنظمة البيولوجية أن تواجهه، حيث يقوم الفيروس بتقطيع نفسه على بوابات نواة الخلية الحديدية حتى يتمكن من اختراق ثقب البوابات ثم ينطلق الحمض النووي الخاص به إلى داخل النواة، وبعد هذه العملية التي تبدو انتحارية، يقوم الحمض النووي الخاص به والذي دخل ممزقاً أن ينسخ نفسه داخل شريط الحمض النووي الخاص بالنواة آلاف المرات، ثم بعدها ينتقل إلى الريبوسوم خارج النواة ليُكمل عملية التصنيع، ثم يعود إلى النواة مجدداً ليصبح فيروس متكامل في مهمة من أعجب وأذكى وأمكر وأخبث المهام على الإطلاق، وبعد 48 ساعة من نجاح فيروس واحد في الوصول إلى نواة خلية فإن النواة تصبح محملة بـ 10 آلاف فيروس مستنسخ حيث يُوقف جميع العمليات الحيوية التي تقوم بها النواة ويكرس كل جهدها في نسخ نفسه فقط..

وفي هذه اللحظة العجيبة والفريدة والتي تحدث داخل كل إنسان ربما كل بضعة أيام، تصل إنذارات من الجسم بوجود مُحتمل قام بعملية سطو كاملة على إحدى الخلايا فتقرر جميع الخلايا المجاورة للخلية المنكوبة أن تنتحر سريعاً حتى لا تتحول إلى مصانع لإنتاج جحافل فيروسية جديدة، وبهذه الطريقة تبدأ مقاومة الجسم للمحتل، وما زكام الأنف وانسداد الجيوب الأنفية إلا مخلفات المعركة هذا في حال كان الفيروس تنفسياً، إن أبسط الكائنات الحية يحمل بصمة الخلق وعظيم الصنع فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وسبحان الذي أحسن كل شيء خلقه، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7].

ومن الفيروس إلى البعوضة أبسط الكائنات المرئية، نجد أن للبعوضة مائة عين في رأسها، 48 سن في فمها، ثلاثة قلوب في جوفها بكل أقسامها، لها ستة سكاكين في خرطومها ولكل واحدة وظيفتها، لها ثلاثة أجنحة في كل طرف، مُزوّدة بجهاز حراري يعمل مثل نظام الأشعة تحت الحمراء، وظيفته: يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة إلى لون بنفسجي حتى تراه، مُزوّدة بجهاز تحديد موضعي يساعدها على غرز إبرتها دون أن يحس الإنسان، وما يحس به كالقرصة هو نتيجة مص الدم، مُزوّدة بجهاز تحليل دم فهي لا تستسيغ كل الدماء، مُزوّدة بجهاز لتميع الدم حتى يسري في خرطومها الدقيق جداً، مُزوّدة بجهاز للشم تستطيع من خلاله شم رائحة عرق الإنسان من مسافة تصل إلى كيلومتر. إن الرؤية المادية الإلحادية والتصور الاختزالي لظهور الكائنات الحية هي فلسفة كهنوتية لا علاقة لها بالعلم ولا ببيديات المنطق، إن الإيمان بالإلحاد يتطلب بانتظام إنكار بدييات عقلية ومنطقية أقسى من أشد الديانات إغراقاً في الوثنية.

الإنسان ذلك المتمايز

«كل كائنات العالم الحية لا تعدل موت إنسان واحد» هذه العبارة في قمة المبتايفز يقيا وفي قمة الإيمان بالروح الإنسانية، وإن لم يكن للروح الإنسانية وجود فإن أي كائن حي يعدل أي كائن حي آخر ومن بينها الإنسان، ولا يستطيع إنسان مهما أوتي من إلحاد وفجور أن يُسوى بين الإنسان والحيوان من منظور مادي، بل هو حتماً يُقر من داخله بقيمة الوجود الإنساني وبمغايرته لكل الكائنات الحية مجتمعة، إن قيمة الإنسان لا تتأق إلا من خلال الروح التي يحملها، وما الجسد المادي إلا دابة الروح والعباءة التي تتسر بل بها، ولذا يقول الشيخ الشعراوي- رحمه الله-: «إن سرّ الإنسانية يكمن في الروح وهي لحظة حمل الأمانة والتكاليف الشرعية والاختيار الحر».

ما الفرق بين إبادة حضارة بأكملها وغسل يد واحدة وما يترتب عليها من موت ملايين الباكتريا، لو كان الإنسان مجرد مادة ما استوعب الفرق، وما فهم معنى القتل وإزهاق النفس، إن قتل ملايين الكائنات الحية لا يعدل قتل إنسان واحد، ولا وجه للمقارنة أصلاً لأن الإنسان يمتاز بالروح، وجريمة القتل هي إزهاق لهذه الروح!

بل ولا يشعر الإنسان بسمو نفسه إلا بحرمان جسده المادي من الشهوة، إن للذات الإنسانية وجود مستقل وقيمة مستقلة عن الوجود المادي المحدود بحدود المادة وقوانينها!

هذه بديهية منطقية لم نحتج لهذه المقدمات عليها لولا أن الملحد يكفر بها، إن أصل كفر الملحد هو إنكار البدهيات والسفسطة على الفرعيات، حتى ننسى البدهيات ونشغل معه بالفرعيات، فتصبح البديهية موضع شك!

إن الإلحاد يعترف مسبقاً بأنه يعجز عجزاً كلياً عن تحليل ظاهرة الوجود الإنساني وظاهرة الخير والشر والقداسة والنجاسة والقيمة، فلو كان الإنسان ابن هذا العالم ما بدا فيه شيء مُقدَّس ولا نجس!

الإسلام هو العقل

الإسلام لا يمنع من عمارة الأرض، بل يحث عليها ويجعلها مقربة إلى الله: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]، بل وكما ورد في الحديث الصحيح: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها».

والإسلام لا يمنع من استخدام العقل، وطلب استخدام العقل والتدبر ورد أكثر من ثلاثمائة مرة في القرآن الكريم، بل إن معجزة الإسلام الأولى كانت في الأصل عقلية تستنفر العقل وتحتة على السير والنظر.

والإسلام لا يمنع من البحث في الخلق والحياة ودراستها، بل لقد حَضَّ الإسلام على ذلك ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20].

يقول المستشرق [سبنسر فاميري]: «لا يستطيع عالم واحد أن يتأمل القبة الزرقاء دون أن يلفظ اسماً عربياً، ولا يستطيع عالم طبيعي أن يحلل ورقة من الشجر أو يفحص صخرة من الصخور دون أن يتذكر درساً عربياً، ولا يقدر أي قاصٍ أن يبيت اليوم في خلاف دون أن يستدعي مبدأً أملهته العرب، ولا يسع أي طبيب أن يتأمل دائرة أحد الأمراض المعروفة منذ القدم دون أن يهمس بآراء طبيب عربي».

بل إن الجامعات الأوروبية عاشت 600 عام على ترجمات العرب كما يقول [جوستاف لوبون].

بل إن الأمل الآن معقود على ثورة فكرية إسلامية خضراء تُزيح الترهلات التي أصابت العلم من جراء كهنة الإلحاد، وسدنة المادية، فالعلم الطبيعي عَلَّمْنَا، ونحن مَنْ وضع أصوله الأولى، ونحن مَنْ سِيرَج الأمر فيه إلى نصابه متى شاء الله.

فليس ثمة مُبرر للإلحاد لا عقلي ولا علمي ولا مادي ولا ديني، فالإسلام هو أنقى أديان التوحيد، وهو الذي أقام على القرون جيلاً من الناس ما كانوا ليدخلوا التاريخ لولا نهوض هذا الدين بهم، بل إن أطول حضارة على الإطلاق هي حضارة الإسلام 1200 سنة، ولن يَصْلِحَ آخرُ هذه الأمة إلا بما صَلى به أولها.

الحضارة هي توظيف التراب

المسلم عند سيد قطب متحضرٌ بالضرورة؛ إذ الإسلام بتعريفه هو الحضارة، وبالتالي فلا تحضر خارج الإسلام ما دام الإسلام هو الحضارة.

لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ الجواب عند سيد قطب واضح جلي: إن السؤال من أصله خاطئ... المسلمون تحلفوا لأنهم تركوا الإسلام، فينبغي دعوتهم إليه من جديد، فنعلمهم معنى لا إله إلا الله باعتبارها منهج حياة، أما غيرهم فلم يتقدموا، بل هم في جاهلية جهلاء؛ لأن الإسلام هو الحضارة.

أما عند مالك بن نبي فالأمر غير ذلك.. ليس الإسلام هو الحضارة، الإسلام وحي نزل من السماء بينما الحضارة لا تنزل من السماء وإنما يصنعها البشر عندما يُحسنون توظيف ملكاتهم في التعامل مع الزمان والمكان، الإسلام لا يصنع الحضارة بذاته، وإنما بالبشر عندما يفهمونه على حقيقته فيتولون التفاعل الجاد به وخلطه بالتراب والزمان والمكان فيصنعون من ذلك حضارة.

الحضارة الإسلامية هي هذا التفاعل الجاد بين الإنسان والتراب والوحي.

قد ينجح المسلم في هذا التفاعل فيصنع الحضارة، وقد يفشل وهو المسلم وينجح غيره أي

غير المسلم فينتج حضارة بقيم ونيات غير إسلامية؛ لأنه أحسن التعامل مع سنن الله توظيفاً جيداً لعقله وللوقت وللتراب⁽¹⁾.

الخلاصة: الحضارة هي توظيف جيد للتراب!

العقل الغربي

العقل الغربي رسمياً هو الذي قام بتفريغ قارتين كاملتين من البشر - الأمريكتين -، العقل الغربي هو الحرية المنتصرة والحضارة التي تعبر الصحراء وعبء الرجل الأبيض، وكل هذه الصور الكاذبة التي تصورها الدعاية الأمريكية لتفريغ قارتين كاملتين من سكانهما، والتي كانت في الحقيقة أن الآف الجنود الأمريكيين يطاردون في البرد القارص السكان الأصليين الرُّحَّل الذين كانوا يخطون آخر خطواتهم نحو الانقراض، إنه مشهد لن ينساه التاريخ، وهو مشهد لم يوفره إلا العقل الغربي، لقد أنكه العقل الغربي العالم كله بحريين عالميتين أبادتا حوالي 5 % من سكان العالم بسبب نزاع إلحادي مادي أوربي- أوربي.

وإبادة ملايين السكان في أوربا... يهود أوربا.. ومزارعي روسيا (الكولاج).. وعجز ألمانيا... والسلاف والأقليات الأثنية...، هذه الإبادة الشمولية لم يوفرها سوى العقل الغربي، واليوم وبعد مرور 500 عام من الاستعمار و50 عام من صندوق النقد الدولي نعيش في عالم مُحطَّم مُشوه ربع شبابه عاطلون عن العمل، يتحكم الشمال في 80 % من الثروات مع أن تعداد سكانه لا يتجاوز 20 % من سكان العالم، ومنذ تحكَّم العقل الغربي في مجريات الأمور أصبحت نهاية التاريخ أمراً مقبولاً حرفياً، وتراكم لدى البشر أسلحة تكفي لتدمير الأرض عشرين مرة مع أن مرة واحدة فقط هي التي ستحدث، لقد أدى العقل الغربي إلى نهاية الحياة نظرياً!!

وكما قال [جارودي]: «فإن الحضارة الغربية قد خلقت قبراً يكفي لدفن العالم».

يقول [نيتشه] على لسان [زرادشت] عن الإنسان الذي أفرزه النموذج الغربي: «واقعيون نحن بغير إيمان ولا خرافة، فابسطوا صدوركم لكن وأسفاه إنها صدور خاوية».

(1) منقول من: راشد الغنوشي.

ويكي ت.س. اليوت قائلاً: «أين ضاعت الحكمة التي ضيعناها في المعرفة.. أين ضاعت المعرفة التي ضيعناها في المعلومات..».

فالهيمنة الغربية هي هيمنة داروينية نيتشوية فاستية مادية في بدايتها وفي نهايتها، وهي تحاول أن تجعل من العالم مادة استهلاكية وغايتها تحقيق أقصى إشباع ممكن.

والمادة هي المركز الكامن في النموذج العلماني كما يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري، فالمادة هي أصل الأشياء، ولذا فقد تمت تصفية الإنسان لحساب المادة ولحساب المصلحة، ولذا ظهر الإنسان ذو البعد الواحد عند [هربرت ماركوز]، وتم تفكيك الإنسان ودخل الجميع القفص الحديدي على حد تعبير [ماكس فيبر] أو السجن الحديدي على حد تعبير [زيميل]، فالإنسان ذرة لا معنى لها..، وقد اختصر رئيس التشيك [فاكيلاف هافل] كل ذلك في عبارته الرائعة حين قال: «حينما أعلنت العلمانية الإنسانية أنها حاكم العالم الأعلى، في هذه اللحظة نفسها، بدأ العالم يفقد بعده الإنساني».

هل التأمل الديني مجرد هلاوس

كان [سيجموند فرويد] يرى أن التأمل الديني هو مجرد هلاوس عُصائية جماعية، وكانت هذه الرؤية أحد أركان إلحاده..

إلى أن جاء عالم الأشعة التشخيصية في جامعة بنسلفانيا [آندرو نيوبرج] Andrew Newberg، وقام برصد أدمغة العبّاد من مختلف الديانات لحظة التأمل الروحي والتعبّد، باستخدام تقنيات التصوير الإشعاعي المتقدمة للمخ مثل FMRI - PET - SPECT Camera، وأثبتت أبحاثه أن ما يستشعره الإنسان من طمأنينة، هي إدراكات لوظائف مُحيّة سويّة، وليست مجرد هلاوس وتوهّمات.⁽¹⁾

وأثبتت نتائج الرصد أن آليات إدراك المُخ لا تستنكر الغيبي، بل إن إدراك الغيبي هو وظيفة مُحيّة سليمة تماماً، وهنا يتجلى السؤال المحوري: إذا كان الإنسان ابن المادة وتحكمه قوانين المادة فكيف استوعب اللامادة؟ وكيف كان هذا الاستيعاب تصوراً مُحيّاً سليماً وليس عُصائياً؟

(1) أنا نتحدث عن نفسها..د. عمرو شريف ص 71.

ودماغ الإنسان بما فيه من نشاطٍ عصبِيٍّ لا يخطئُ مادياً، بل يتبعُ كلَّ القوانينِ الفيزيائيةِ الصحيحةِ ولا يتمردُ على سُنَنِها، فهو يدور في إطار حتميةِ مادةٍ لا تتبدل ولا تتغير، والسلوك المادي لا يفرز تصوراً غير مادي وإلا كانت الحتمية المادية لغواً فارغاً.

فمن أين أتت إذاً تلك الرؤية غير المادية التي يُمثلها ذلك السلوك المادي السليم؟

ولو قال الملحد: هذه رؤية نتجت عن حالاتٍ نفسيةٍ وعاداتٍ وتقاليد. نُجيبه: لكنك لا تؤمن أنها حالةٌ نفسيةٌ للروح بل هي حالةٌ ماديةٌ لا يمكنها أن تُخطئَ حالةً ماديةً أخرى! وأمام هذا الإشكال لا بد أن تنهار المادية كرويةً واحدةً للوجود!

الإلحاد هو خلل عصابي

الإلحاد يؤدي إلى خلل عصابي *neurosis* وهوس نفسي وبارانويا سيكولوجية... هذا ما أثبتته مؤخراً أستاذ الطب النفسي بجامعة نيويورك بول فيتز paul vits فقد قام بول فيتز بإجراء تحاليل مستفيضة على ملاحظة العصر الحديث، وتوصل من خلال أبحاثه إلى أن الملحد مُصاب بخلل نفسي عصابي *neurosis*.

وأودع هذه الأبحاث في كتابه *faith of the fatherless, the psychology of atheism*.

وهذا الخلل العصابي سببه أن الملحد يرى العالم من حوله مجرد مادة، والإنسان مجرد طخة بروتوبلازمية تافهة تسري عليها قوانين المادة وحتميات الطبيعة، وغاية الإنسان تحقيق أقصى إشباع ممكن، لكن هذه الرؤية تفشل في تحليل ظاهرة الوجود الإنساني، فالإنسان ليس مُفصل على طراز داروين، بل ولا يشعر الإنسان بقيمته إلا عندما يسمو على الماديات، ويرتفع على الشهوات، وإذا كان الإنسان ابن الطبيعة فكيف بدأ بمعارضة الطبيعة التي نشأ منها، كيف لابن المادة أن يتمرد على المادة التي أنتجته، إن للإنسان معنى آخر لا علاقة له بالرؤية الإلحادية المادية الساذجة، ولا يأتي الإيمان بمركزية الإنسان وقيمه وسموه إلا بالإيمان بمُطلق أعلى يتجاوز المادة.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه الرائع رحلتي الفكرية ص 198 ما يلي: «كنت أجلس مرة أمام التلفزيون البريطاني، وشاهدت برنامجاً من برامج الأحاديث وكان

يجلس على المنصة رجل وزوجته وأطفالهما، مع إضافة بسيطة للغاية وهي عشيق الرجل الذي يعيش معهم تحت سقف نفس المنزل ولكن بموافقة الزوجة والأطفال، وقد واجه الجمهور إشكالية حقيقية وهي أن جميع أعضاء الأسرة موافقون على هذا الوضع الشاذ، فمن ناحية الموافقة وهي الشرط الأساسي والوحيد لأي علاقة جنسية في العالم الغربي فهي موافقة جنسية تتم باتفاق طرفين ولذا فهي شرعية، لا شأن للمجتمع بها، ولكن من ناحية أخرى يوجد الشذوذ الذي يسم هذا الوضع، ولكن لا توجد قاعدة متجاوزة «دينية أو أخلاقية» يؤمن بها الجميع، ويمكن الوقوف عليها والإهابة بها ويمكن أن تزودهم بمعارية ما، وكلما كان أحد الحاضرين يحتاج على شيء كان الزوج الذي أحضر عشيقه ليعيش معه يرد بكل ثقة بأن زوجته موافقة وسعيدة وأن أولاده أيضاً موافقون وسعداء وأي تدخل في شؤونهم سيكون إهداراً لحريتهم وحقهم في الاختيار».

إن الإلحاد هو المذهب الوحيد على وجه الأرض الذي يتيح لأتباعه أن يفعلوا كل شيء وهم في حل من كل شيء، لا يوجد مذهب على وجه الأرض يقول لك: افعل كل الفواحش فأنت في حل من كل شيء. إلا الملحد والشيطان.

إن الإلحاد هو دين الشيطان تم التأسيس له كمذهب عقلي.

خرافات الإلحاد الجديد

هناك مجموعة من الخرافات الرائجة في علم النفس، ما زالت إلى اليوم تتلبس بلبوس العلم الصحيح، وتجدها انتشاراً كبيراً عند العوام وبعض المثقفين، ويستغلها بعض كهنة الإلحاد الجديد في بعض أطروحاتهم، وستعرض سريعاً لبعض هذه الخرافات من كتاب أشهر 50 خرافة في علم النفس، تأليف مجموعة من كبار علماء النفس والأطباء النفسيين في العالم، سكوت ليلينفيلد وستيفن جاي لين وجون روشيو وباري بايرستين، إصدار كلمات عربية للترجمة والنشر، طبعة 2012.

الخرافة الأولى: علم التنجيم يحدد سمات الشخصية وانفعالاتها العاطفية.

الرد: علم التنجيم عديم الجدوى في التنبؤ بسمات شخصيات الأفراد. ص 263

كذب المنجمون.

الخرافة الثانية: الأطفال الذين تعرضوا لاعتداء جنسي يتحولون إلى شواذ عند الكبر.

الرد: لا يتحول الافراد الذين تعرضوا لاعتداء جنسي في الطفولة إلى ارتكاب جرائم اعتداء جنسي عند البلوغ فهذه خرافة، ونسبة الشواذ بينهم هي نفس النسبة بين الذين لم يتعرضوا لاعتداء جنسي. 263

فلا وجود للحتمية النسئية.

الخرافة الثالثة: التأمل واليوجا لهما فوائد جوهرية في تنقية الذهن وتفريغ العقل الباطن من شحنات الضغط الزائدة.

الرد: التأمل واليوجا لا تحقق تأثيرات نفسية أكثر فعالية من التي تحققها الراحة أو الإسترخاء قليلاً. ص 178

الخرافة الرابعة: العلاج بالإبر لا بد أن يكون على مسارات الطاقة المحددة في الجسم، وهذه المواضع يعرفها المتخصصون.

الرد: وجدت الأبحاث بصفة عامة أن العلاج بالإبر يكون على الدرجة نفسها من الفاعلية عند وضع الإبر في المواضع الخاطئة. ص 351

الخرافة الخامسة: يعاني معظم الأفراد الذين تعرضوا للإعتداء الجنسي في طفولتهم اضطرابات حادة في الشخصية عن البلوغ.

الرد: هذه خرافة في الطب النفسي الحديث، والأفراد الذين تعرضوا لإعتداء جنسي في الطفولة نسبة الإضطراب في الشخصية عندهم هي نفس النسبة عند غيرهم. ص 246
فلا وجود للحتمية النسئية.

الخرافة السادسة: يجب إخراج الصدمة النفسية ومناقشتها مع طبيب نفسي وهذا شرط أساسي للعلاج.

الرد: رائد هذه الخرافة في علم النفس كان سيجموند فرويد صاحب المدرسة التحليلية،

واليوم ثبت بالأدلة القاطعة أن الذين أُصيبوا بصدمة ما تتحسن حالتهم دون مساعدة من أحد، وتتسم بعض طرق العلاج التي تتطلب معالجات مثل استخلاص المعلومات عن الأزمة بأنها غير فعالة أو بما تكون ضارة. ص 349

بل تشير الأبحاث التي أجراها دانيال فينجر وآخرون عن كبت الأفكار إلى أن محاولة إخراج شيء ما من تفكير المرء تزيد في الأغلب من احتمالات عودته إلى حيز التفكير من جديد. ص 201

والإنسان لا يُقبع الواقعة السيئة في عقله الباطن قاصداً كما كان يتخيل فرويد بل هو بالفعل نسيها، وإلا فالوقائع الكبرى مثل الهولوكوست والزلازل والبراكين لا ينساها المرء بل تظن ماثلة أمامه لفترة طويلة، والواقعة السيئة لا علاقة لها بأي اضطراب حادث في الشخصية وبالتالي ثبت أن إخراجها يؤدي إلى مشاكل جديدة لا علاقة لها بالمشكلة الرئيسية الحادثة.

الخرافة السابعة: تنشئة الأطفال بأسلوب متشابه يجعل شخصياتهم متشابهة عند الكبر.

الرد: هذه خرافة الآن في علم النفس، فلا وجود للحتمية التربوية كما كان يتخيل التربويون. ص 229

الخرافة الثامنة: الجمال في عين الرائي.

الرد: هذه خرافة في علم النفس بل توجد نقاط كثيرة مشتركة بين الثقافات المختلفة فيما يتعلق بمعايير الجمال الحسي، ومقاييس الجمال العامة. ص 202

الخرافة التاسعة: المراهقة هي حتماً مرحلة اضطراب نفسي؛ كتبت أنا فرويد - ابنة سيجموند فرويد- «أن يكون المرء طبيعياً خلال فترة المراهقة أمر غير طبيعي في حد ذاته»، ويُصوّر الإعلام الغربي باستمرار والنفسيين الشعبيين أن سنوات المراهقة هي دراما عائلية مُثيرة.

الرد: لا توجد أسس علمية لهذا الإدعاء، بل على العكس حدوث ذلك هو الاستثناء، وهناك حضارات بأكملها لا تعرف شيئاً عن المراهقة، مثل اليابان والصين والعديد من بلدان العالم العربي. ص 89، 90

الخرافة العاشرة: يمر معظم الناس بأزمة منتصف العمر في الأربعينيات، وتحدث فيها الكثير من الاضطرابات والمراجعات.

الرد: هذه الخرافة مصدرها دور السينما، فقد أظهرت الدراسات المختلفة (بريم، ويشينجتون) أن أزمة منتصف العمر ليست إلا خرافة، بل إنها ربما تشهد ذروة الأداء النفسي السليم. ص 93، 94

الخرافة الحادية عشر: يترك التبني تأثيراً نفسياً سلبياً على معظم الأطفال.

الرد: يتمتع معظم الأطفال المتبنين بصحة نفسية جيدة. ص 106

وهذا رد على الحتمية التربوية.

الخرافة الثانية عشر: معدلات ممارسة الشذوذ تزيد لدى الأطفال الذين ينشئون على يد آباء شواذ جنسياً.

الرد: لم يثبت أن الاطفال الذين ينشئون على يد آباء شواذ جنسياً يقبلون على الشذوذ أكثر من غيرهم. ص 106

وهذا رد آخر على الحتمية التربوية.

الخرافة الثالثة عشر: كلمة الكبت هي المفتاح السري للكثير من المشاكل النفسية.

الرد: قام العالم النفسي الشهير ديفيد هولمز بمراجعة الأبحاث العلمية التي أُجريت خلال الستين عاماً الأخيرة، ولم يعثر على أي أدلة علمية تؤيد حدوث الكبت أو وجود شيء في الطب النفسي يُسمى الكبت، ومن ثم اقترح ساخراً هذه العبارة «تحذير: لم تُثبت نتائج الأبحاث التجريبية صحة مفهوم الكبت، وربما يكون لاستخدامه آثار خطيرة على التأويل الدقيق للسلوك الإكلينيكي». فالكبت ليس دافع يُحرِّك اللاشعور كما كان يعتقد سيجموند فرويد، وهذا ما أثبتته ريتشارد ماكنالي والطبيب النفسي هاريسون بوب في بحث منفصل. ص 124،

ونختم هنا بحقيقة أثبتتها الطب النفسي مع غرابتها الشديدة، فقد أثبت الطب النفسي أن الأفراد الذي يرسمون على وجوههم باستمرار تعبيراً أقرب إلى الابتسامة، يؤدي هذا التصرف

إلى الشعور بالسعادة فعلياً وصحة نفسية جيدة، حيث يحدث للمخ تغذية رجعية لتعبيرات الوجه فتؤثر أبحاثنا بدورها في مشاعرنا. ص 355

فما أجمل الأخذ بوصية رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»⁽¹⁾، فحتماً ساعتها ستشعر بسعادة حقيقية وليست مُصطنعة.

الحسد والعين أصبحا حقيقة علمية!

أحد الملحدين يستهزئ بالعين والحسد في المفهوم الإسلامي، وهذه مشكلة الملحد الأزلية، أنه يضع إلحاده في أحد الأركان، وكلما اتسعت دائرة العلم ضاق الحناق على الركن الذي يتواجد فيه إلحاده، مثلاً الأعضاء الأثرية كل يوم نكتشف أنها أعضاء جوهرية وكلما اتسعت دائرة العلم كلما اكتشفنا فوائدها، وهكذا كل إرهابات الملحد لا تحتاج إلا شيء من العلم وقليل من الحكمة والتؤدة..

وبخصوص العين الحاسدة.. وهل العين فعلاً يخرج منها شعاع كما تقول الكتب الإسلامية، وهل لهذا الشعاع تأثير مادي فعلاً؟

في بحث متخصص تبين أن 93% من طلبة كامبريدج كان بإمكانهم أن يشعروا بنظرات الآخرين.⁽²⁾

وقد أثار الباحث والمؤلف الإنجليزي الشهير روبرت شيلدريك Rupert Sheldrake أثار ضجة عام 2003 في الأوساط العلمية، عندما أجرى دراسات مستفيضة أثبت فيها أن الشخص بإمكانه معرفة أن هناك شخص آخر يُحدِّق فيه دون أن يراه *Psychic staring effect*، وأصبحت هذه المسألة ظاهرة علمية⁽³⁾.

والإيمان بالحسد موجود في كثير من الديانات، لكن الإسلام تحدث عن العين، والتأثير المادي للعين، وكيفية مداواة المعيون ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ﴾ [القلم: 51].

(1) صحيح الترغيب والترهيب.

(2) كوتريل، ويزر، سميث 1996.

(3) Scientific American. Retrieved 13 July 2013.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 1 - 5].

ومؤخرًا ظهرت تجربة الفوتونات الحيوية والتأثير عن بُعد، وهذه تجربة مثبتة علميًا، ولم يعد ثمة مجال للتناطح بشأنها، خاصةً بعد تجارب ستانلي كريبنر stanly krippner وتلميذه آلان كوبرشتين alan cooperstein في كلية سايبروك saybrook بجامعة ييل بأمریکا، فقد أثبتوا قطعياً وجود قدرة على التأثير الإيجابي أو السلبي عن بُعد بمجرد التركيز الثاقب - عين الحسود -.

بل إن د. بيرني سيجل B.Siegel ود. كارل سيمونتون carl Simonton وعالم النفس الأسترالي إينسلي ميرز I.Meares يستخدمون رسمياً الآن استحضار النية العدوانية في علاج السرطان، وقد قرأت أن الدكتور المسيري رحمه الله استخدم هذه الطريقة.

وأغرب ما في الموضوع أنه قد ظهر ما يُعرف بالتأثير السلبي على الآلات المادية والماكينات الصناعية بمجرد النظر إليها- عين الحسود- فيما بات يُعرف بتأثير الجريميلين Gremlin effect، وقد أمضى العميد السابق لكلية الهندسة بجامعة برنستون Princeton الدكتور روبرت جان Robert Jahn أمضى ثلاثين عاماً في بحث ما يُعرف بقوة النظرة في التأثير على الآلات Gremlin effect وشاركته في هذا البحث عالمة النفس برندا دون Brenda Dunne وقد توصلوا إلى وجود تأثير فعلي على الآلات والمكائن، بل إن الفيزيائي الشهير وولفجانج باولي Pauli كان له تأثير جريميلين عالٍ إلى الحد الذي كان يدفع فريق العمل إلى إخراجه من المعمل حتى يُنْهوا تجاربهم!⁽¹⁾

وقد أثبت جاك بينفينيست J.Benveniste تأثير الجريميلين في بحث مستقل.

الحقيقة التي يجهلها الكثيرون أنه الإلحاد بات مذهباً في أزمة!

كظم الغيظ أم تنفيسه

كان سيجموند فرويد يرى أن الغضب المكبوت قد يزيد ويستفحل، مثله مثل البخار داخل قدر الضغط، إلى درجة يتسبب معها في حالات نفسية وعدوانية مفاجئة، وقال فرويد:

(1) أنا تتحدث عن نفسها..د. عمرو شريف (بتصرف).

إن سر العلاج يكمن في إخراج الغضب لا كظمه أو كتمه، وصارت هذه الرؤية أحد الأصول في الأعمال الروائية، فترى البطل يُخرج غضبه في نفس اللحظة بدون تردد، وصار التعبير عن الغضب أفضل صحياً من كتمان، وظهرت الصفات الشعبية للتعبير عن الغضب مثل الضغط على شيء إسفنجي بيدك، أو الطرق بالشاكوش أو توجيه لكلمات متتالية للوسادة أو إشعال سيجارة.

وبعيداً عن هذه الرؤية الفرويدية السطحية وهذه الصفات الشعبية، أشارت الأبحاث إلى كذب فرضية التنفيس عن الغضب، فلما يزيد عن 40 عاماً كشفت الدراسات أن دعم فكرة التعبير عن الغضب تزيد في الواقع من معدلات العنف، لذا فقد ثبت علمياً أن التعبير عن الغضب لا يُنفس عن المشاعر المكبوتة لكنه يزيد من حدتها ليس إلا.⁽¹⁾

فالصراخ في وجه الطفل المشاغب لا يُحتمل أن يُشعرنا بتحسّن، ناهيك عن أنه سيزيد الموقف سوءاً.

يقول العالم النفسي سكوت لينيفيلد: «فماذا لا تزال خرافة التنفيس ذائعة إلى الوقت الحالي على الرغم من وجود أدلة قاطعة على أن الغضب يزيد من معدلات العنف؟ لابد من التأكيد على أن الغضب يتضاءل وحده بعد فترة قصيرة»⁽²⁾.

تقول عالمة النفس كارول تافريس: «حان الوقت لكي نُطلق النار على فرضية التنفيس حتى نتخلص منها نهائياً»⁽³⁾.

وهكذا يكون كظم الغيظ وعدم الغضب، هما العلاج النفسي الأمثل والأصلح لصحة نفسية وبدنية جيدة!

قال الله عز وجل في صفات المتقين: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

(1) أبحاث ودراسات بوشمان وباومايستر وستاك، ولويس وبوشر، وليتريل، من كتاب أشهر 50 خرافة في علم النفس ص 223.

(2) أشهر 50 خرافة في علم النفس، سكوت لينيفيلد، ص 225.

(3) Tavris, C. television as a social issue pp.197.

وكانت وصية رسول الله ﷺ المتكررة بترك الغضب، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لا تغضب». فردّد مراراً، قال: «لا تغضب». رواه البخاري.

وقال النبي ﷺ: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع» رواه أبو داود.

وهكذا يكون علاج الغضب باتباع وصية الدين الحق، هو العلاج الأسلم والأكمل، بعيداً عن هلاوس الفرويدية المادية!

العالم عشوائي طبقاً للكوانتم

أحد الآباء الأساقفة الملحدون كتب يقول: «وفقاً لميكانيكا الكم، الكون عشوائي بالكامل»
يا حضرة الأب الكاهن مقولة أن الكون طبقاً لميكانيكا الكم عشوائي بالكامل هذه الكلمة فضيحة معرفية تستحق المحاكمة؛ لأن ميكانيكا الكم يسير وفق قواعد وقوانين بل وتحكمة أسس إستمولوجية ثبتت بطرق ميثودولوجية معلومة ومنضبطة، ولو كان ميكانيكا الكم عشوائية مطلقة كما يتصور نيافة الأب الكاهن الملحد ما أصبح علماً يتم تدريسه في كل جامعات العالم، ويتم الاستفادة من ظواهره في مناح علمية كثيرة مثل شريحة الكمبيوتر التي تكتب نيافتك من خلالها الآن- فشريحة الكمبيوتر تعمل بالظاهرة الكمومية ولو كانت العملية عشوائية ما استفدنا منها في شيء نيافتك!-

بل إن كل ميكانيكا الكم يسير وفق معادلات رياضية صارمة لا يجيد عنها مثل معادلة شرودينغر Schrödinger equation التي تصف الحالة الكمومية المعتمدة على الزمن، والتي تكاد تطابق قانون نيوتن الثاني في الفيزياء الكلاسيكية، أيضاً نيافتك هناك معادلة هايزنبرج Heisenberg equation ومعادلة بلانك اينشتاين Planck-Einstein equation وكلها تصف حالات كمومية مختلفة، وميكانيكا الكوانتم يستحيل أن يخترق جدار بلانك فكل شيء يجري بضوابط محددة في العالم الكوانتي لا يتجاوزها ولا يجيد عنها ويمكن التنبؤ بتصرفات العالم الكوانتي طبقاً لمبدأ عدم اليقين لهايزنبرج وفي حدوده، فيا نيافة الأب الكاهن إياك ولبوس العلم الزائف باسم الإلحاد الدوغمائي!

الحتمية المادية

إنك لم تُخلق إلا للخلود، وما حياتك على هذه الأرض إلا مرحلة (الدين)
 إنك حيوان، كن حجرًا بين الأحجار، أو دودة بين الديدان (الإلحاد)
 إنك إنسان خلقت حرًا، مُكلفًا، في كيانك قوى لا حدود لها (الدين)
 إن سوط الحتمية المادية يُلهب ظهرك، فلن تعدو قدرك (الإلحاد)

إن الإسلام لم يضع في يد بلال أو عمار أو صهيب أسلحة وقنابل يواجهون بها بطش قريش، وإنما الذي أعطاه لهم الإسلام وجودهم الذي كان ضائعًا، وإنسانيتهم التي كانت ضالة، فأذلوا كبرياء قريش وسموا بأنفسهم وانهزمت أمامهم جبال المادية الطاغية وصارت بلا معنى، ولم يسُد المسلمون العالم إلا حين تحرروا من قيود العالم المادية، وعلموا أنهم مخلوقين لله، فالإنسان في ظل المادية يصير دودة لا إنسان ويخلق من الفلسفات ما يبرر به حيوانيته، فلا يؤمن إلا الإنسان الحر، وكلما ازداد الإنسان إيمانًا أدرك أن الإيمان ليس من انتاجه بل هو تلبية لنداء لا إكراه فيه، إذ لا يؤمن إلا الإنسان الحر وفي وسعه أن يسد سمعه.

ولا يختلف مؤمن وملحد على أن المادية الإلحادية تُجرد الإنسان من إنسانيته، وترده إلى العالم المادي الذي تحكمه صيروره حتمية بلا معيارية ولا قيمة ولا معنى، وتُضيع الثروات الثمينة الكامنة داخله والتي لا تتحول إلى تطبيق وسلوك إلا بالاعتراف بمخلوقيته لله، إن المادية الإلحادية عدو يتربص بالإنسان، إنها عدو حاقد على الإنسان وعلى إنسانيته، إنها الشيطان متجسدًا في فلسفات وفرضيات وُجدت لتُبرر تعرية الإنسان وترديه إلى العالم المادي الحتمي، يقول كريستوفر مانيز Christopher Manes في كتابه the Green Rage: «لا يوجد مستند لرؤية البشر ككائن أرقى من غيره»، واعتبر الملحد الأمريكي جيمس لي James Lee أن البشرية طاعون متطور يجب استئصاله سريعًا قدر الإمكان، وفي سبتمبر 2010 قُتل جيمس لي حين كان متجهًا إلى موقع قناة ديسكفوري بصحبة ثلاث رهائن وبعض القنابل، حيث أن الشرطة لم تمهله وأردته قتيلاً، قبل أن يُنفذ مخططه الإلحادي بقتل أكبر عدد ممكن من البشر⁽¹⁾.

(1) <http://abcnews.go.com/US/gunman-enters-discovery-channel-headquarters-employees-evacuated/story?id=11535128>

إن الإنسان يتحرك في الحياة وهو يعلم يقيناً أنه ليس مُفصلاً على هذا الطراز المادي الحتمي، ويعلم يقيناً أنه هو المركز والطبيعة هي الهامش، إن الإلحاد ونقولها مدوية لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني، الإلحاد شيء والإنسان شيء آخر، ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ [الأحزاب: 72]، فالإنسان هو المركز والطبيعة هي الهامش.

ما لا يعرفه الملحد عن تاريخ الإنسان الحقيقي..

أول قرية في التاريخ على الإطلاق لا يتجاوز عمرها 10 آلاف سنة - وهنا كلمة قرية تعني نجع صغير أو حارة بسيطة بمفهومنا المعاصر - ولا يوجد قبل 10 آلاف عام أي دليل أثري على وجود الإنسان⁽¹⁾.

وظهرت سومر أول مدينة على الإطلاق، قبل 5 آلاف عام فقط.

والكتابة التي تعتمد على الحروف ظهرت على يد الشعوب السامية والفينيقية قبل 3500 عام فقط، وجاءت اللاتينية من الفينيقية!⁽²⁾

ظهرت الحرب على الخيل لأول مرة قبل 2600 عام فقط من الآن، ولذلك لا توجد حضارة قبل هذا التاريخ، وإنما بلدان متفرقة!

وأول حضارة هي الفارسية 500 ق.م، ثم الاسكندر 323 ق.م، ثم الهان الصينية 50 ق.م، ثم الرومانية 117 ميلادية.

هذا هو تاريخ الإنسان الحقيقي على هذه الأرض، بعيداً عن بقايا عظام الداروينية، وأضراس الخنازير التي كانوا يتصورون أنها تنتمي لبشر ما قبل التاريخ وقاموا بعمل صور كاملة لهؤلاء البشر من خلال ضرس واحد، وتبين بعد عشرات السنين أنها أضراس خنازير برية لا أضراس بشر ما قبل التاريخ⁽³⁾.

(1) كاتب هذا الكلام هو الملحد [ول ديورانت] في موسوعته قصة الحضارة مجلد 39 صفحة 7.

(2) أنا تتحدث عن نفسها..د. عمرو شريف ص 256.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Nebraska_Man.

حقيقة حجم الإلحاد في العالم طبقاً لآخر الإحصاءات

تُظهر أحدث الإحصاءات الرسمية للملحدين حول العالم، أن نسبتهم لا تتجاوز 2 % (2.01% atheists) وهي في تراجع مستمر⁽¹⁾.

وأيضاً تشير أحدث الإحصاءات إلى أن نسبة الملحدين في أمريكا حوالي 1.5%⁽²⁾.

لكن حقيقةً يمكن استيعاب الشك في دين نصراني يرى أن الإله قد انتحر مصلوباً وعارياً في الصحراء من أجل تكفير خطايا البشر، ويتم أكل لحمه وشرب دمه بانتظام سنوياً في العشاء المقدس - الأفخارستيا - .

ويمكن استيعاب الشك في دين قومي يهودي لا يدخله غير يهودي الأبوين.

ويمكن استيعاب الشك في دين بوذي يؤمن بالروح ويكفر بخالقها.

ويمكن الانتقال بناءً على ذلك الشك من مرحلة الإيمان إلى مرحلة اللإيمان disbelieve وهذا الأمر الانتقالي يُشكّل قاعدة عريضة من البشر وصلت في أمريكا وحدها إلى 20 % من عدد السكان بحسب الإحصاء السابق.

لكن أن يُقرّر الإنسان أن ينتقل من الإيمان الديني إلى الإلحاد الذي هو إنكار الصانع، فهذا أمر في قمة الشذوذ المعرفي والعقلي والإحصائي ومن أندر النوادر!

ولذا يجب التفريق جداً بين الملحد atheist وغير المؤمن disbeliever.

فالملحد لديه بنية فلسفية تأويلية متكاملة فيما يختص بالحياة والوجود والماورائيات، ولذا فالإلحاد في هذا الإطار هو دين من بين الأديان!

أما عدم الإيمان فهو شك مرحلي طارئ يمكن تجاوزه أو الاستمرار عليه حسب عمق البحث ودرجة الشك.

وإن كان التسليم بأن خلق الكون والحياة والوجود عبر زفرات فأر أسوي مزكوم أقرب

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_religious_populations.

(2) <http://theweek.com/article/index/226625/the-rise-of-atheism-in-america>.

منطقيًا من زعم الملاحدة أن اللاشيء انضاف إلى اللاشيء فصار شيئًا عظيمًا من أروع ما يكون تمت معاييرته بدقة، بقوانين وثوابت غاية في الضبط..... فمهما كانت سذاجة الدين الوثني وحماقته وتحريفه فهو أكثر منطقية ورقياً وعقلانية من خرافة الإلحاد، ولذا فالإلحاد في تراجع مستمر! باسم الله والحمد لله:

يقول الشيخ أحمد الكبيسي حفظه الله: «قبل القيامة بدقائق سيخرج رجل بشيء بديع في القرآن لم يسبق إليه أحد، فالقرآن لا تنقضي عجائبه إلى يوم القيامة».

وسأذكر لكم أحد هذه المعجزات في القرآن الكريم التي انفتحت للدكتور عبد الله دراز رحمه الله، وكانت للدكتور تجليات لم يسبق إليها فقد كان مداومًا على كتاب الله.

يقول الدكتور رحمه الله: «القرآن الكريم كتاب أدبي وعقدي في نفس الوقت وبنفس الدرجة، وتوجد وحدة أدبية لكل سورة قرآنية، وداخل هذه الوحدة الأدبية يتوافر التجانس والربط الطبيعي بين عشرات المواضيع في السورة الواحدة، وربما مئات المواضيع في نفس السورة كما في السور الطويلة.

ووحدة السورة عبارة عن سلسلة من الحروف والصوتيات البلاغية الأدبية تُخفي داخلها مواضيع متنوعة وأفكار مختلفة تُقدم مجموعة من الحلول للمشكلتين الخالدين ألا وهما «المعرفة» و«السلوك».

هذه المواضيع المعروضة تمتاز بالإيجاز العجيب، والنقاء في التعبير، والتركيز الشديد في النفس، وجميع العلوم والفنون الإسلامية تستمد على الدوام من هذا المصدر قواعد ومبادئها، وكان القرآن خلقًا للغة جديدة ولأسلوب جديد فهو نظام أكثر تماسكًا من النثر، وأقل نظامًا من الشعر، في موسيقى خالدة تعلق المواضيع المطروحة تلو المواضيع في نفس السورة، بهيبة وجلال بلا تأرجح ولا اضطراب.

وفي وقت نزول القرآن كانت بعض المواضيع تتزايد بمعزل عن مواضيع أخرى، وتُكوّن تدريجيًا وحدات مُستقلة بعد أن تنضم إليها آيات أخرى نزلت بعدها، وأن بعضها كانت تُضاف هنا، والأخرى تتداخل مع غيرها هناك، بحسب أمر الرسول ﷺ الذي كان يتلقاه بدوره من الروح القدس.

وعندما نُريد أن نُقدر جمال لوحة مرسومة لا ينبغي أن نحصر نظرنا في جزء ضيق مها حيث لا نجد إلا ألواناً متنوعة تتجاوز أو تتنافر أحياناً، بل يجب أن نرجع قليلاً إلى الوراء لنبسج مجال الرؤية وتحيط بالكل في نظرة شاملة، تستطيع وحدها أن تلاحظ التناسق بين الأجزاء والتوافق في التركيب، فبمثل هذه النظرة ينبغي دراسة كل سورة من سور القرآن الكريم لِنُقَدِّر أبعادها الحقيقية، فهناك تخطيط حقيقي واضح ومُحدد يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية، ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيراً تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة.

فإذا أخذنا في اعتبارنا التواريخ التي لا حصر لها - تواريخ نزول آيات القرآن الكريم- والتفتت المتناهي في نزول الآيات، ولاحظنا أن هذا الوحي كان بوجه عام مرتبطاً بظروف ومناسبات خاصة، فإن ذلك يدعونا إلى التساؤل عن الوقت الذي تمت فيه عملية تنظيم كل سورة على شكل وحدة مستقلة، وهذا التساؤل يضعنا أمام نقطة محيرة: فسواءً افترضنا أن هذا الترتيب كان قبل أو بعد اكتمال نزول القرآن، فقد كان ينبغي أن يتبع إما الترتيب التاريخي للنزول، وإما الترتيب المنطقي البسيط المبني على تجانس الموضوعات، إلا أن السور القرآنية تتنوع موضوعاتها ولا تخضع لأي من الفرضين أو الترتيبين السابقين، مما يدعونا إلى ترجيح وجود تصميم مُعقد يكون قد وُضع في وقت سابق لنزول القرآن على قلب رسول الله ﷺ، ولكن سرعان ما نميل إلى الانصراف عن هذا الافتراض بسرعة؛ لأننا نرى مدى الجرأة والاستحالة التي ينطوي عليها وضع نظام سابق حسب ترتيب تحكيمي بين فقرات حديث سوف يطلب إلقاؤه أو إظهاره على مدى عشرين عاماً، وبما يتناسب مع عديد من الملابس والظروف التي تستدعي هذا الحديث والتي لا يمكن توقعها أو التنبؤ بها، غير أن السنة تؤكد لنا هذا الافتراض الغريب وتؤيده، فالواقع أنه فور نزول الوحي على الرسول ﷺ كان كل جزء منه صغيراً أو كبيراً يوضع في السور التي لم تكن قد اكتملت بعد وفي مكان محدد من السورة، وفي موضع رقمي من آياتها وفي ترتيب لم يكن دائماً هو الترتيب التاريخي.

وبمجرد وضع الآية أو الآيات في موضع ما بقيت فيه إلى الأبد، دون أن يطرأ عليها تحويل أو تصحيح، من هذا نقول أنه لا بد كان هناك تصميم لكل سورة، فضلاً عن تصميم أو خطة

عامة للقرآن في جملته بمقتضى كل منهما، كأن كل وحي جديد يوضع في مكانه توًّا بين آيات هذه السورة أو تلك من السور المفتوحة.

وكان القرآن كان قطعًا متفرقة ومرقمة من بناء قديم، كان يُراد إعادة بناؤه في مكان آخر على نفس هيئته السابقة، وإلا فكيف يمكن تفسير هذا الترتيب الفوري والمنهجي في آن واحد، فيما يتعلق بكثير من السور؟

ولكن أي ضمان تاريخي يستطيع أن يتحصل عليه الإنسان عند وضع مثل هذه الخطة إزاء الأحداث المستقبلية، ومتطلباتها التشريعية، والحلول المنشودة لها، فضلًا عن الشكل اللغوي الذي يجب أن تُقدم به هذه الحلول، وتوافقها الأسلوبي مع هذه السورة بدلًا من تلك؟

وكيف يمكن مجرد تجميع وتقريب هذه القطع المبعثرة بعضها من بعض بدون تعديل أو لحام أو وصلات- رغم تنوعها الطبيعي وتفرقتها التاريخي- أن يجعل منها وحدة عضوية متجانسة يتوافر فيها ما نرجوه من التماسك والجمال؟ ألا يصدر مثل هذا المشروع، وقد بلغ هذا المبلغ من الطموح، إلا عن حلم خيالي، أو عن قوة فوق قدرة البشر؟

ألا نستنتج أن اكتمال هذه الخطة وتحقيقها بالصورة المرجوة، يتطلب تدخلًا من قوة عظمى، تتوفر فيها القدرة على إقامة هذا التنسيق المنشود؟

فإذا كانت السورة القرآنية من نتاج هذه الظروف، تكون وحدتها المنطقية الأدبية في نظرنا معجزة المعجزات، والواقع الأكثر إعجازًا أنه قد يصعب في بعض السور التمييز بين الفكرة الرئيسية والأفكار الثانوية والنواة المركزية للسورة، وقد نجهد حتى الظروف التي استدعت التجميع بين هذه المواضيع لشدة الحبكة النهائية في السورة كبناء متكامل موضوع في زمن سابق على نزول القرآن، فالأجزاء التي ستتجاوز مُهزأة مقدمًا بطريقة معينة بحيث يتزاح بعضها مع بعض، كل هذا مع تنوع الموضوعات واختلاف البعد الزمني الذي يفصل بين كل موضوع وآخر، إن هذا التطور إذن كان متفقًا مع خطة تربوية وتشرعية موضوعة في وقت سابق، في إجمالها وفي تفصيلها، بمعرفة مُنزل الوحي سبحانه وتعالى على هيئة إشارات محددة بنوازل معينة لتشكيل وحدات متكاملة من تخطيط مزدوج نهائي لا يمكن أن يصدر عن علم بشر⁽¹⁾.

(1) مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز - بتصرف.

مسألتان ما أكثرهما اليوم

قال الإمام اللالكائي - رحمه الله -: «فما جني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة!».»

ولم يكن لهم قهر ولا ذلّ أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة، يموتون من الغيظ كمداً ودرّداً ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلاً.. حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقاً، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلاً، حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة⁽¹⁾.

قال الشاطبي - رحمه الله -: «قال الغزالي في بعض كتبه: أكثرُ الجهالات إنما رُسخت في قلوب العوام بتعصب جماعةٍ من جهال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلال، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والازدراء، فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة، ورسخت في قلوبهم الاعتقادات الباطلة، وتعذر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها»⁽²⁾.

هذا هو الأصل الذي نزعمه، ولولا أن ظهر شراذم الملاحدة في بلادنا وفتنوا أحداث الأسنان، ما خططنا سطرًا واحدًا في تسخيف مذهبهم الساقط جملةً وتفصيلاً، لكنها مشيئة الله النافذة من قبل ومن بعد، فكلما اقترب الزمان كلما ظهرت أمارات الكفر السريع والتشكك العاجل، وإلا فإن الأصل عندنا ألا نحكي الشبهة، ولا نساعد على انتشارها!

قال أبو قلابة رحمه الله: «لا تجالسوهم - أي أصحاب البدع - ولا تخالطوهم.. فإنه لا آمن أن يفسدوكم أو يلبسوا عليكم كثيرا مما تعرفون».

قال ابن قدامة رحمه الله: «كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع والنظر في كتبهم والاستماع إلى كلامهم».

وقال أبو عثمان الصابوني بعد ذكر أهل البدع: «ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم

(1) شرح أصول الاعتقاد 1 / 29.

(2) الاعتصام للشاطبي 1 / 494.

التي إذا مرت بالأذان وقرت في القلوب ضرت وجرت إليها من الوسوس والخطرات الفاسدة ما جرت».

وقال الذهبي رحمه الله في ترجمة ابن الراوندي: «وكان يلزم الرافضة والملاحدة.. فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم. إلى أن صار ملحدًا وحط على الدين والملة».

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة ابن عقيل حيث نقل عنه قوله: «وكان أصحابنا الحنابلة يريدون مني هجران جماعة من العلماء، وكان ذلك يجرمني علمًا نافعًا». فعلق الذهبي بقوله: «كانوا ينهونه عن مجالسة المعتزلة فيأبى حتى وقع في حبالهم وتجسر على تأويل النصوص نسأل الله السلامة».

قال سفيان الثوري رحمه الله: «من سمع بدعه فلا يحكها جلسائه.. لا يُلقيها في قلوبهم»، أوردها الذهبي وعلق عليها بقوله: «أكثر أئمة السلف على هذا التحذير يرون أن القلوب ضعيفة والشبه خطافة».

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «ما ناظرت أحدًا علمت أنه مقيم على بدعه»، وقال الإمام البيهقي معلقًا: «وهذا لأن المقيم على بدعته قلما يرجع بالمناظرة عن بدعته».

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «إن المبتدع الذي بنى مذهبه على أصل فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءً.. أخذ يعارضك فيه لما قام في نفسه من الشبهة.. فأعطه إياه وإلا فما دام معتقدًا نقيض الحق لم يدخل الحق إلى قلبه، كاللوح الذي كتب فيه كلام باطل فاحمه أولًا ثم اكتب فيه الحق».

ولذا كان منهجنا في هذا الكتاب التخلية قبل التحلية، فتحدثنا في الفصول الأولى عن الشبهات ثم آيات الله في الخلق؛ نسأل الله الثبات والسداد!

الشيطان يكمن في التفاصيل..

نصيحة أخيرة:

لا يستطيع الملحد أن يدخل لك إلا من باب السفسطة في الفرعيات، واللعب على وتر التفاصيل!

لذا كُنْ حَذِرًا ورُدّه بسرعة إلى الأصل، لا تجعله يعبت ببدهيّاتك وضروراتك العقلية بدخوله في التفاصيل، بل كن أكثر ذكاءً ورده أنت إلى الأصل، فينكسر وتطيش كل سفسطاته الفرعية..

ولك في أبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - القدوة والمثل فحين ناظر النمرود في قضية الألوهية حاول الخبيث أن يلعب على الفرعيات ويُسفِط في التفاصيل، فأعاده إبراهيم إلى الأصل فبُهِت الذي كفر، وانتهت المناظرة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: 258].

فقد اعتبر النمرود أن مجرد إعدام الأشخاص هو قُدرة مطلقة على الإماتة، ومجرد رحمتهم هو قُدرة مطلقة على الإحياء، ولو تنزّل معه سيدنا إبراهيم عليه السلام، وظل يشرح له الفرق بين القدرة المطلقة والقدرة النسبية المحدودة الموهوبة إلى الشخص، لظن الجالسون أن في قضية الألوهية البدهية محض التباس، فالشيطان يكمن في التفاصيل!

عندما يتحدث الملحد عن طاقة الفراغ الكوانتي المشحون بالجسيمات، انتقل مباشرة إلى ما هو مصدر الفراغ الكوانتي.

يقول الكاهن الملحد طاقة الجاذبية يمكن أن تؤثر في لحظة الانفجار الكبير، يكون السؤال: وما هو مصدر طاقة الجاذبية؟

يقول الكاهن الملحد: سوالب الكون وموجباته ربما تساوي الصفر، يكون السؤال أُخلق لنا قانون (-) + (+) = صفر، أو قُمْ بتفعيل قانون كهذا.

الملحد لا يملك حُجة مُستقلة على كفره، لا يمتلك علمًا يُخرج الكفر، وإنما يتغذى الملحدون باستمرار من رحم السفسطة حينًا والمضاربة حينًا آخر، فشككوا الناس في العقل والحق والخير والشر والعدل والظلم.

فالإلحاد هو دين الشيطان تمت أدلجته، وإعادة صياغته والتأسيس له، كمذهب عقلي

معاصر...!!

الخاتمة

أكثر الأسئلة أهمية وإثارة تقع خارج قدرات العلم، فما معنى الخير والشر والصواب والخطأ والنجاح والفشل والمعنى واللامعنى والقيمة والغاية ومصدر القوانين؟ لماذا الآن وليس قبل ذلك...؟ ماذا قبل ذلك...؟ هذه أسئلة خارج نطاق العلم، ليس لعجز العلم أو قصر أدواته بل لأنها تقع خارج إطار العلم والمادة معاً!!

الدين جواب لسؤال آخر لا يتعلق بالعلم، فالعلم هو فقط تحليل للظواهر بغية تفسيرها والإنسان لم يَتَبَّنَّ العلم إلا عندما علم أن الطبيعة تتبع قوانين ثابتة، وإعداد بعناية وعظيم صنع وروعة خلق، ولم يفعل العلم أكثر من إطلاق التسميات على هذه القوانين، ثم حصد الجوائز نتيجة الكشوف العلمية، فالنظام المدهش والقابلية للتنبؤ، والانضباط والمصدقية التي لولاها ما قام العلم..

مَنْ الذي يقف خلف القضية ككل؟!

الله يقف وراء قصة العلم كلها.

والخالق أراد منا أن نفهم الكون فخلق قوانين الكون ممكنة الاستيعاب..

وقضت حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُخْتَبَرِ الْإِنْسَانَ فِيهَا هُوَ دُونَ ذِكَايِهِ الْفَطْرِي

بكثير....

وفي غفلةٍ من الزمان ظهر الإلحاد الجديد بعباءة جديدة وملاً صياحه الأودية، وقام بالتكريم- التبشير - به كهنة الإلحاد الجديد بجميع طقوس الكهنة وثياب الكهنوت، وقوانين كنسية تخالف البدهيات العقلية، وتُرجَّح الفرضية على اليقين، والظن الضعيف على الظن القوي، وظهرت أبخرة كنيسة الإلحاد الجديد ومجامر الشمامسة، وعلى ابن الطاعة تحل البركة، ولم يعد في الإمكان أفضل مما كان فآمن بالإلحاد ثم استدل، المهم أن تصبح كافرًا وتنام كافرًا.

إن الإلحاد والدين يقومان على التأصيلات الميتافيزيقية، لكن الفرق أن الدين منتهى خبره الحس بينما الإلحاد ليس كذلك...

إن الإلحاد يقوم على حُجّة مادية - أزلية المادة - لا وجود ماديًا لها.. وبالتالي لا وجود للإلحاد كحقيقة مستقلة أو كأيدولوجية قائمة، بينما يقوم الدين على حُجّة غيبية لها مُستندٌ ماديٌّ ووجدانيٌّ وفطريٌّ وحسيٌّ وعقليٌّ واستدلاليٌّ ونقليٌّ!
وبفضل الله يشمل هذا الكتاب اختصارًا لهذه الأبواب.

إن الشهادة لله بالخلق والأمر، هي الاستجابة المثيرة للقضية الإنسانية الكبرى، والاستجابة الوحيدة المتاحة للعقل والفطرة والوجدان والحس والنقل.

والحمد لله رب العالمين